

طريق النصر في معركة الثأر

تأليف

اللواء الركن

محمود شيت خطاب

عضو المجمع العلمي العراقي

الناشر

دار الفتح للطباعة والنشر

صندوق بريد ٤٢٩٥ - بيروت

طريق النصر

في معركة الثأر

الطبعة الاولى

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ . وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ، وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ .

(قرآن كريم)



الإهداء

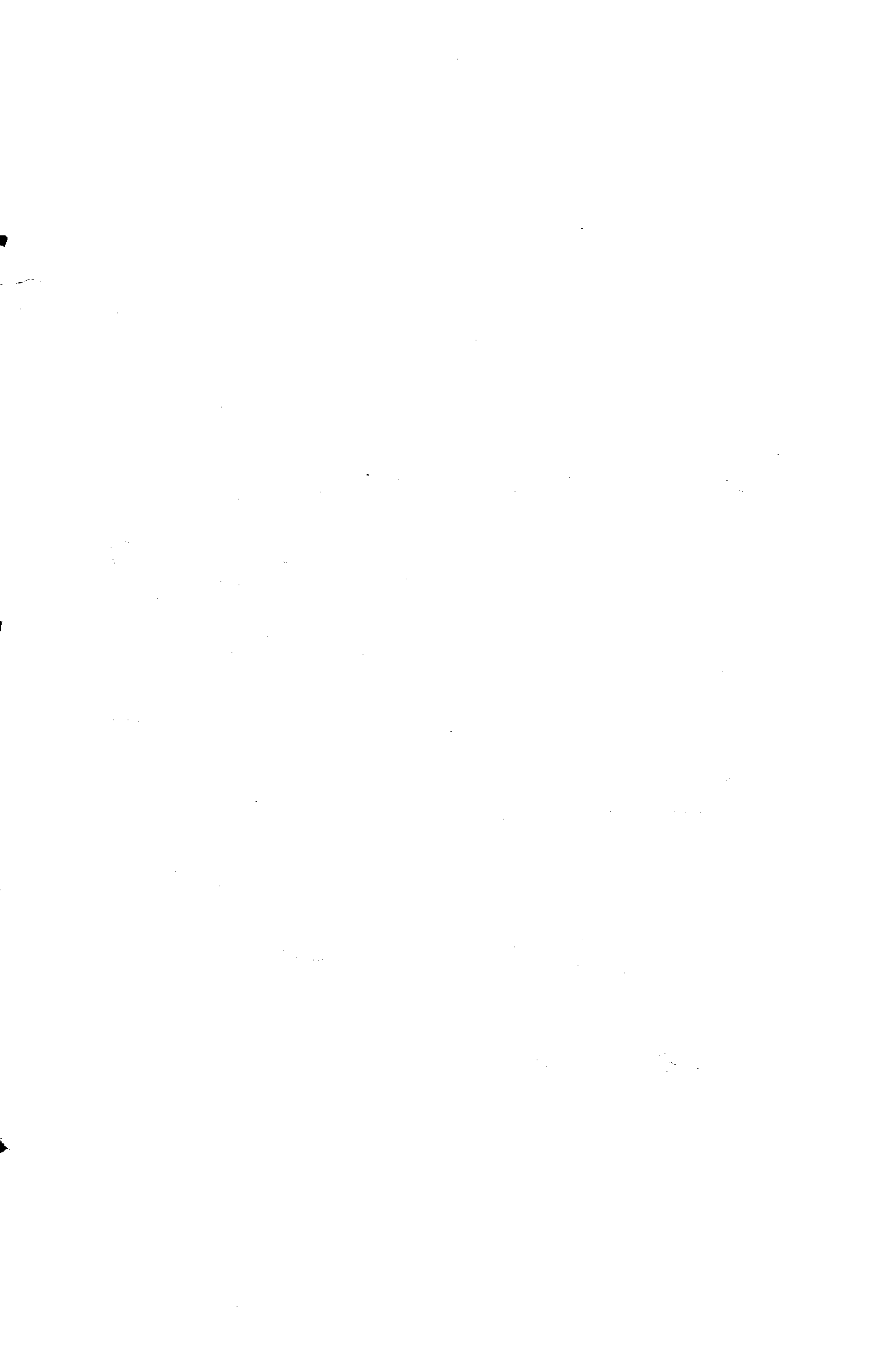
إلى البطل صلاح الدّين الأيوبي الذي طرد الصّليبيّين من فلسطين .

وإلى البطل الذي يعيد ذكرى صلاح الدّين، فيطرد إسرائيل من فلسطين .

وإلى الصّابرين المحتسبين من العائدين في كل مكان .

أهدي هذا الكتاب تحيّة وتذكيرا .

محمود شيت خطّاب



بسم الله الرحمن الرحيم



المقـدّمة

كنت أشغل منصب ضابط ركن جحفل لواء المشاة الرابع[1] الذي استقر في مدينة (جنين) العربية من المثلث العربي (جنين – طولكرم – نابلس) في لواء (الجليل) ، وذلك خلال وجود الجيش العراقي في فلسطين عام (١٩٤٨) .

وقد تيسّر لي حين كنت في فلسطين خلال تلك الفترة الحاسمة من تاريخ الجيوش العربيـة في منصب حسّاس من مناصب ضباط الركن في منطقة حسّاسة من مناطق الحرب في فلسطين ، واختلاطي المستمر بسكّان فلسطين عامـة وبأهل مدينة (جنين) خاصة بحكم منصبي أولاً وبحكم تسنمي منصب وكيل حاكم (جنين) العسكري ثانيـاً ، وبالصداقات المتينة التي عقدتها حينذاك برجالات فلسطين

---

(١) جحفل لواء مشاة : مؤلف من لواء مشاة وقطعات ساندة أخرى من مدفعية وهندسة وقدمات إدارية .

والتي لا تزال معهم قوية متينة حتى اليوم ، أن أعرف : لماذا ُهزمت الجيوش العربية في فلسطين ، والطريق السوي الى النصر في معركة الثأر .

وقد صدرت كتب كثيرة بعد (النكبة) عن قضية فلسطين ، وعالجت أجهزة الإعلام العربية هذه المشكلة بما لا مزيد عليه . وقد قرأت أكثر ما صدر من كتب ومن نشرات ومن مقالات ، وأنصتُ بانتباه شديد إلى مختلف الإذاعات ، وكان الحديث عن (فلسطين) ولا يزال ، هو الحديث المفضل عندي ، خاصة مع الذين شهدوا معركة (فلسطين) قادة وجنوداً ومتطوعين ، ومع كثير من قادة الحكم وقادة الرأي المعنيين بأمر (فلسطين) ، فأضفت بكل ذلك معلومات جديدة وخبرة جديدة نظرية وعملية على ما اكتسبته من معلومات وخبرة أثناء وجودي ضابطاً في حرب (فلسطين) .

ولا أريد بما أكتبه غير وجه الله وحده والمصلحة العربية العليا ، ولا يصرفني عن ذلك اتجاه معيّن أو تيّار معيّن أو فئة معيّنة ، فلست حزبياً ولم أكن في يوم من الأيام حزبياً ، ولست ملتزماً بأي التزام لأي جماعة أو مؤسسة خارجية أو داخلية ، ولن أكون ملتزماً بإذن الله في كل حياتي لغير تعاليم الإسلام ، عقيدة وتضحية وفداء ، ولغير المصالح العليا لأمتي العربية من الخليج الى المحيط ،

ولمصالح المسلمين العليا في دار الإسلام من المحيط الى المحيط .

وسأقدّم في هـذه الصفحات مختصراً شديد الإختصار عما أؤمن به من أسباب الهزيمـة في فلسطين ، وطريق النصر في معركة الثأر ، لعلّ الله يفيد بذلك .

وسيقتصر هـذا الكتاب على التطرّق إلى (المبادىء) العامّة دون المساس بالأشخاص أو الدول العربيـة ، فهو كتاب يريد بناء (المستقبل) ولا يثير معايب (الماضي) القريب .

والله أسأل أن يفيد بهذه الصفحات ، ويجعل مـا أكتب خالصاً لوجهه الكريم .

محمود شيت خطاب



أسباب الهزيمة

١

قدمت (فلسطين) مع قافلة عسكرية تتنقّل بالسيارات من مرحلة إلى أخرى .

كانت بغداد حين غادرناها تغلي حماسة واندفاعاً ، وكان الناس يتجمّعون بكتل ضخمة حول سيارات الجيش يهتفون ويهزجون ، وكانت قضية فلسطين قضية الشعب كلّه في أحاديثه وفي أسماره وفي يقظته وفي نومه ، وقد كانت الأمهات يودعن أبناءهنّ ، والأولاد يودعون آباءهم ، والشيوخ يودعون أبناءهم بفرح غامر وفخر عظيم .

وكنت في طريقي الى (فلسطين) ، أعيش في غمرة الوداع الحافل والتشجيع القوي ، وفي حلم لقاء العدو الغادر على الأرض المقدسة .

وكان الضباط والمراتب[1] يعيشون كما أعيش ، في

---

(١) يطلق تعبير المراتب ، على نواب الضباط وضباط الصف والجنود في الجيش العراقي .

حماسة لا حدود لها ، وفي شوق مذهل للقاء العدو .

وكانت قوافل من سيارات اللاجئين الفلسطينيين تصادفنا في الطريق بين حين وآخر ، فيزيد ذلك من حماسة منتسبي الجيش ومن حقدهم المقدّس .

ووصلت قافلتنا الى (المفرق) في الأردن ، فوجدنا مخيمات اللاجئين تملأ السهول والوهاد ... وكان أطفالهم يتهافتون على السيارات وعليهم أسمال بالية وفي عيونهم دموع جامدة !

واستمرّت القافلة في سيرها ، حتى وصلنا إلى (الشونة) في الأردن ، وكان هناك مقر خط المواصلات[1] للجيش العراقي ، وهناك وجدنا سيارات كثيرة مثقلة باللاجئين الذين يجري تسفيرهم إلى العراق .

وكان رجال الجيش العراقي يتمنون أن يسابقوا الريح للوصول سريعاً إلى (فلسطين) ، وكانت تحدث مشادات عنيفة كلّ يوم بين آمر القافلة الذي يريد أن يلتزم بتوقيت جدول المسير التقليدي في المراحل ، وبين أفراد الجيش الذين كانوا يريدون أن يسيروا ليلاً ونهاراً حتى يصلوا إلى (فلسطين) قبل الموعد المقرر بكثير !

---

(١) خط المواصلات : المقر الاداري الذي كان مسؤولاً عن تزويد القطعات المقاتلة بالأرزاق والعتاد والوقود والسلاح وبالأشخاص .

- ٢ -

ودخلنا (فلسطين) ، وكانت أول مدينة رأيناهـا هي مدينة (أريحا) التاريخيـــة ، فوجدنا المقاهي والنوادي والشوارع والمحلات العامة فيهـا تغصّ بالشباب الفلسطيني : يلعبون النرد أو الشطرنج ، وكأن الحرب ليست قائمة بين العرب ويهود [١] !

وتكرّر نفس المنظر في مدينـــة (نابلس) ، وتكرّر نفس المنظر أيضاً في مدينة (جنين) ..!

وكان أول انطباع في نفسي ، هـــو شعوري العميق ، بأن الشباب الفلسطيني يجب ألا يكون مكانه (هنا) تحت أجنحة الدعة والراحة والسلام ، بـل يجب أن يكون مكانه (هناك) في ساحات القتـــال دفاعاً عن وطنهم السليب ...

ولكن ، هل نلوم الشباب الفلسطيني لإهماله الدفاع عن بلاده ؟

لست شخصياً ألومهم على هذا الاهمال ، فقد كان العرب

---

(١) كان السلف الصالح يستعملون كلمه يهود ، بدون إدخال (ال) التعريف احتقاراً لهم وتقليلاً من شأنهم ، فما أحرانا أن نستعيد استعمال هذا التعبـير اليوم ...

في أيام الإحتلال البريطاني قبل ١٥ مايس ١٩٤٨ عُزِّلاً من السلاح ، وكان الانكليز يعتبرون حيازة السلاح من العرب جريمة لا تغتفر يعاقب عليها القانون بأشد العقوبات .

وكان هؤلاء الشباب محرومين من التدريب العسكري الضروري لإعدادهم إعداداً جيداً لخوض معامع القتال ...

وقد كانت التربية الإستعمارية ذات الأهداف الخبيثة ، قد تركت آثاراً سيئة في نفوسهم ، فقد أشاعت في نفوسهم حبَّ الترف والاستمتاع بالحياة ، ولم توجههم الوجهة الوطنية الصحيحة .

لقد كان هؤلاء الشباب ، في الأيام الحاسمة من محنة وطنهم طاقات مضيَّعة ...

كانوا جُهداً مُضاعاً ..

كانوا قطيعاً بلا راع !

- ٣ -

وقامت دولة إسرائيل يوم ١٥ مايس ١٩٤٨ في الجزء المحتل من أرض فلسطين ، وسارعت الدول الاستعمارية غربية وشرقية بالاعتراف بها ، وكان أول المعترفين بها (ترومان) رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية .

وكانت الوكالة اليهودية قد أنشأت جيشاً لإسرائيل قبل

قيام دولة إسرائيل هو جيش (الهاجاناه) ، وكانت بعض أحزاب يهود المتطرفة قد شكّلت عصابات مدربة تدريباً محكماً على حروب العصابات ، وكان لواء من جيش إسرائيل قد شارك في الحرب العالمية الثانيـــة إلى جانب الحلفاء ، فتدرّب عملياً في ساحات القتال على فنون القتال ، فلمـــا وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عام ١٩٤٥ ، عـاد هذا اللواء تحت سمع وبصر بريطانيـا إلى فلسطين ليكون النواة الأولى للجيش النظامي لإسرائيل .

ولم يضع هذا الجيش لحظة من وقته عبثاً ، ولم تُضع الأحزاب الصهيونية المتطرفة لحظة من وقتها ..

لقد بذل ذلك الجيش قصارى جهـــده لتدريب كل القادرين على حمـــل السلاح من يهود فلسطين ، وبذلت الأحزاب الصهيونية المتطرفة جهدها لتدريب عصاباتها ...

وقدم إسرائيل من المدرّبين على استعمال الأسلحـــة المختلفة ألوف من يهود العالم ، كان منهم ضباط وطيارون وجنود قد شهدوا الحرب العالمية الثانية .

وقدم مع هؤلاء بعض الضباط والجنود المرتزقـة من غـير يهود : طيارون وضبـاط صف وجنود ، يتقاضون رواتب ضخمة من الوكالة اليهودية .

وانهالت الأسلحة والعتاد على إسرائيل من كل مكان ،

فخزنوا تلك الأسلحة والعتاد في مستودعات كثيرة ووزعوها على القادرين على حمل السلاح رجالاً ونساء في مستعمراتهم المنتشرة في أرض فلسطين...

وكان يهود حين يبنون مستعمرة جديدة ، يفكّرون قبل كل شيء في جعلها حصناً منيعاً تجاه الغارات المعادية .

وساعد البريطانيون يهوداً بالسلاح والمعدات والعتاد ، وزودوهم سراً وعلانية ببعض المدرعات ...

جرى كلُّ ذلك والعرب في فلسطين محرومون من كل سلاح ومن كل تنظيم جدي لمواجهة الخطر الصهيوني الداهم ، ومن كل تدريب على استعمال السلاح .

وكانت الوكالة اليهودية تعمل عملها السياسي خارج إسرائيل لإقناع الدول الاستعمارية بحق يهود في وطن قومي لهم في فلسطين ...

وعندما ولدت إسرائيل كان لديها جيش نظامي ، وجيش احتياطي ، وعصابات مدرّبة ، وسلاح وعتاد ومدرعات وبعض الطائرات ، ولها حصون دفاعية منيعة ، ولها دعم سياسي من الخارج ، وكان كلّ قادر على حمل السلاح مُدَرَّباً على استعماله من الذكور والإناث.

أما العرب في فلسطين ، فلا شيء لديهم من كل ذلك ... لا شيء على الاطلاق !!

- ٤ -

ودخل فلسطين بعض المتطوعين من العرب بقيادات مرتجلة وبتدريب ضعيف وبتسليح لا يزيد على الرشاشات الخفيفة والبنادق والمسدسات .

وليس هناك شك ، في أن بعض المتطوعين العرب كانوا على درجة كبيرة من الإخلاص والتضحية ، ولكن أكثرهم كانوا من الضباط وضباط الصف والجنود المتقاعدين أو المسرحين من الجيوش العربية : لضعف قابلياتهم أو لسوء تصرفاتهم أو لأنهم مرضى لا يقوون على تحمل أعباء القتال .

وتشكلت قيادة عامة للمتطوعين في دمشق لتمد المتطوعين بالسلاح والعتاد ، وكانت تلك القيادة فوق الشبهات ، ولكنها لم تنجح مطلقاً في تأمين السلاح والعتاد اللازم للمتطوعين ، كما أنها لم تنجح مطلقاً في قيادتهم ، وكيف تنجح في ذلك ومقرّها في دمشق والمتطوعون في فلسطين ؟.

وفي أثناء ذلك، كان هناك اجتماعات لرؤساء الدول العربية، ومؤتمرات لوزراء الدفاع ورؤساء أركان الجيوش العربية ، وجلسات للجامعة العربية ، ثم يصدر بعد كل تلك الاجتماعات والمؤتمرات والجلسات قرارات بليغة المعاني ، حماسية اللهجة ،

تدعمها الصحافة والإذاعة العربية بالخطب والقصائد والبيانات وبرقيات التأييد ، ثم لا شيء بعد كل ذلك !

لقد كان العرب يقولون ، وكان الصهاينة يعملون !!

وفارت الحماسة الشعبية ، ومارت البلاد العربية ، واشتد الضغط على الحكومات العربية ، وصرّح بعض رؤساء الدول تصريحات في منتهى البطولة الكلامية ، وأصبحت كثير من العروش والتيجان والكراسي الضخمة في الدول العربية مهددة بالزوال إذا لم يفعل الملوك والرؤساء شيئاً من أجل فلسطين .

ودخلت الجيوش العربية النظامية فلسطين من دون استحضارات كافية ، وبدون خطط عسكرية مرسومة وبدون قيادة موحدة بالمعنى الصحيح ، ولم يكن السياسيون يملكون (إرادة القتال) الضرورية لإحراز النصر .

كما دخلت الجيوش العربية فلسطين خلافاً لأي مبدأ من مبادىء الحرب !

كانت استحضارات الجيوش العربية ناقصة ، منها ما يحتاج الى العتاد ، ومنها ما يحتاج الى الدروع ، ومنها ما يحتاج الى السلاح ، ومنها ما يحتاج الى التجهيزات ، ومنها ما يحتاج الى الطائرات ، ومنهـــا ما يحتاج الى مدافع ضد الجو ، ومنها ما يحتاج الى مدافع ضد الدبابات ... حتى إن

بعضها لم يكن يملك خريطة عسكرية واحدة لفلسطين ، وقد اقتصر ما تملكه من الخرائط على الخرائط الجغرافية التي يستعملها تلاميذ المدارس !!

وكانت تلك الجيوش بدون خطط عسكرية مرسومة تؤمّن التعاون فيما بينها ، بل كانت بعض الجيوش العربية بدون خطط على الاطلاق !!.

لقد دخل كل جيش عربي من اتجاه حدوده ، والذي لا حدود له مع الأرض المقدسة دخلها على غير هدى وبصيرة ، وكثيراً ما كان يستعين بالأدلاء المدنيين كما كان يفعل الأقدمون قبل عشرات القرون !!.

وقد ضيّعت بعض الجيوش العربية كثيراً من وقتها في معالجة أهداف تعبوية لليهود لا قيمة لها من الناحية العسكرية ، فمضى وقتها الثمين بدون مبرر في أحرج الظروف والأحوال ...

وكانت القيادة العربية العامة للجيوش العربية قيادة مرتجلة ، بدأت عملها قبيل دخول الجيوش العربية فلسطين، ولكن لم يسمع أحد آراءها ولم يصغ أحد الى مقترحاتها ، وذهبت جهود قائدها الحصيف صرخة في وادٍ .

كما أن هذه القيادة المرتجلة ، لاقت الأمَرَّيْن من بعض رؤساء الدول العربية ، فبدلاً من أن يتعاون الجميع على

معاونتها لتؤدي واجبها على أحسن ما يرام ، تعاون أكثر رؤساء الدول العربيــة بقصد أو بدون قصد على عرقلة جهودها وإحباط أعمالها ...

وأخيراً لاقت هذه القيادة مصيرها المحتوم ، فقد استقال بعض قادتها ، ودبّ الخلاف بين أعضائها ، وعانت أزمة ثقة في صفوفها ، فانهارت كما ينهــار البنيان المؤسس على جرف هار !!

وكان السياسيون الذين في القمة ، لا يملكون (إرادة القتال) ، فقد زجوا جيوشهم في حرب مصيرية تفقد فيها هذه الجيوش أول ما تفقد شرفها، وذلك خوفاً من شعوبهم واستجابة لضغطها الشعبي المتزايد ، وحفاظاً على مناصبهم الرفيعـة ودفاعاً عن مصالحهم الشخصية ...

أما فلسطين ، أما مصيرها ، أما مصير شعبها ، أمـــا مصير الجيوش العربيـــة شرفاً وسمعة ومصيراً ، فأمور بالنسبة إليهم ليست كلها ذات موضوع ...

لقد كان أكثرهم ربيباً للاستعمار والدول الاستعمارية التي خلقت إسرائيل ، وهل يكون في شجرة الشوك غـــير الشوك ؟!

دخلت الجيوش العربية فلسطين خلافاً لأي مبـــدأ من مبادىء الحرب ... وهـــذا مفهوم عند العسكريين المختصين . وقد لا يستمتع المدني في قراءة القضايا الفنيـة

العسكرية البحتة ، ولكن لا بأس من إيراد أمثلة مبسطة عن ذلك .

كان دخول تلك الجيوش خلافاً لمبدأ (المباغتة) ، فقد كانت تحركاتها مكشوفة لليهود !.

وكان دخول تلك الجيوش خلافاً لمبدأ (تحشيد القوة[١]) ، فقد دخلت فلسطين أجزاء متعاقبة ، ولم يتكامل حشد أي جيش عربي في المكان والزمان المناسبين إلا بعد فوات الفرصة المناسبة .

وكان دخول تلك الجيوش فلسطين خلافاً لمبدأ (الأمن[٢]) ، فقد كانت المعلومات المتيسرة لدى العدو عن الجيوش العربية مستقاة من مصادر شتى لعلّ أهمها ما لدى الدول الاستعمارية من كشوف وبيانات عن الجيوش العربية[٣] ، كما أن أكثر تلك الجيوش كانت محرومة من القوة الجوية التي تقيها وتقي رجالها وتقي خطوط مواصلاتها الحيوية من تهديد القوة الجوية المعادية .

---

(١) تحشيد القوة : هو حشد أعظم قوة أدبية وبدنية ومادية واستخدامها في الزمان والمكان الجازمين .

(٢) هو توفير الحماية للقوة ولمواصلاتها لوقايتها من المباغتة ، ومنع العدو من الحصول على المعلومات .

(٣) عندما كانت الجيوش العربية تشتري الأسلحة من دول الغرب الاستعمارية ، كانت تقدم كشوفاً بما عندها من سلاح وعتاد الى تلك الدول ، وقد ثبت أن بعض تلك الكشوف وصلت إلى إسرائيل (انظر كتاب : ثمن إسرائيل – لمؤلفه اليهودي الفريد ليتنتال) .

وكان دخول تلك الجيوش أرض فلسطين ، خلافاً لمبدإ (المرونة[1]) ، فقد كان أكثر الجيوش العربية فقيراً بوسائط النقل ، وقد جرى تنقل بعضها بالسيارات المدنيــة بالرغم من وجود محاذير قاصمة لظهر مبــدأ (الأمن) من جراء تنقل القطعات العسكرية بالسيارات المدنية ، وبذلك فقدت تلك الجيوش قوة العمل السريـع .

وكان دخول تلك الجيوش فلسطين خلافـــاً لمبــدأ (التعاون[2]) ، بل كان دخولها بالشكل الذي جرى فعلاً مهزلة من مهازل تاريخ الحرب .

إن التعاون بين الجيوش العربية كان مفقوداً ، بل كانت أقرب الى التجافي منها الى التصافي ...

وللتاريخ فإن الجيوش العربية – ضبّاطاً ومراتب – كانوا على أحسن ما يكون من حب وولاء وأخوة صادقة ، وكان كثيراً ما يتبادل أفرادها الزيارات فيما بينهم على الرحب والسعة ، ولكن التيارات السياسية المتناقضة للدول العربية تنعكس

---

(١) المرونة: كان يسمّى هذا المبدأ قبل الحرب العالمية الثانية بمبدأ : (قابلية الحركة) ، ومعنى المرونة: قابلية الحركة الهادية وقوة العمل السريـع . .

(٢) التعاون : هو توحيـد جهـود الصنوف والقطعات كافـة لبلوغ الغرض المنشود .

تلقائياً على جيوشها ، فلا تلاقي في نفوس منتسبي الجيوش غير الاستنكار والاشمئزاز .

ولكن كل ما في الدنيا من عواطف نبيلة لم تكن لتستطيع أن تفعل شيئاً تجاه أهواء السياسيين والتزاماتهم المريبة !!

لقد ظهر مبلغ حب الجيوش العربية لبعضها واضحاً جلياً حين تعرض الجيش المصري للهجوم اليهودي ، فحين كان الجيش المصري وحده ، كانت الجيوش العربية الأخرى تغلي حماسة وتتقد شعوراً وتمتلأ رغبة لمشاركة الجيش المصري في قتال يهود ، وقد تعالت احتجاجات الضباط وكاد أن يشيع العصيان والتمرد في صفوف تلك الجيوش احتجاجاً على بقائهم بعيدين عن معاونة الجيش المصري في كفاحه المرير .

ولكن النتيجة — وهذا هو المهم — أن الجيش المصري بقي يقاتل وحده في الميدان !!.

— ٥ —

لماذا خسرنا الحرب في فلسطين ؟.

لعلّ فيما قرأته ما يجيب عن ذلك بإيجاز شديد .

ولكن لا بأس أن أعيد أسباب اندحارنا في فلسطين بخطوطها العريضة اختصاراً لما ذكرته بإيجاز من أسباب .

أول تلك الأسباب ، فشل السياسة العربية في إفهام

العالم بأجهزة إعلامها وبوسائلها الدبلوماسية ومن خلال المنظمات الدولية ، بحق العرب التاريخي والواقعي في أرض فلسطين .

يهود يزعمون أنهم مشرّدون في العالم ، وفلسطين بالنسبة لهم هي أرض الميعاد .

ولكن فلسطين كانت للعرب منذ أربعة عشر قرناً ، وأهلها اليوم من العرب ، فهل من المعقول ومن الإنصاف أن يشرد أهلها العرب ليحل محلهم مشردو العالم من يهود ؟.

هل من المعقول أن تحل مشكلة يهود بتشريد العرب ؟.

هل من المعقول أن يتنازل البريطاني مثلاً لغيره عن داره وأملاكه ، ويرتحل عنها تاركاً إياها لأهل بريطانيا الأصليين .

هل من المعقول أن يغادر الأمريكيون الولايات المتحدة الأمريكية تاركين بيوتهم ومزارعهم ومعاملهم الخ .. ليحل محلهم الزنوج الحمر من أهل أمريكا الأصليين ؟.

هذه الحقائق البديهية ، لم تستطع السياسة العربية إقناع الدول الاستعمارية بها ، فكانت أجهزة إعلامهم تتخبط في متاهات الخيال ، وكانت أصواتهم في هيئة الأمم المتحدة

تبدو مبحوحة لا تُسمع إلا همساً ، وكانت سفاراتهم في الخارج وكأنها متفرجة .

أما سياسة الصهاينة فكانت نشيطة غاية النشاط : رجالها في حركة دائبة ، وأجهزة إعلامها مسيطرة على صحافة العالم وإذاعاته ، والمال الصهيوني الحرام والجنس الصهيوني يعملان عملهما في تخريب ذمم السياسيين !!.

وانتصرت السياسة الصهيونية بما لديها من تخطيط وتصميم ، على السياسة العربية بما فيها من تخبط وارتجال ...

والسبب الثاني ، هو عدم إعداد الفلسطينيين تنظيماً وتدريباً وتسليحاً وتجهيزاً وقيادة لتحمل مسؤولياتهم الكاملة في الدفاع عن وطنهم السليب .

أما الصهاينة ، فقد أعدوا العُدة الكاملة لليوم الموعود ، واستفادوا من كل دقيقة تمر لإنجاز استحضارات يهود فلسطين من الوجوه كافة لتحمل مسؤولياتهم الكاملة في اغتصاب أرض فلسطين .

وكان الاستعمار مع الصهاينة ، وكان الاستعمار على العرب .

وانتصرت استحضارات الصهاينة لليهود حسب خطة مرسومة وتوقيت دقيق ، على العرب الذين حرموا من جميع أنواع الحرية للعمل ، فضاعت فلسطين ...

والسبب الثالث ، هو عدم وجود حكومة لفلسطين تعد العدة وتأخذ الأهبة وتقود الفلسطينيين وتحل مشاكلهم وتسمع صوتها الى العالم الخارجي ، وتنسق جهود الدول العربية لمعاونتها في مهامها ، وتعد المقاتلين الفلسطينيين وتزودهم بالسلاح والعتاد ، وتنظم صفوفهم وتسهر على تدريبهم وتعد المخططات الضرورية للقتال ...

لقد كانت مسؤولية كل ذلك ضائعة بين الدول العربية وبين التنظيمات الفلسطينية وبين جامعة الدول العربية ، وبين المؤتمرات والاجتماعات ، وبين العديد من الهواة الذين حشروا أنفسهم في قضية فلسطين دون معرفة حقيقية بمشاكلها .

لقد كان الكثيرون من المسؤولين وغير المسؤولين يعتبرون أنفسهم كل شيء في قضية فلسطين قبل حلول النكبة .

ولكن هؤلاء أنفسهم تنصلوا من كل مسؤولية صغيرة أو كبيرة بعد حلول النكبة ، وألقوا بالمسؤولية الكاملة على غيرهم من الناس ...

لقد كان الأمر كله مهزلة من مهازل الارتجال والارتباك !

والسبب الرابع ، عدم وجود قيادة عربية موحدة منبثقة منذ السلم وقبل فترة مناسبة لإعداد الخطط

العسكرية المدبرة ، والعمل على توحيد الجيوش العربية وتدريبها وتجهيزها وتسليحها وتنظيمها وإجراء التمارين (المناورات) المشتركة بينها نظرياً وعملياً لإبراز أهمية تعاونها ، وجمع المعلومات عن قوات الصهاينة مبكراً ، وتزويد مقرات الجيوش العربية بالخرائط اللازمة ، وعمل خطة إدارية لإمدادها بالسلاح والعتاد والأرزاق والنقلية ، واستكمال استحضاراتها الدقيقة منذ السلم لخوض معركة قد تطول .

وفي الحرب ، تكون هذه القيادة جاهزة لتطبيق خططها العسكرية المدبرة في المكان والزمان المناسبين ، وتكون حاضرة فعلاً على قيادة الجيوش العربية بعد أن عرفت منذ السلم مزاياها وقياداتها والواجبات التي يمكن أن تنجزها في ميادين القتال .

بذلك وحده يمكن أن تتعاون الجيوش العربية تعاوناً حقيقياً ، وبدون ذلك تقاتل إسرائيل جيوشاً عربية منفردة لا مجتمعة ، كما حدث فعلاً في حرب ١٩٤٨ على الرغم من وجود سبعة جيوش عربية شقيقة في الميدان !!.

والسبب الخامس ، أن الجيوش العربية لم تكن جاهزة بحق من الوجوه كافة حين دخلت إسرائيل ...

لم يكن قادة الجيوش العربية قبل وقت مبكر يعرفون

أنهم سيدخلون الحرب في أرض فلسطين، وفجأة ومن غير إنذار قصير أو طويل أمرهم السياسيون أن يتجهوا (فوراً) صوب فلسطين .

كانت هذه الجيوش تستورد السلاح من الغرب ، وكانت تشتري سلاحها وعتادها ودروعها وطائراتها بثمن لقمة العيش تقطعه من فم الشعوب العربية ، وكان الثمن غالياً ولكن كان دلال الغرب كثيراً .

تسويف في مواعيد إعطاء السلاح والعتاد والمعدات ، وتفكير عميق مفتعل قبل الموافقة على الوعد بإعطاء السلاح والعتاد والمعدات ... وأخيراً عندما يصل السلاح والمعدات الى الجيوش العربية لا يصل إليها كاملاً ، بل لا بدّ من وجود نقص مهم في ناحية من النواحي ، يفسد الصفقة كلها ويجعلها ليست ذات فائدة .

مثلاً تصل المدافع ... بلا عتاد ...

أو يصل العتاد ... بلا مدافع ...

أو تصل الدروع ... بلا أدوات احتياطية ...

الحاصل ، يبدأ الرد والبدل ، ويمضي الوقت طويلاً ثقيلاً قبل أن يتكامل وصول الأسلحة والمعدات .

دخلت بعض الجيوش العربية أرض فلسطين بأسلحة

قديمة ، منها بنادق صنعت عام ١٩١٧ .

ودخلت بعضها بدون عتاد احتياطي .

ودخلت بعضها بأسلحة فاسدة وبعتاد فاسد ...

ودخلت بعضها بدون دروع ....

ودخلت بعضها بدون سيارات نقلية آلية ...

ودخلت بعضها بدون إسناد جوي !...

والحديث عن ذلك طويل طويل ... والخلاصة أن الجيوش العربية دخلت أرض فلسطين بأسلحة محدودة وبعتاد محدود ...

وكان بإمكانها حينذاك أن تنتصر في حرب خاطفة كحرب الصاعقة التي طبقها الألمان في فرنسا عام ١٩٤١ .

ولكن لا الجيوش العربية كانت مستعدة لمثل هذه الحرب ولا السياسة العربية الخفية كانت تسمح لجيوشها أن تمارس مثل هذه الحرب .

حرب الصاعقة تحتاج الى إعداد دقيق وخطط مدبرة ومعلومات عن العدو مفصلة وأسلحة برية وجوية متفوقة ، وسلاح وعتاد ومعدات لا تنضب ... وتدريب فائق وتعاون متين ...

وأهم من ذلك ، فإنها تحتاج إلى قيادة عامة موحدة لتنسيق حركاتها وتأمين تعاونها الوثيق .

ولم يكن كل ذلك أو بعضه متيسراً للجيوش العربية ، ولم يكن للساسة العرب أو لأكثرهم على الأصـــح ، إرادة على القتال وتصميم عليه ...

وما هكذا تورد يا قيس الابل ...

وما هكذا تخوض الجيوش غمار الحروب ...

وما هكذا ينتصر من ينتصر في القتال ...

يقابل ذلك من جهـة الصهاينة تدريب طويل وحرب إجماعية جنّد لها يهود كل طاقاتهم المادية والمعنوية ، وسلاح وعتاد ومعدات لا ينضب معينها تنتجها في الداخل محلياً من بعض معاملها ، وتردها من الداخل سراً من مستودعات جيش بريطانيا ، فإذا انكشف أمر هـــذا السلاح ادعت السلطات البريطانية أن اليهود اغتصبوه بالقوة من مستودعات الجيش !!!.

وتردها الأسلحة والمعدات من كل دول العـــالم بغير استثناء عدا الدول العربية والإسلامية ...

كانت كل هـــذه الكميات الهائلة من السلاح والعتاد والمعدات لديهم ، ولكنهم ينوحون ويستغيثون بدول العالم زاعمـين أن العرب سيقضون عليهم لأنهم يفتقرون الى السلاح ...

كانت هذه سياستهم في طلب العون ... أي عون .

وبقيت هذه سياستهم حتى اليوم ...

وستبقى هـــذه سياستهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ...

أما العرب ، فلا بد أن يتظاهروا بالقوة والجبروت ، حتى ولو كانوا ضعفاء فقراء .

لأن التظاهر بالضعف والفقر يقض مضاجـــع الآباء والأجداد ...

والسبب السادس ، أن العرب لم يستفيدوا من منابـــع ثرواتهم الطبيعيـــة وطاقاتهم الاقتصادية للضغط على الدول التي تساند إسرائيل سراً وعلانية .

كان بإمكانهم قطـــع النفط عن تلك الدول ، ولكنهم لم يفعلوا ...

وكان بإمكانهم مقاطعة تلك الدول اقتصادياً ، ولكنهم لم يفعلوا ...

وكان بإمكانهم حرمان تلك الدول من مطاراتهم ، ولكنهم لم يفعلوا ...

ولكن ، كيف كانوا يستطيعون أن يفعـلوا شيئـاً ،

وقاعدتا الحبانية والشعيبة في العراق ، والجيوش البريطانية في مصر ، ومناطق النفوذ لفرنسا في لبنان ولبريطانيـا في الأردن ؟.

إن الذين يطالبون الدول العربية عام ١٩٤٨ بمثل هذه المواقف والأمور ، هم كالمستجير من الرمضاء بالنار ...

ولكن من جهة أخرى كانت حرب فلسطين حرب حياة أو موت بالنسبة للعرب ...

فلا بد أن تفعل الحكومات العربية كل شيء للأخذ بزمام النصر .

وإلا فلمـاذا تورط جيوشها في حرب مكشوفة ، ولا تبذل كل طاقاتها من أجل انتصار جيوشها .

أيهون على مسؤول — أي مسؤول — أن يخسر شرف جيشه وشرفه بالذات للحفاظ على كرسيه الوثير ؟!.

لقد حدث ذلك فعلاً ، عندما خسر العرب الحرب في فلسطين ، وبقي حكامهم في مناصبهم الرفيعة .

ولو كانت لهم ذرة من ضمير ، لضحوا بكل حطام الدنيا ومن أقلها المناصب من أجـل الحفاظ على الشرف المضاع ...

لقد ماتوا وهم أحياء ، لأنهم لم يؤدوا واجباتهم كاملة

نحو شعوبهم ، ومـا الموت لمن انقضى أجله ، ولكن الموت موت الأحياء ...!

واليوم ... أين هم ؟

وغـداً ... سنقول : أين من فرّط بحق فلسطين من الحكام ...

والتاريخ هو الحكم العادل ، وقـد قال كلمته في المفرطين الأولين ، وسيقول كلمته في المفرطين الآخرين ...

وما عند الناس لا يبقى ، وما عند الله خير وأبقى .

والسبب السابع ، هو فشل الحكومات العربيـة في الافادة من المتطوعين العرب والمسلمين .

وأكاد أقول : إن العراقيل والعقبات وضعت في طريق التحاق هؤلاء المتطوعين بفلسطين .

ولم يُحسن اختيار المتقدمين للتطوع ، فانخرط في صفوفهم بعض الشذاذ والأفاكين ...

وقد ترك هؤلاء آثاراً سيئة في نفوس بعض الفلسطينيين لا تمحوها السنون والدهور .

تاجر بعضهم بالأسلحة واعتدى بعضهم على النـاس الآمنين ، وفعل بعضهم الأفاعيل ...

ولم تكن قياداتهم المحلية بمستوى مسؤولياتها العسكرية ، وكانت أقل بكثير من مستوى المعدّل المطلوب .

وكان كثير من المتطوعين مخلصين غـــاية الاخلاص ، فحوربوا من بعض جيوش الدول العربيـــة حرباً لا هوادة فيها : انتزعت أسلحتهم ، وسجن بعضهم ، وطورد آخرون ، وحرموا من كل معاونة مادية أو معنوية .

وكانت القيادة العامة للمتطوعين إسماً على غير مسمى ، فهي لا تملك من الأمر شيئاً ، ولا تأثير لها بصورة عملية على سير أعمال المتطوعين !

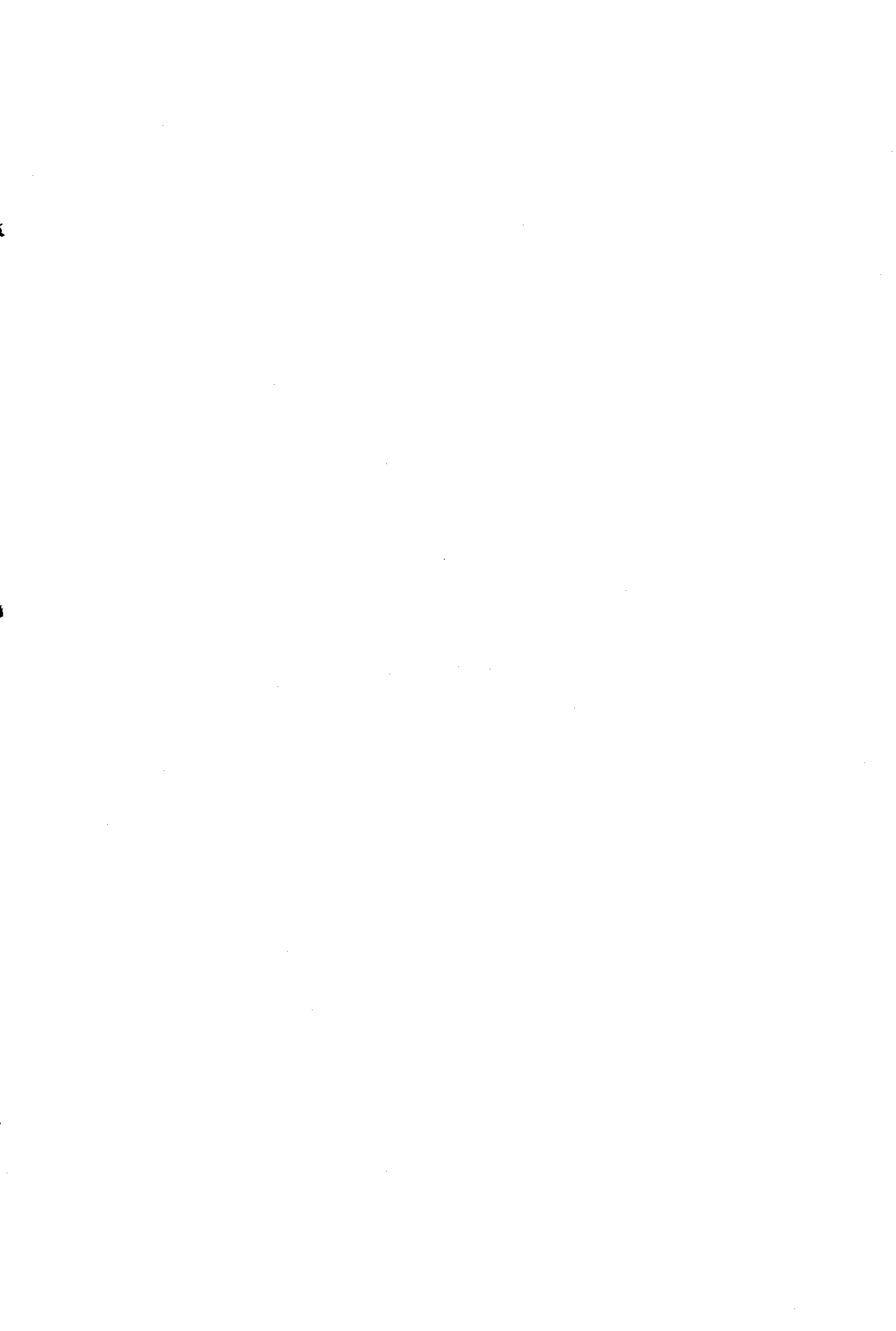
تلك هي بعض الأسباب المهمة لهزيمة العرب في فلسطين وهناك أسباب كثيرة أخرى قد تكون أقل أهميـــة من تلك الأسباب !

فما هو طريق النصر في معركة أخذ الثأر ؟

ولكي تقدر عوامل النصر ، لا بد أن تعرف حقيقة العدو الذي تريد الانتصار عليه .

فما هي حقيقة إسرائيل ؟!

حَقيقة إسرائيل



وهذه الدول لها علاقات اقتصادية متينة مع إسرائيل ، وليس سراً أن بعض ما تنتجه معامل إسرائيل يذهب الى تلك الدول ويصدر منها الى الشرق الأوسط والى إفريقيّة .

وليس سراً أن المعونات الاقتصادية التي تبذلها تلك الدول لإسرائيل ضخمة جداً ، وللوكالة الصهيونية فروع في تلك الدول تجمع المال الوفير لدعم اقتصاد إسرائيل ...

يكفي أن نذكر أن التبرعات التي يجمعها يهود من الولايات المتحدة وحدها هي أكثر من ميزانية بعض الدول العربية .

تلك الدول تفسح المجال للمنظمات الصهيونية في بلادها أن تجمع ما تشاء متى تشاء من تبرعات .

وتلك الدول تقدّم القروض السخية لإسرائيل .

وتلك الدول تعاون إسرائيل في جمع المال من بلادها بالسندات الإسرائيلية ، فتنفذ تلك السندات بسرعة مذهلة .

يهود يسيطرون على مصارف الدول الكبرى مولين وإداريين ومضاربين .

وهذه الدول وغيرها تساند إسرائيل علمياً وتزودها بالخبرات العلمية بما فيها صناعات الأسلحة الخفيفة والثقيلة والصواريخ والقنبلة الذرية .

عوامل قوة إسرائيل

- ١ -

في إسرائيل عوامل قوة وعوامل ضعف .

فما هي عوامل قوتها ؟

ليست إسرائيل وحدها ، بل وراءها دول قوية تصرّح دائماً : إن إسرائيل ولدت لتعيش .

هذه الدول وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا وفرنسا تساند إسرائيل بكل إمكاناتها السياسية والاقتصادية والعلمية والعسكرية سراً وعلانية .

كانت سياسة هذه الدول وغيرها مع إسرائيل في هيئة الأمم المتحدة وفي مجلس الأمن .

وكانت رؤوس هذه الدول وغيرها تستقبل ساسة إسرائيل بالأحضان[١] .

---

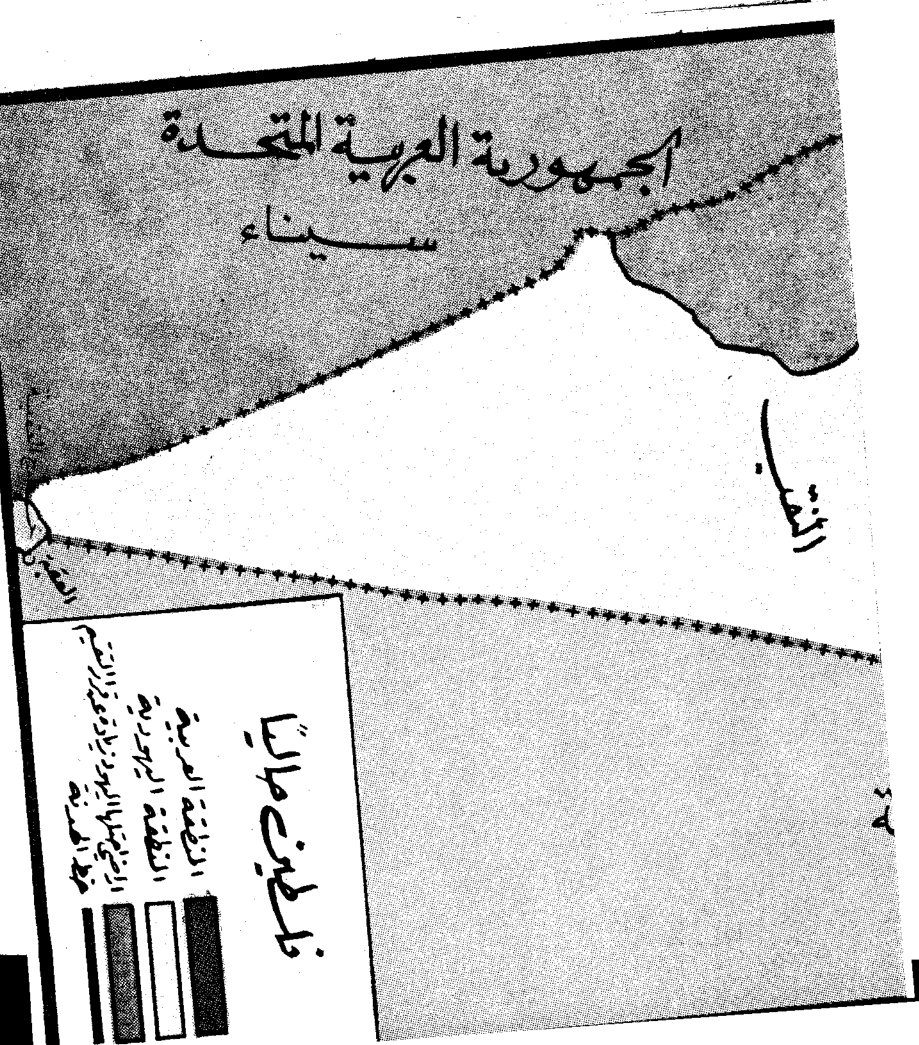
(١) استطاعت وزيرة خارجية إسرائيل مقابلة أكثر زعماء بريطانيا خلال يومي ٢١ و٢٢/٩/١٩٦٥ .

في جامعة إسرائيل كثير من علماء تلك الدول

وفي جامعـــات تلك الدول يهود هم بالجنسية فقط من أبنائها ، ولكنهم بالولاء من إسرائيل ...

ومن سخرية القدر أن يدرِّس الشريعة الإسلاميـة في أكبر جامعات إنكلترا يهودي !!

ومن سخرية القدر أن يكون بعض المستشرقين من يهود



وزودتها فرنسا بمواد صنع القنبلة الذرية كما ذكرت ذلك فرنسا بالذات .

ولعلّ قصة الإعتداء الثلاثي على الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٦ لم تغب عن الأذهان .

وألمع أسماء قادة جيوش بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية ، يزورون إسرائيل من حين الى آخر ، وليست زياراتهم هذه بأي حال من الأحوال لوجه الله .

ولا أزال أذكر مقال الجنرال (هوركس) قائد الفيلق الثالث عشر البريطاني في معركة (العلمين) خلال الحرب العالمية الثانية ، والذي تحمل هو وفيلقه أعباء المعركة كلها وحصل على نتائجها الباهرة التي بدلت مصير الحرب . لا أزال أذكر مقاله الذي نشره في جريدة (التايمس) اللندنية غزلاً بجيش إسرائيل بعد عودته من زيارته لإسرائيل .

والحديث عن معاونة الدول الإستعمارية عسكرياً لإسرائيل يطول ، ولعل أمر ذلك معروف مكشوف إلا بالنسبة للذين فقدوا عقلهم وبصرهم وبصيرتهم ، أو بالنسبة للعملاء .

- ٢ -

ومن عوامل قوة إسرائيل الصهيونية العالمية التي تضم

بين صفوفها وزراء وأعضاء في مجلس الشيوخ الأمريكي وأعضاء في مجالس النواب الأمريكي والبريطاني وعلماء وكتاباً وأدباء وشعراء وأطباء ومحامين الخ ... في مختلف الدول الغربية .

لقد عملت هذه الصهيونية العالمية لإسرائيل كثيراً ، ولا تزال تعمل لها وستبقى أقوى دعائمها .

تدعم الصهيونية العالمية إسرائيل سياسياً واقتصادياً .

وتدعمها بوسائل الإعلام لمختلف الدول الإستعمارية الكبرى وحتى لبعض الدول الناشئة كما هو في بعض الدول الإفريقية .

لقد سيطرت الصهيونية على أقوى الصحف ، بالمال تارة وبالاعلان أخرى ، وبوسائل أخرى يندى لها الجبين ... !

مثلاً (نيويورك تايمس) كثيراً ما تنشر الدعايات المضرة بمصالح العرب ، فإذا أقدم أحد العرب على تدبيج مقال رداً على تلك الدعايات ، كان نصيب مقاله الإهمال .

وفي المذياع المصوّر[1] الفرنسي كثيراً ما تعرض دعايات قوية لإسرائيل .

وما يقال عن المذياع المصور الفرنسي يقال عن أمثاله في الدول الإستعمارية الأخرى .

---

(١) كلمة وضعناها للتلفزيون .

وهناك ساعات وساعات تذاع فيها دعايات إسرائيل في الإذاعات الإستعمارية .

فكم مرة أذاعت تلك الدول حقائق عن العرب بدلاً عن أباطيل إسرائيل ؟

كان معنا ضابط كبير من النرويج في دورة الأقدمين في إنكلترا ، وكان مشبعاً بالدعايات الإسرائيلية ، الى درجة أنه حين علم بأنني عربي من العراق ، أخذ يتجنب الكلام معي خوفاً من بطشي به أو الغدر به .

ومرّ وقت طويل وهو معرض عني أشد الإعراض دون أن أعرف سبباً لذلك .

وبعد مدة كان من ضمن زمرتي في أحد التمارين ، فصارحني برأيه الصريح في العرب ، فإذا بأفكاره مسممة بدعايات إسرائيل ...

وظهرت له الحقيقة بعد التجربة الطويلة ، ولكن ما فائدة انتكاس واحد على عقبيه ، والشعب كله يرى رأيه الخاطىء الذي كان مقتنعاً به قبل تكشف الحقائق له .

إن الصهيونية العالمية تجعل دائماً إسرائيل مظلومة ، وتجعل دائماً العرب ظالمين ...

وهذه الصهيونية قد تغلغلت كالأخطبوط في أعماق

أعماق مجاهل العالم تنشر الدعاية لإسرائيل وتذيع الأكاذيب على العرب .

- ٣ -

ومن عوامل قوة إسرائيل أجهزة إعلامها القوية .

كنت أتردّد على زاوية الخطبـاء في (هايد بارك) في لندن ، فكان خطبـاء إسرائيل يتناوبون على منبر خاص بهم يندّدون بالعرب ويذيعون عنهم الافتراءات والأكاذيب . ولم أسمع مرة واحدة خطيباً عربياً يقف للرد عليهم .

وكان في لنـــدن حينذاك (١٩٥٤ – ١٩٥٥) سبع سفارات عربية ، فاقترحت على سفارتنا أن تقوم كل سفارة عربية بإرسال موظف منها لساعة واحدة في يوم واحـد من كل أسبوع ، ليقف على منبر الخطابة ويرد على افتراءات خطباء إسرائيل .

ولم يستجب أحد لاقتراحي ...!

وفي يوم من الأيام رأيت أحد القسس يقف خطيبـاً ويقول : « كنت في الشرق الأوسط ، ورأيت مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ، وحالتهم تدعو الى العطف و ... » .

وتجمع حوله أشخاص يغنون ويصفرون ، حتى اختنق

صوته بين ضجيجهم ، فغادر منبره الى منطقة قريبة وجلس على الأرض هناك ليسترد أنفاسه .

وقصدته لأبدي له شكري العميق على شعوره الإنساني ، فقال : « لستم وحدكم مستعمرين من إسرائيل في فلسطين.. إنهم قد استعمرونا في قلب لندن هنا .. » .

لقد اشترت إسرائيل ضمائر كثير من الصحفيين وكثيرٍ من المذيعين ، بالمال الحرام .

وأنشأت كثيراً من الصحف بأسماء مختلفة في دول مختلفة لترويج أباطيلها ومفترياتها .

وسخّرت كل يهود العالم للدعاية لإسرائيل .

وسخّرت كثيراً من غير يهود بالمال أو بالجنس ، فصاروا طوع أجهزة إعلامها المقيت .

وهكذا قُلبت الحقائق رأساً على عقب ، فأصبحت كثير من الأمم تعتقد أن إسرائيل هي حاملة مشعل الحضارة في الشرق الأوسط . وهي التي تقود مسيرة الحضارة العالمية في مجاهل إفريقية السوداء ...

ومن عوامل قوتها وجود استخبارات[١] قوية لها في جميع أرجاء العالم ومن ضمنها الدول العربية .

ولعلَّ محاكمات جواسيس إسرائيل في بعض الدول العربية الشقيقة ، كشفت النقاب عن مخططات إسرائيل الجهنمية لجمع المعلومات عن الدول العربية خاصة وعن الدول الأخرى عامة .

والدرس الذي يجب أن يتعلمه العرب هو : الكتمان ... الكتمان ! فيما نقول وفيما نكتب ، فقد يكون لحديث عابر في سيارة عامة أو في محل عام يؤدي الى ضرر بليغ بمصالح الأمة العربية .

وقد يكون لخبر عابر في صحيفة سيارة ، يؤدي الى ضرر بالغ بسمعة الأمة العربية .

ولعلَّ الذين يصغون الى إذاعة إسرائيل ، يلمسون كيف تتلقف إسرائيل أخبار العرب من الكلام العابر أو من الصحف ، ثم تذيعه على العالم بكثير من الحقد واللؤم ...

---

(١) الاستخبارات : المخابرات أو المباحث كما يطلق عليها في بعض الدول العربية .

لقد اشترت إسرائيل كثيراً من ذمم الأجانب من غير يهود ، وقد يحل سائح من السواح في بلد عربي ، وقد يتظاهر أجنبي بأنه تاجر أو عالم أو أثري ، وهو في حقيقته جاسوس خطير ...

مرة ثانية : الكتمان ... الكتمان ... وقل خيراً أو فاسكت ، وحذار من الهذر .

وحذار من الغانيات خاصة خارج البلاد العربية ، فأكثرهنّ يتقربن للعرب ، ليس من أجل سواد عيونهم ، بل من أجل إسرائيل !

لقد لمسنا عجباً حين كنا في فلسطين من أساليب تجسس إسرائيل .

علمنا يوماً بأن كلمة السر عند جواسيس إسرائيل الذين يعبرون الحدود هو القرآن الكريم من القطع الصغير !

وقبض حراس الحدود في يوم من الأيام على رجل طاعن في السن يرتدي عمامة في رأسه ، مريض ، فيه فتق عميق في بطنه ، يلبس أسمالاً بالية .

وكان المرحوم العقيد الركن عبد الوهاب الشواف هو ضابط استخبارات جحفل لواء جنين ...

وبدأ الشواف يستجوبه ، ثم فتشه تفتيشاً دقيقاً ، فرأى

في طيات ثيابه أربعة آلاف جنيه .

ووجد في جيبه قرآناً صغيراً ، فلمـــا سأله عن سر وجود القرآن عنده ، زعم أنه مسلم يقرأ القرآن ويتبرك به .

وأخيراً اعترف بأنه يهودي ، وأنه يرتدي العمامة ليوهم الناس بأنه من رجال الدين .

وأنه يحمل هذا المال الى شبكة للتجسس في منطقـة نابلس !!

إن إسرائيل حاذقة في التجسس الى أبعد الحدود .

وهذا جعلها ويجعلها تحصل على معلومات مذهلة عن العرب وعن غيرهم ، فتسير نحو أهدافها مفتوحة العينين .

أما الذين لا معلومات مفصـــلة لديهم عن عدوهم ، فيسيرون في الظلام ...

— ٥ —

ومن عوامل قوة إسرائيل تصنيع بلادها .

في إسرائيل صناعات كثيرة ، حتى تكاد إسرائيل تكتفي بصناعاتها المحلية وتصدر من صناعاتها الى الخارج .

وقد سيطرت إسرائيـل على كثير من أسواق الدول ،

خاصة في إفريقية ، وبعض الدول الآسيوية ، وفي أمريكا اللاتينية .

ولا تكاد تجد صحيفة أجنبية إلا وفيها إعلانات كثيرة عن صناعات إسرائيل .

حتى الدول التي تقاطع إسرائيل اقتصادياً وسياسياً ، استطاعت إسرائيـــل في كثير من الحالات بأساليبهـا الشيطانية ، أن تهرّب بعض منتوجاتها الصناعية الى أسواق تلك الدول .

بعض منتوجاتهم تذهب الى (قبرس[1]) مثلاً ، وهناك تغلّف وتوضع عليها علامات لبعض الدول ، ثم تهرّب منها الى أسواق بعض الدول العربية ، حيث تنتشر من تلك الأسواق الى جميع البلاد العربية .

إسرائيل قد أنشأت بعض الصناعات بأسمـاء شتى في بعض الدول الأوروبية والأمريكية ، ومن هناك تصدّر هذه المصنوعات الى جميع دول العالم على اعتبار أنها منتوجات فرنسية أو بريطانية أو أمريكية الخ ...

إن المعامل الصناعية في إسرائيل ، تملأ ساحات كبيرة من بلادها ، وفي كل يوم لها مصانع جديدة .

---

(١) الصحيح هو : قبرس لا قبرص . انظر كتب الجغرافية العربية القديمة كمعجم البلدان ، وانظر كتب تاريخ الاسلام كالطبري .

إن يهوداً تجار اقتصاديون صناعيون ، وهم لا يشق لهم غبار في هذا المجال .

ولكـن الذي يهمنا هنا هو صناعة الأسلحة المختلفة في إسرائيل .

لم يقتصر إنتاج إسرائيل للأسلحة والعتاد والمعدات ليكتفي جيشها ذاتياً بما تنتجه ، بل ذهب إلى مدى أبعد من ذلك .

إنها تصدّر الأسلحة الى كثير من دول إفريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية ، بل إنها صدّرت بعض الأسلحة الى المانيا الغربية أيضاً ، كما ذكرت ذلك بعض الصحف العربية والأجنبية قبل عام تقريباً .

لقد احتكرت إسرائيل تزويد بعض الدول الإفريقية والآسيوية بالسلاح ، وقد زوّدت جيش بورنيو بكل سلاحه وعتاده .

ورؤساء أركان جيوش بعض الدول الإفريقية وضباطهم ذاهبون وغادون من إسرائيل .

ومدارسها العسكرية تعج بالضباط الإفريقيين ، لتدريبهم على استعمال الأسلحة الإسرائيلية . . !

حتى لقد اشترك رئيس أركان جيش الكونغو في دورة تدريبية في إسرائيل .

وإسرائيل حين تستضيف أولئك الضباط ، تفعل من أجلهم كل شيء لتأمين راحتهم وللإستحواذ على قلوبهم ولربطهم بعجلتها الى الأبد .

كان ممثلو الهدنة المنسوبون الى هيئة الأمم المتحدة بعد فرض الهدنة في فلسطين عام ١٩٤٨ ، يأتون إلينا ويذهبون الى إسرائيل .

وقد حدّثني أحدهم عما يلاقيه ممثلو الهدنة من حفاوة بالغة في إسرائيل : ينزلون أعظم الفنادق ، ويتناولون أفخر الأطعمة ، ويشهدون أشد الحفلات الترفيهية فسقاً وفجوراً ، وترعاهم جماعة خاصة تقدم لهم فوراً كل ما يشتهون ، ويتناولون الهدايا الثمينة ، ويأوون الى أجمل النساء في أرقى العائلات ... فكيف لا ينقل هؤلاء بعض المعلومات عن الجيوش العربية الى إسرائيل .

وقال ممثل الهدنة هذا – وهو ضابط برتبة مقدم – ، وهو متكىء على فراش سفري في خيمة من خيام الميدان ، بعد أن تناول وجبة طعامه البسيطة التي تقدم إلينا : (الرز والمرق) : « إن ما تفعله إسرائيل تجاه ممثلي الهدنة ، قد ملك قلوبهم وجعلهم يوالون إسرائيل دون قيد ولا شرط !! » .

أساليب إسرائيل للإغراء أساليب جهنمية لا يستطيع

أن ينافسهم فيها أحد ، وهم يبذلون من أجل ذلك كثيراً من المال وكثيراً من الشرف الذي لا قيمة له عندهم .

إن الغاية عندهم تبرّر الواسطة !.

وإسرائيل ستصنع القنبلة الذرية ، وسنأتي على تفصيل ذلك في فصل خاص جديد ، نظراً لأهمية هذا الموضوع .

الخلاصة إن إسرائيل تتقدم بخطوات واسعة الى الأمام في طريق التصنيع ، أما العرب ؟!.

- ٦ -

ومن عوامل قوة إسرائيل هيمنتها سراً وعلانية على المال في العالم .

والمال هو عصب الحرب .

أسهم المصارف العالمية أكثرها لليهود ، وأرجو ألا ينخدع الناس بادعاء يهود : أن يهوداً شيء وإسرائيل شيء آخر !.

إن يهوداً في العالم أينما كانوا وحيثما حلوا ، يدينون بالولاء لإسرائيل أولاً ، ولأوطانهم التي يقطنونها ثانياً ، هذا إذا كان لهم أي نوع بأي مقدار من الولاء للبلاد التي يعيشون فيها خارج إسرائيل .

وأموال يهود في العالم تهرّب علناً أو سراً الى إسرائيل ، وقد كشفت بعض المحاكمات في بعض الدول العربية حقيقة تهريب أموال يهود من تلك الأقطار الى إسرائيل.

والتبرعات العلنية وحدها التي تتدفق من شتى أنحاء العالم الى إسرائيل ، تكوّن رصيداً ضخماً من المال تنتقل سنوياً باستمرار من رصيد دول العالم الى رصيد إسرائيل .

وحكاية الضيق الاقتصادي في إسرائيل التي ترددها بعض الصحف العربية بين حين وآخر ، حكاية فجّة مملّة لا أشك أن مصدرها إسرائيل وأجهزة إعلامها في الداخل والخارج ، تنتقل الى صحف بعض الدول العربية لتخدير عواطف شعوبها .

تنتقل هذه الحكاية الى بعض الصحف العربية بحسن نية ولإملاء الفراغ ، فيرددها بعض الناس كأنها حقيقة لا غبار عليها .

وقد بقي بعض يهود في قسم من البلاد العربية لثرائهم العريض ، فآثروا الإنزواء عن الأسواق المحلية ، ولكنهم يسيطرون على الناحية الاقتصادية في تلك البلاد من وراء ستار ، وأموالهم تستثمر من وراء ستار أيضاً ، بأسماء غيرهم من العرب مع الأسف الشديد ...

وقد رأينا بعض العرب من أصبح غنياً فجأة ، وهو

في حقيقته شبح للغنى ، أما الأصل فيهودي خلفه !!.

هذا العربي يحمل الطبل في عنقه ، أمـا الذي يضرب عليه فهو يهودي !!.

والذي يطعن أمه بخنجره من الخلف ، أخف جرمـاً من الذي يطعن أمته بخنجره من الخلف ، لأن الأول يجرم بحق فرد ، والثاني يجرم بحق الملايين .

والمال الحرام كالشجرة الخبيثة لا تثمر إلا نكداً .

وقد آن الأوان لكي تكشف الأمة العربية كل عميل خائن ، وهي قادرة على ذلك إن أرادت .

هؤلاء يهود الذين بقوا في البلاد العربية ، أكثر أولادهم ذكوراً وإناثاً في إسرائيل ، والاتصالات بين الطرفين مستمرة والتعاون شديد .

فلماذا يتستّر عليهم بعض العرب ... لماذا ؟.

إن الذي يشك في سيطرة إسرائيل على أكثر مال العالم ، لا بد أن يكون مخدوعاً أو مغفلاً أو فاقد العقل[1] ..

---

(١) في ٥ / ٧ / ١٩٦٦ قدّمت إسرائيل مساعدة فنية لخمس دول من دول أمريكا الوسطى مقدارها ٣٠٠٠٠٠٠ دولار .

- ٧ -

ومن عوامل قوة إسرائيل وسائلها التخطيطية الدقيقة المتقنة .

كل شيء في إسرائيل يسير حسب تخطيط عميق ودراسة شاملة ، وتنظيم دقيق ، وخطة مرسومة .

والإرتجال من أي نوع بعيدٌ عن إسرائيل ...

والعاطفة من أي نوع بعيدة عن إسرائيل ...

سياستها الخارجية تسير حسب تخطيط ، وسياستها الداخلية تسير حسب تخطيط .

وتصنيعها يسير حسب تخطيط ، وتجارتها الخارجية تسير حسب تخطيط ، وزراعتها تسير حسب تخطيط ، واقتصادها كله يسير حسب تخطيط .

جيشها مثلاً يؤدي واجبه في الدفاع عنها ، ولكنه يعمل في نفس الوقت في التعمير واستصلاح الأراضي والزراعة ، حتى ينتج لبلاده أضعاف ما يكلف الدولة من نفقات .

وجيوش العالم كلها ، تستهلك ولا تنتج : تؤدي واجبها في الدفاع عن سيادة بلادها ، مقابل ما يصرف عليها من أموال .

إلا جيش إسرائيل ، فينتج أكثر مما يستهلك ، ويعمل في جبهتين في آن واحد : في الدفاع عن البلاد ، وفي الإنتاج ، وكل ذلك يجري حسب تخطيط دقيق موقوت .

والاحصاءات الدقيقة المتجددة دوماً ، تعمل عملها المجدي في دعم تخطيط إسرائيل .

فلا تخطيط سليم ، بدون إحصاء دقيق .

وهيئات التخطيط في إسرائيل ، تشغل أبرز مكان في كل مؤسسة عامة أو خاصة .

وهذا ما جعل أعمال إسرائيل ناجحة غاية النجاح .

- ٨ -

ومن عوامل قوة إسرائيل جيش إسرائيل .

عوامل قوة جيش إسرائيل ، وجود ضباط فيه لهم خبرة عملية في الحرب العالمية الثانية يوم كانوا في لواء يهود الذي اشترك مع الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ، وقد انضم هؤلاء الى جيش إسرائيل بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها.

وضباط إسرائيل كباراً وصغاراً يشهدون الدورات

التدريبية في جميع المدارس العسكرية للدول الكبرى ، خاصة في فرنسا وإنكلترا وأمريكا .

ضباطهم الصغار يشتركون في مدارس المشاة ومدارس المدفعية ومدارس المخابرة[1] والكليات العسكرية وكليّات الطيران ومدارس الدروع ومدارس الهندسة الآلية الكهربائية .

وضباطهم القادة من رتبة رائد[2] الى رتبة عقيد ، يلتحقون بالوحدات العسكرية الأجنبية ، ويشهدون التمارين العسكرية ، ويشتركون في كليات الأركان وفي دورات مدارس الضباط الأقدمين[3] .

وجيش إسرائيل يتلقى آخر كتب ومحاضرات كليات الأركان ومدارس الضباط الأقدمين ومدارس الأسلحة المختلفة ومدارس التدريب الإداري من البلاد الأجنبية ، وآخر ما يصدر من كتب ونشرات عن مديريات التدريب العسكري للدول الأجنبية .

إن جيش إسرائيل يواكب التقدم العسكري علمياً

---

(١) صنف المخابرة : هو سلاح الإشارة كما يطلق عليه في بعض جيوش الدول العربية .

(٢) رائد : رئيس أول أو وكيل قائد كما يطلق على هذه الرتبة في قسم من الجيوش العربية .

(٣) دورات الضباط العظام .

ويتلقى أحدث أنواع التدريب .

وجيش إسرائيل مكوّن من جيش نظامي ، وجيش عصابات .

الجيش النظامي يتلقى أحدث أنواع التدريب الفردي والإجمـــالي ، ويجري التمارين العسكرية المستمرة في مختلف فصول السنة ، خاصة في أوائل الشتاء ، تحت ظروف الطقس المتغير القاسي .

وعصابات إسرائيل ، تتلقى أحدث أنواع التدريب على حرب العصابات وحرب الشوارع والمدن .

وجيش إسرائيل مسلّح أحسن تسليح ومجهّز أحسن تجهيز ، ومنظم أحسن تنظيم .

وهو يمتلك قوة جوية تساوي ما تملكه الجيوش العربية منهـــا مجتمعة ، كما تدعي إسرائيل ، وكما يزعم من وراء إسرائيل من الدول الإستعمارية ، وأكبر الظن أنها تخفي من أمر قوتها الجوية أكثر بكثير مما تعلن .

وإسرائيل على وشك أن تنتج القنبلة الذرية .

وجيش إسرائيل يتكون من كل قادر على حمل السلاح في إسرائيل ذكوراً وإناثاً : منهم جيش في الخدمة ، ومنهم جيش إحتياطي ...

وكلٌّ قادر على حمل السلاح في إسرائيل ، مدرَّب تدريباً

راقٍ على استعمال مختلف أنواع الأسلحة .

وجيش إسرائيل يمارس أرقى أنواع النفير[1] ، فتدعو قواتها الاحتياطية في فترات معينـــة من فصول السنة ، لتجديـــد معلوماتهم العسكرية ، ولإشراكهم في التمارين العملية ، وليعرف كل فرد منهم واجبه التفصيلي عنـــد نشوب القتال .

وجيش إسرائيل يدعـو في السلم قواته الاحتياطيـة بوجبات ، فإذا أنهت وجبة من تلك الوجبات تدريبهـا سُرِّحت وحلّ مكانها وجبة جديدة .

وجيش أسرائيل مكتف ذاتياً بما تنتجه إسرائيل من أسلحة وعتاد ومعدات ، وبمـا تنتجه معاملها من تجهيزات عسكرية .

وكل مستعمرة ، وكل قرية ، وكل مدينة أنشأت أو ستنشأ ، يحسب حساب الدفاع عنهـــا ، فتكون تلك المنشآت قلاعـاً حصينة يمكن الدفاع عنها من الاتجاهات كافة .

وهناك مواضع مستحضرة سلفاً للدفاع المديد فيهـا ،

---

(١) دعوة القوات الاحتياطيـــة للخدمة لمدة محدودة في السلم ولمدة غير محدودة في الحرب .

وهي خطوط دفاعية حصينة يمكن الدفاع عنها بالعمق في مواضع متعاقبة .

إن إسرائيل تمارس الحرب الاجماعيـة ، أو الحرب الشاملة ، أو الحرب الاعتصابية ، كما يطلق عليها في بعض الدول العربية ، وهي حشد طاقاتهـا المادية والمعنوية كافة من أجل الحرب[1] ...

وبكلمات مختصرة ، إن اسرائيل معسكر كبير ، حُسب فيه أسوأ الاحتمالات التي يمكن حدوثها في الحرب ...

وجيش إسرائيل له قوات إحتياطية من يهود العـالم خارج إسرائيل ، ينفرون إليه خفافاً عندما يدعوهم الواجب وعندما يهدد إسرائيل خطر خارجي .

وإسرائيل تنتج أنواع السلاح ، ثم تستجدي السلاح من جميع أنحاء العالم مدّعية بأنها فقيرة للسلاح .

وإسرائيل تنتج أحدث وسائل التدمـير من صواريخ وقنابل وألغام ، ثم تخفي ذلك عن العالم كلّه ، مدعيـة بأنها على شفـا حفرة من الهلاك لفواق الدول العربيـة عليها بالسلاح .

---

(١) راجع كتاب الأمة في الحرب للمشير فون لودندروف عن الحرب الاجماعية .

حدثني دبلوماسي عربي كبير يعمل في الولايات المتحدة الأمريكية ، أن وزيرة خارجية إسرائيل حين واجهت وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية عام (١٩٦٥) لتشكو إليه فواق العرب عليها بالسلاح والعتاد والقوة الجوية ، أجهشت بالبكاء أمامه لتأكيد ادعاءاتها الباطلة ، فاستدرّت عطفه وحصلت على ما تريد !!.

هذه هي عوامل قوة جيش إسرائيل ، أما عوامل ضعفه فسيرد في الحديث عن عوامل ضعف إسرائيل[1]

- ٩ -

تلك هي عوامل قوة إسرائيل باختصار شديد .

فما هي عوامل ضعف إسرائيل ؟؟.

(١) عوامل ضعف جيش إسرائيل ، أكثر وأهم من عوامل قوته ، وستقرأ ذلك وشيكاً .

عوامل ضعف اسرائيل

- ١ -

من عوامل ضعف إسرائيل كثرة الأحزاب فيها .

في إسرائيل أنواع كثيرة من الأحزاب تبلغ سبعة عشر حزباً أو أكثر ، بعضها أحزاب متطرفة شعارها الذي لا تحيد عنه : « من النيل الى الفرات » ، ودعوتها التي لا تحيد عنها هي : الحرب !.

وبعضها أحزاب معتدلة ، شعارها الذي ترفعه هو : « التعايش السلمي بينها وبين العرب » ، ودعوتها التي تدعو إليها هي : « إحلال السلام في ربوعها لتنطلق بكل طاقاتها للاستحواذ على الاقتصاد في العالم » .

بعض أحزاب إسرائيل يمينية في أقصى اليمين ، تدعو الى التمسك بأهداب الدين اليهودي نصاً وروحاً ، وإرخاء اللحى والتزمت الشديد .

وبعضها أحزاب يمينيـــة معتدلة ، تدعو الى التصنيع والاقتصاد الحر .

وبعض أحزاب إسرائيل وسط تدعو الى مزج الاقتصاد الحر بالاقتصاد الموجّه ، وتدعو الى الصلح مع العرب .

وبعض أحزاب إسرائيل يسارية ، منها المتطرف الذي يدعو الى الشيوعية ، ومنهـــا الذي يدعو الى الاشتراكية المعتدلة كاشتراكية حزب العمال في إنكلترا .

في إسرائيل عدد ضخم من الأحزاب يحوي نماذج من كل أحزاب العالم ، تتقاذفها التيارات السياسية المختلفـة ، ويدين بعضها بالولاء لدول أجنبية : منها لروسيا والدول الشيوعيـــة التي تواليها ، ومنها للصين والدول الشيوعية التي تسير في فلكها ، ومنهـا للولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الإستعمارية .

وفي أيام الانتخابات لمجلسها النيـــابي (الكنيست) وللمجالس البلدية وللجمعيات العمالية الخ ... يظهر التناقض الواضح بين أحزابها الكثيرة في الصحافة والإذاعة وأجهزة الإعلام الأخرى .

بل إن هناك تكتلات حزبية داخل الحزب الواحد ، كما هو ظاهر في حزب الأكثرية وهو حزب (الماباي) ، حيث انشق الى قسمين ، أحدهمـا يؤيد (بن غوريون) ،

والثاني يؤيد خصومه وعلى رأسهم رئيس الوزراء الحالي ليفي أشكول .

وحكومات إسرائيل كلها ائتلافية ، لأن أي حزب من أحزابها لا يستطيع أن يحوز على الأغلبية المطلقة في (الكنيست) .

إن كثرة أحزاب إسرائيل وتناقض مبادئها وأهدافها ، عامل من عوامل عدم الإستقرار في ربوعها .

- ٢ -

ومن عوامل ضعف إسرائيل تفشّي التردّي الخلقي بين أبنائها .

إن مباذل باريس متأخرة كثيراً عن مباذل إسرائيل .
وأكثر السواح الذين يزورون إسرائيل من أرجاء العالم ، إنما يزورونها للترفيه عن أنفسهم ولقضاء ليالي حمراء في أحضان بناتها .

وسواحل إسرائيل ، وغاباتها الكثيفة ، ونواديها الليلية ، وشوارعها وحاناتها ، ودور السينما والبيوت ، تشهد أخزى أنواع الخلاعة والتهتك والفسق والفجور .

حتى جيش إسرائيل ، له مؤسسة خاصة ، مسؤولة عن ترفيه منتسبيه بفتيات خاصات .

ولقد وجد الجيش العراقي ، بعد معركة (جنين) عام ١٩٤٨ في خنادق جنود إسرائيل مع الأسلحة والعتاد أسلحة وعتاداً من نوع آخر هي : قطع الوقاية من الأمراض الجنسية التي تستعمل للجماع .

البكارة في إسرائيل نادرة ، والقاعدة في البنات هي عدم البكارة .

والتفسخ الخلقي واضح حتى في الأسر ، وقد بات الرباط العائلي مهدداً بالتفسخ في إسرائيل .

البنت هي التي تعطي المهر للزوج ، وهو ما يطلق عليه عند يهود تعبير (الدوطة) ، وهذا المهر تجمعه البنت في أكثر الأحيان من بيع نفسها لمن يقدم لها المال .

والزوج يفضل غالباً من تقدّم له مهراً أكبر ليبدأ به حياته الزوجية في التجارة أو الزراعة أو الصناعة ، من دون أن يسأل عن مصدر ما استلمه من نقود !.

أما أن يسأل الزوج عن عفاف زوجه ، وأما أن يعرف قصة حياتها قبل الزواج ، فهذا نادر في عرف أبناء إسرائيل .

والأولاد غير الشرعيين ، واللقطاء ، وحوادث الإعتداء على الأعراض ، أمور طبيعية ، وقد أصبحت مألوفة في إسرائيل .

والأفلام الخلاعية ، والقصص الداعرة ، والصور العارية ، وكتب الجنس ، كلها رائجة في إسرائيل .

كتب (اندريه موروا) في كتابه عن : أسباب انهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية ، تجاه الزحف الألماني بسرعة وبدون مقاومة تذكر : أن من أهم أسباب هـذا الإنهيار عاملان : كثرة الأحزاب ، والإنهيـــار الخلقي في فرنسا ، وهذان العاملان تفوقت إسرائيل بما متيسر فيها على مـا هو متيسر في فرنسا نفسها .

وأين تهتك أبناء وبنات إسرائيل من تهتك أبناء وبنات نهر السين ؟

لقد تفوّقت إسرائيل في تهتكها على فرنسا فواقـــاً ساحقاً ، وقد نافست بنات إسرائيل من بائعـــات الهوى بنات باريس في عقر ديارهن .

إن إسرائيل لا تحتفظ بفسادها الخلقي داخل حدودها ، بل تعمل على نشره في أرجاء العالم كله ..

وويل للعالم من تفشي الإنهيار الأخلاقي الذي ينتقـل إليه بالعدوى وبالتصدير من إسرائيل .

- ٣ -

ومن عوامل ضعف إسرائيل هي المادية الطاغية على أبنائها .

إن من أهم مميزات يهود أنهم ماديون ، فهم تجـــار بالفطرة يحبون المال حباً جماً .

واليهودي لا يعيش إلا لثلاث : لفرجه وبطنه وماله .

إنهم يبذلون قصارى جهودهم في جمـع المال من أي جهة وفي أية ناحية وبأي أسلوب .

وبالمال يُسَخـَّرُ اليهودي ليفعـــل أي شيء ويؤدي أية خدمة .

والذين ينصتون الى أحاديث يهود فيما بينهم ، لا يسمع إلا كلمات الجنيه والدولار والدرهم والدينار .

رأيت رجـــلاً كهلاً في (جنين) يمشي مطرق الرأس بأسماله البالية ، يستجدي الصدقات من الناس .

وقال صاحبي الفلسطيني يحدّثني عن أمر هـــذا الكهل المسكين فقال : « كان هذا الرجل يمتلك بيارة للحمضيات تدر عليه عشرة آلاف جنيه كل عام ، وكان يمتلك مـــا يزيد على الألف دونم من الأرض الخصبة المباركة التي فيها بعض العيون ، وكان في بيارته أجير يهودي له ابنة حسناء في السادسة عشرة من عمرها ، وكانت تُحضر الطعام لوالدها ظهر كل يوم . وفي يوم من الأيام اختلى بها هذا الرجل فراودها عن نفسها فامتنعت عليه ، فشغف بها حباً . وفي اليوم الثاني عادت إليه ، فأعاد الرجل مراودتهـــا ، فقالت

له : لا أسلم لك نفسي إلا بأن تكتب باسمي دونماً من أرضك ! ووافق الرجل ، واستسلمت له الفتاة ، ثم صارت تمتنع عليه إلا إذا كتب باسمها دونماً جديداً ! واستمر حالهما على هذا المنوال حتى أصبح هـذا الرجل أجيراً في بيارته وأرضه التي أصبحت ملكاً للفتاة اليهودية الحسناء ، وكان أبوها يعلم ما جرى وما يجري لإبنتـه وهو فرح مرتاح ، حتى إذا أصبح لليهود دولة طرد هذا الرجل من عمله ، فأصبح حاله كما ترى يستجدي أكف الناس » .

ومثل هـذه القصص كثيرة ، تسمعها في كل مكان في فلسطين !

واليهودي مقتصد غاية الاقتصاد في النفقة على غيره من الناس ، ولكنه ينفق بسعة على مأكله ومشربه ولهـوه غير البريء .

واليهودي مترف في بيته ، ولكنه مقتر في خارجه .

وقد يبلغ من تقتير اليهودي على غيره ، أنـه لا ينفق حتى على أهله إلا إذا كانت لهم أعمال ينتفع بها ، فتتعاون العائلة كلها على نفقات الدار .

ومن المألوف جداً أن يطرد اليهودي إبنته الشابة من بيته أو إبنه الشاب ، لأنهما لا يقدمـان له المال ، فتعيش إبنته الشابة في مكان آخر على هواها تفعل ما تريد .

هذه المادية الطاغية تجعل اليهودي يحرص على ماله ، ويحسب لضياعه أو دماره ألف حساب .

وهذا يجعل اليهودي لا يصبر على تهديد ماله أو ممتلكاته بالخطر من جراء قصف القنابل والتخريب .

وهذا يحمل اليهودي إذا كان جندياً ، أن يقاتل وكل قلبه وفكره فيما خلفه وراءه من مال ومتاع ...

وهذا ينتهي الى إمكان شراء ذمم يهود بالمال ، فيتجسسون بالمال على إسرائيل أو على غيرها ، ويبيعون أسرارها للأعداء ... وهذا ما حدث فعلاً وما سيحدث في المستقبل القريب أو البعيد .

إن أكثر علماء الذرة الذين باعوا أسرارها في الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا كانوا يهوداً ، وقد أثبتت المحاكمات أن تلك الأسرار باعوها للروس لقاء المال .

والخلاصة ، أن الذي يحب المال ويعيش من أجله ، لا يمكن أن يكون جندياً مقاتلاً يضحي بحياته من أجل مثله العليا .

- ٤ -

ومن عوامل ضعف إسرائيل جبن أبنائها الأصيل .

وعوامل الجبن ودوافعه ترتكز على سببين مهمين :

الأول التفسخ الأخلاقي ، والثاني حب المال ، وهذان السببان يمكن جمعها في سبب واحد ، هو : حب الدنيا وكراهية الموت .

ومن سمات يهود الثابتة ، بل من أول سمات يهود ، أنهم جبناء .

وأرجو ألا يقول أحد ، أن يهوداً قد تبدلوا ، وأن الزمان قد تبدل ، فيهود لم يتبدلوا منذ كانوا حتى اليوم .

عندما اشترك لواء يهودي في الحرب العالمية الثانية ، حدثت معه بعض الحوادث المضحكة المبكية في آن واحد ، ورويت عن شجاعة هذا اللواء المآسي والنكات .

لم يشترك هذا اللواء في الحرب عن طيبة خاطر أو كرهاً بالألمان وهتلر ، أو حباً بالحلفاء ، أو دفاعاً عن الديمقراطية ، أو شغفاً بالحرية ، أو لإقرار السلام ، كما كان يدعي زعماء الوكالة اليهودية .

لقد اشترك هذا اللواء في الحرب ، لأن الوكالة اليهودية – وهي حكومة يهود المؤقتة قبل ولادة إسرائيل – أرادت أن يكون لها يد على الحلفاء أولاً ، ورغبت أن يكون لها جيش علني ثانياً ، وأمّلت أن يتدرب هذا الجيش على فنون القتال العملية ثالثاً ، وطمعت في استلام السلاح والعتاد والمعدّات من الحلفاء لجيشها أخيراً .

وكان الحلفاء في حينه في أشد حالات الضيق ، وكانوا لذلك يرحبون بكل من يتطوّع لمعـــاونتهم في الحرب ، وقد رأينا كيف سار رجالهم شرقاً وغربـاً يطوّعون الرجال لخدمتهم بالرواتب الضخمة وبالإغراء الثمين .

وكان الحلفـــاء حينذاك يبذلون السلاح بدون حساب لكل من يتطوع لخدمتهم في القتال .

وكانوا يرضون من المتطوعين تحمل واجبـات حراسة مستودعاتهم وخطوط مواصلاتهم الطويلة ، ليتفرّغ رجالهم تفرغاً كاملاً لمصاولة الأعداء .

لقد كلّف اللواء اليهودي بالواجبات الإدارية : حراسة الثكنات الخالية ، وحراسة المطارات ، وحراسة المستودعات ، وحراسة المذاخر ، وحراسة المستشفيات ، وحراسة القواعد ، وحراسة المنشآت الخ ...

وكان في كل مكان من تلك الأمكنة جماعة حرس كبيرة من يهود ، جماعة حرس صغيرة أخرى من غير يهود ، لحراسة الحراس من يهود !!.

وقد حاول الحلفـــاء تكليف اللواء اليهودي باستلام منطقة قتال ثانوية ، فامتنعوا أولاً ثم وافقوا بشرط تأمين الحراسة اللازمة لهم في حلّهم وترحالهم ...

وحين كانوا يشغلون موضعاً معيناً من مواضع القتال ، كان الحلفاء يعتبرون هذا الموضع فراغاً عسكرياً .

وحين تردهم معلومات عن اقتراب جيش المحور منهم – وخاصة الألمان – كانوا يطلقون أرجلهم للريح .

ولما جرى نقلهم بالطائرات من مطار (اللدّ) في فلسطين ، كان مع كل طائرة جماعة حرس صغيرة من غير يهود ليذهبوا عنهم الفزع والروع .

وعندما كان الجو يخلو لهم في أحد مستودعات السلاح أو العتاد أو البنزين أو التجهيزات ، كانوا يسرقون من تلك المستودعات ويبيعونها حتى للأعداء أو يهربونها الى فلسطين .

وقد بذلت الوكالة اليهودية جهوداً جبارة لإكمال تطوع هذا اللواء ، فقد كانوا يدفعون رواتب خيالية للجنود والمراتب والضباط ... ومع ذلك وبعد أن أكملوا تدريب منتسبي اللواء على استعمال السلاح ، أراد ضباط وضباط صف وجنود ذلك اللواء أن يتمردوا على الوكالة اليهودية فلا يغادرون فلسطين .

ولم تفد مع بعض أفراد اللواء كل الإغراءات وكل أنواع الوعيد حين جاء موعد نقلهم الى خارج فلسطين ، فانسلوا من ثيابهم العسكرية وفروا الى أماكن مجهولة بجلدهم .

وكانت أجهزة الإعلام اليهودية تطبل وتزمر لهذا اللواء أثناء الحرب العالمية الثانية ، مدعية البطولة لرجاله مضفية

عليهم شتى النعوت ... دون جدوى .

وكان الحلفاء يعرفون حق المعرفة مبلغ سيطرة يهود على أجهزة الإعلام العالمية ، فأرادوا أن يفيدوا منها بصورة غير مباشرة لنشر الدعاية ضد قوات المحور .

كما أرادوا أن يفيدوا من تلك الأجهزة الإعلامية الضخمة ذات الصوت البعيد في دعم قوات الحلفاء معنوياً .

وحمل يهود في مختلف أرجاء العالم رايات النضال المقدس ضد المحور وخاصة ضد الألمان ونظامهم النازي وحكامهم النازيين وعلى رأسهم أدولف هتلر .

كما أن مصارف يهود دعمت حكومات الحلفاء بالقروض من أجل إعطائهم الوعود لخلق إسرائيل ...

كان بعض حراس يهود في مطار الحبانية وقاعدة الشعيبة ، قد باعوا للعراقيين من السلاح والعتاد والتجهيزات والأرزاق والدخائن[١] والأدوية والمشروبات الروحية التي كانوا يحرسون مستودعاتها بثمن بخس دراهم معدودات .

تلك هي حقيقة أعمال لواء يهود في الحرب العالمية الثانية ، فلا تأبه لما سجله لهم الحلفاء من شكر وتقدير فذلك أمر روتيني يقولونه لكل إنسان .

---

(١) الدخائن : جمع دخينة ، وهي السكارة .

وبالإمكان أن تتحدى يهوداً ليظهروا حقيقة أعمال لوائهم في الحرب العالمية الثانية ، وتتحداهم أن يبرهنوا على بطولة واحدة لرجل واحد من منتسبي لواء إسرائيل .

ولكن الذي لا يمكن نكرانه ، أن المجندات اليهوديات أسدوا الى جنود الحلفاء خدمات جلىّ للترفيه عنهم .

وأنهن أدّينَ خدمات ممتازة في ميدان التجسس إغراء بالجمال .

لقد كان ضرر يهود على الحلفاء أكبر من نفعهم ، وقد أدوا واجباتهم كاملة في ميدان الترفيه ، أما في ميدان القتال فلا .

والحقيقة التي لا ينكرها أحد ، أنه برز من يهود علماء وصيارفة وتجار واقتصاديون وفنانون وفلاسفة الخ... أما أن يبرز منهم أبطال فلا !

وأين البطل الذي برز منذ كانت اليهودية حتى اليوم على النطاق العالمي ؟

وكل أمة من الأمم في العالم ، تستطيع أن تذكر أبطالها المعترف ببطولاتهم عالمياً ، إلا يهود .

وأكبر الظن أنهم لا يريدون أن ينعتهم أحد بالبطولة ، فذلك النعت يكلفهم ما لا يطيقون .

أمــا كيف انتصروا على الجيوش العربية في فلسطين ، فسيأتي الحديث عنه ، شيكاً ويكفي أن أذكر هنا ، أنهم كانوا يقاتلون من بعيـــد ، أو من وراء الدروع ، أو من وراء ، الحصون أو تحت جنح الليل ، أو بالطائرات ، أو بحماية أسلحة متفوقة فواقاً كاسحاً ...!

ولم يقاتلوا أبداً بالسلاح الأبيض[1] وجهاً لوجه .

ولم يقاتلوا في معركة ميدان أبداً ...

وصدق الله العظيم : « لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد » .

وصدق الله العظيم : « ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله » .

إنهم أشباه رجال لا رجال ، عقول الأطفال وحلوم ربات الحجال ، كما يقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

أهؤلاء يخافهم العرب ؟

إن ذلك لمن سخرية الأقدار !

---

(١) السلاح الأبيض : الحراب التي يقاتل بها في الحملة أو الصولة عندمـــا يتقابل الأعداء وجهاً لوجه .

- ٥ -

ومن عوامل ضعف إسرائيل التمييز العنصري الذي تعانيه داخل بلادها .

هناك تمييز في إسرائيل بين اليهود الشرقيين وبين اليهود الغربيين ...

وهناك تمييز بين اليهود الشرقيين أنفسهم ، فمنزلة يهود العراق مثلاً أرفع من منزلة يهود اليمن .

وهناك تمييز بين الغني من اليهود الشرقيين وبين الفقير منهم .

وهناك تمييز بين اليهود الغربيين أيضاً ، فيهود أمريكا اللاتينية ليسوا كيهود أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية .

وعلى العموم ، فالوزراء وكبار موظفي الدولة وقادة الرأي وقادة الفكر ومناصب المعامل الكبرى والمصارف كلها لليهود الغربيين .

أما اليهود الشرقيون فلهم المناصب الصغيرة والمراكز الحقيرة ، عمالاً وفراشين وكتبة صغاراً .

ولليهود الغربيين مناطق السكن الممتازة في المدن الكبيرة والمستعمرات المنظمة ، أما لليهود الشرقيين فالصحراء القاحلة في النقب والأراضي الصخرية الجرداء .

ولليهود الغربيين المعامل الضخمة والمصارف الكبيرة والمزارع النضرة والبيارات الواسعة ، أما لليهود الشرقيين فلهم التعب والشقاء والعرق والدموع .

واليهودي الغربي يعاونه اليهود الغربيون في تسلم المناصب المرموقة وفي امتلاك المزارع والمصانع والبنايات .

واليهودي الشرقي ، لا يصادف غير العراقيل والاتعاب من أرباب السلطة الغربيين .

والخلاصة إن اليهودي الشرقي يلاقي اضطهاداً ملموساً من اليهودي الغربي .

هذا التمييز بين اليهود الغربيين ، وبين اليهود الشرقيين ، وهذا الاضطهاد المكشوف الذي يلاقيه اليهود الشرقيون من اليهود الغربيين ، قد أدّى الى تذمر اليهود الشرقيين والى إصابتهم برد فعل نفسي بعد تجربتهم القاسية التي عاشوها في إسرائيل – حلمهم المنشود – ومحاولتهم بشتى الطرق الهرب من جنتهم على الأرض ، أرض الميعاد الى أي أرض في الدنيا .

لقد جنّدت أجهزة إعلام يهود كل إمكاناتها وطاقاتها ، لإغراء يهود العالم على الهجرة الى إسرائيل .

وقد آمن يهود الشرق بدعايات اليهود المضللة ، واستجابوا لوعودها البراقة ، فتركوا بلادهم وهاجروا الى إسرائيل .

وحين استقر بهم المقام ، اكتشفوا أنهم كانوا ضحية

لوعود كاذبة وادعاءات مختلقة ، ولكن اكتشافهم هذا جاء متأخراً بعد أن أطبق عليهم المسيطرون على إسرائيل أبواب سجنهم الكبير .

لقد ندم هؤلاء على هجرتهم ، ولات ساعة مندم ، والذين استطاعوا الهرب من سجن إسرائيل الكبير ، ذكروا العجائب عن ظلم يهود لإخوانهم يهود .

حاول بعض اليهود الشرقيين الهرب من إسرائيل منذ كانت الجيوش العربية في فلسطين عام ١٩٤٨ ، وقد اخترق بعضهم الحدود العربية - الإسرائيلية ، ولكن ظروف الحرب حينذاك كانت تلقي ظلالاً كثيفة من الشك على أسباب هروبهم ، وكان العقل يتطلّب فرض أسوأ الإحتمالات في مثل تلك الحالات .

وحدثني أحد الضباط الذين كان من واجبهم ملاقاة بعض ضباط إسرائيل على خطوط الهدنة بحضور ممثلي هيئة الأمم المتحدة لحل بعض المشاكل فقال : « كان مع الضابط الإسرائيلي جندي ، وحين رآني سألني : ألا تعرفني يا سيدي ؟ فقلت له : لا أتذكرك ، فمن أنت ؟ فقال : أنا ابن الصائغ فلان في سوق السراي من بغداد ، وأهلك يصوغون عند والدي ، وقد حضرت أنت كثيراً الى دكان والدي برفقة أخواتك وأمك . وتذكرته فعلاً ، فسألته :

كيف حالك ؟ فقال : موت ! يا ليتني أعود الى بغـــداد بأي ثمن !! » .

إن تذمر اليهود الشرقيين في إسرائيل لم يعـد سراً ، وقد وصلت أخباره الى المؤسسات الدولية مثل مؤسسة حقوق الإنسان التابعة لهيئة الأمم المتحدة ، فقد استلمت هـــذه المؤسسة كثيراً من شكاوى المواطنين الإسرائيليين يطالبون فيها بتقاريرهم نجدتهم على النطاق الدولي للتخلـُّص من جحيم إسرائيل .

ولم يقتصر التذمر على اليهود الشرقيين ، بل شمل اليهود الغربيين أيضاً ، وخاصة الفقراء منهم .

إن مدّ التمييز العنصري والتفرقة العنصرية طاغ في إسرائيل .

وإسرائيل تغلي كالمرجل على الرغم من أجهزة إعلامها التي لا تسكت ليلاً ولا نهاراً .

إن الغُنْم في إسرائيل لليهود الغربيين ...

والغرم في إسرائيل لليهود الشرقيين .

وليس في إسرائيل مكان لمبـــدأ : الغنم بالغرم ، أو الغرم بالغنم .

إن المبدأ السائد هناك ، هو مبدأ : المال ، فمن كان

له مال وله سند من عصبية عاش بسلام ...
وإلا فله العرق والدموع والصحراء .

- ٦ -

ومن عوامل ضعف إسرائيل موقعها الجغرافي ...

إن إسرائيل تقع في بقعة صغيرة نسبياً بين الدول العربية التي لها حدود معها مثل لبنان وسورية والأردن ومصر ، والتي لا حدود لها معها من المحيط الى الخليج .

وقد قدّر عقلاء يهود هذا الموقف الحرج قبل أكثر من ثمانين عاماً ، فاقترحوا أن يكون الوطن القومي لليهود في إفريقية أو في أمريكا اللاتينية حيث كثافة السكان قليلة ، وحيث يستطيعون العمل هناك للبناء بهدوء وسلام .

ولكن المتطرفين من يهود أصروا على أن تكون فلسطين بالذات وطناً قومياً لهم ضاربين بتحذيرات العقلاء منهم عرض الحائط غير مكترثين بما يحوطهم من أخطار .

ووقع ما توقعه عقلاء يهود ، فولدت إسرائيل داخل كماشة البلاد العربية في مساحاتها الشاسعة وطاقاتها البشرية والمادية .

فماذا سيحدث في إسرائيل عندما تحين ساعة الحساب ؟

وكيف يمكنها أن تعيش وسط خضم لجب من الأعداء ؟

اللاجئون الفلسطينيون من العرب يحيطون بإسرائيل إحاطة السوار بالمعصم ، وهم يتطلعون الى أملاكهم وأرضهم بحقد شديد .

والعرب في البلاد العربية كلهم أعداء لإسرائيل ، يتحينون الفرصة المناسبة لمعركة الثأر .

والمسلمون شعوباً كلهم أعداء لإسرائيل ، لا تقلّ عداوتهم لها عن عداوة إخوانهم العرب .

وكيف تستطيع إسرائيل أن تعيش بأمن وسلام بين هذه الملايين الحاقدة من الأعداء ؟

وكيف يشيع فيها الإستقرار وهي تعيش في رعب شديد من جيرانها الذين ألحقت بهم أبلغ الأضرار ؟

وكيف تضمن إسرائيل بقاءها في مثل هذا الوسط الحاقد بغير حدود ؟

إن الحرب واقعة بدون ريب بين العرب وإسرائيل طال الزمن أو قصر .

وستحيطها القوات العربية من الشمال ومن الجنوب ومن الشرق وتتقدم نحو أهدافها المرسومة سلفاً على الخطوط

الخارجة[1] لتلتقي في (تل أبيب) ، فماذا ستفعل إسرائيل ؟

ستضطر على الحركة بجيشها على الخطوط الداخلة[2] ، لتلاقي الجيوش العربية الزاحفة نحو أهدافها ، وبذلك توزع قواتها على جبهات متعددة ، فتكون ضعيفة في كل جبهة من جبهات القتال .

وبلادها ليست واسعة لتقاتل في خطوط دفاعية متعاقبة مستحضرة سلفاً ، والقتال على الخطوط الداخلة لصد التعرّض العربي على الخطوط الخارجة في منطقة محدودة صغيرة نسبياً لا يكون مطلقاً في مصلحة إسرائيل ؟

إن موقع إسرائيل الجغرافي ليس في جانب مصلحتها أبداً ... إن ذلك من مصلحة أعدائها العرب ...

- ٧ -

ومن عوامل ضعف إسرائيل ، عامل الوقت .

إن الوقت ليس بجانب إسرائيل في شيء ، بل هو بجانب العرب .

---

(١) الخطوط الخارجة : تقدم الجيوش من اتجاهات عديدة لتلتقي على هدف حيوي واحد .

(٢) الخطوط الداخلة : تقدم الجيوش من قواعدها بحيث تتباعد كلما تقدّمت نحو أهدافها .

صحيح إن إسرائيل تستفيد من كل دقيقة من وقتها لتقوية جيشها ولانشاء الصناعات المختلفة للأسلحة والعتاد والمعدّات والتجهيزات العسكرية ، وقد بذلت قصارى جهدها من أجل تقدمها العسكري والصناعي والاقتصادي والزراعي والعلمي والعمراني ... الخ .

لكن كل ذلك لا يكفي لحماية إسرائيل من الخطر المحدق بها في المدى القريب أو البعيد .

نفوس إسرائيل اليوم حوالي مليوني نسمة .

ونفوس العرب حوالي مائة مليون نسمة .

ونفوس المسلمين حوالي خمسمائة مليون نسمة .

والعرب إذا ناموا ساعة ، فلن يبقوا نائمين إلى قيام الساعة .

والمسلمون إذا رقدوا اليوم ، فلن يطول رقادهم إلى يوم القيامة .

والعرب يتعثرون في سيرهم اليوم ، ولكنهم تقدموا عما كانوا عليه عام ١٩٤٨ .

والاستعمار كانت له صولة وجولة في بلاد العرب عام ١٩٤٨ ، وكانت له قواعد في العراق وقواعد في مصر ، ونفوذ في لبنان ، ونفوذ في الأردن ، وكانت له سيطرة كاملة على إمارات الخليج .

وكان الفرنسيون في تونس والجزائر والمغرب ، وكانت الجزائر تعتبر جزءاً لا يتجزأ من فرنسا .

وكان هناك في البلاد العربية من يقول : فرنسا أُمنا الحنون ، ومن يوالي الاستعمار علناً ...

وكانت قوة أكثر رؤساء الدول العربية مستمدة من الدول الاستعمارية التي خلقت إسرائيل .

وكان السلاح العربي من الغرب يحتكرونه ولا يقدّمون منه إلى البلاد العربية إلا بمقدار ...

أما اليوم فقد تبدّل الحال غير الحال .

صولة الاستعمار وجولته انحسرت عن البلاد العربية كلها ، وبقاياه في الجنوب العربي يلفظ أنفاسه الأخيرة .

وقواعده في البلاد العربية أصبحت ملكاً للعرب .

ونفوذه في البلاد العربية تقلّص إلى حد بعيد .

وتونس والجزائر والمغرب وليبيا أصبحت دولاً مستقلة ذات كيان .

والجزائر لم تبقَ جزءاً لا يتجزأ من فرنسا ، بل أصبحت نداً لفرنسا .

والعملاء في البلاد العربية الموالون علناً للاستعمار ، قضوا نحبهم وأصبحوا لعنة في التاريخ .

والباقون من العملاء على قيد الحيـــاة ، يتوارون عن الأنظار بالتدريج يلاحقهم الخزي والعار .

وقد تبدّل رؤساء الدول العربيـــة الموالون للاستعمار بغيرهم من المخلصين الوطنيين ، وأصبحت قوتهم مستمدة من شعوبهم لا من الاستعمار .

والسلاح العربي لم يبق محتكراً للغرب وحـــده ، بل أصبح العرب أحراراً في استيراد السلاح .

بل إن العرب أصبحوا ينتجون السلاح والعتاد لأنفسهم ، وأول الغيث قطر ثم ينهمر !

وفوق كل ذلـك ، وأهم من كل ذلك ، أن الوعي العربي قد تطوّر من قوة تافهة لا قيمة لها على الحكام ولا أثر لهـا في التيارات السياسية العربية ، إلى قوة ضارية يحسب لها الحكام مليون حساب !

فمـاذا سيحدث لو تطوّر الوعي العربي من حسن إلى أحسن ، وأصلح العرب ما يعانونه من أخطاء وأكملوا ما فيهم من نواقص ، فأصبحوا دولة واحـدة من الخليج إلى المحيط ، أو أصبحوا على الأقل يعملون بوحي : وحـــدة الهدف !.

ماذا سيحدث بإسرائيل حينذاك ؟

إن الوقت كفيل بإصلاح الأخطاء وإكمال النواقص .

وهذا الوقت مع العرب على إسرائيل .

والوقت لا يرحم ، وهو مع أصحاب الحق ، على أهل الباطل .

والعرب متفوقون بالعدد وبالطاقات المادية والمعنوية على إسرائيل ، وحقهم واضح صريح في وطنهم السليب .

فإذا استطاع يهود ومن ورائهم الاستعمار ، أن يقيموا دولة إسرائيل في غفلة من الدهر ، وفي غفلة من العرب ، فلن يستمر هذا الوضع الشاذ الى الأبد في ربوع فلسطين .

ومرة ثانية أدرك عقلاء يهود ، أن الوقت ليس مع إسرائيل ، وأن يهوداً لن يبقوا طويلاً في فلسطين ، وأن العرب سيستعيدون وطنهم السليب عاجلاً أو آجلاً بكل تأكيد[1] .

- ٨ -

ومن عوامل ضعف إسرائيل ما يكمن في جيش إسرائيل على رغم مظهره الخارجي من نواقص ومحاذير .

إن جيش إسرائيل يشابه مستودع المياه القذرة الذي يستر بغطاء من الذهب . الذي يمر به يرى مظهره الخارجي

---

(١) انظر مثلاً كتاب : (ثمن إسرائيل) لليهودي الفريد ليلنتال .

من ذهب ، وهو لا يعرف حقيقة ما في داخله من أقذار !

مظهر جيش إسرائيل غير مخبره .

إن تدريب الجيش الإسرائيلي وتسليحه وتنظيمه وتجهيزه ليس كل شيء ، بل هناك أهم من ذلك بكثير هي : الناحية المعنوية .

والمعروف أن أي جيش في العالم يتكوّن من عنصرين : العنصر المادي ، والعنصر المعنوي .

ومعنويات الجيش – أي جيش – لا تقل أهميـــة عن الناحية المادية فيه ، إن لم تكن المعنويات أهم بكثير من الماديات .

لقد كان الجيش الإيطالي – مثلاً – في الحرب العالميـة الثانية ، من أحسن الجيوش العالمية تدريباً وتسليحاً وتنظيماً وتجهيزاً ... ولكن هذا الجيش كان مفتقراً الى المعنويات ، فكان الحلفاء ، وكان الألمان ، يعتبرون المواضع التي يشغلها الإيطاليون فراغاً عسكرياً لا أهمية له ولا قيمة .

فما هي حقيقـــة الناحيتين المادية والمعنوية في جيش إسرائيل ؟!.

جيش إسرائيل يتكوّن من عناصر بشرية تتّسِمُ بالجبن الأصيل ، وحب المادة الفظيع ، والتخنث المخزي .

هذا الجيش مؤلف من عناصر بشرية في مجموعها مكونة من تجار جبناء ديوثين وبغايا .

أهذا جيش يمكن أن يقاتل حقاً ؟

أهذا جيش يمكن أن يخشاه إنسان يعرف قيمته وقدره ؟

وأي معنويات تكون في جيش مؤلف من أمثال هؤلاء الحثالات ؟

وأي تسليح ، وأي تنظيم ، وأي تدريب ، وأية قيادة ، يمكن أن تفيد مع هذا الجيش ؟

هذا الجيش لم يخض معركة واحدة في العراء عام ١٩٤٨ ضد الجيوش العربية ، غير معركة (جنين) .

لقد خاض هذا الجيش الاسرائيلي معركة القدس القديمة ضد الجيش الأردني الباسل ، وكان يقاتل من وراء أبنية محصنة ومن وراء جدر .

وخاض معارك ضد الجيش السوري الباسل من وراء أبنية مستعمراته وخلف تحصيناتها المنيعة .

وخاض معارك ضد الجيش المصري الباسل مستفيداً من فواقه بالدبابات ، وحاصر قوة مصرية في (الفالوجا) محرومة من الدروع والسلاح والعتاد .

أما قصة معركة جنين ، فتستحق الحديث عنها ليعرف العرب خاصة والعالم عامة أي جيش هو جيش إسرائيل !!

كان في نية الجيش العراقي أن يهاجم (ناثانيا) القريبة من (تل أبيب) وكان يحشد قطعاته في (دير شرف) بين (جنين) وبين (نابلس) .

وعلم جيش إسرائيل بطريقة ليست معروفة بالضبط حتى الآن ، عن نيات الجيش العراقي ، فهاجم مدينة (جنين) في المثلث العربي ، وكان فيها حامية عراقيـة صغيرة من الفوج الآلي العراقي .

لقد أراد جيش إسرائيل بمهاجمته مدينة (جنين) ، أن يجبر الجيش العراقي التي كانت تلك المدينة في المنطقة التي تقع ضمن مسؤولياته ، أن يترك خطته الأصلية في مهاجمة (ناثانيا) لشطر إسرائيل إلى قسمين ، وتسديـد طعْنة قاضية إلى قلب إسرائيل ، والإنشغال بإنقاذ (جنين) من براثن جيش إسرائيل ، وبذلك تتوّزع قطعـــات الجيش العراقي في منطقة واسعـة ، وتنقلب خطتها الهجومية إلى خطة دفاعيـة ، وتنتشر قطعات الجيش العراقي في منطقة واسعة ، فيعجز عن حشد قواته في منطقة محدودة لمواصلة خططه التعرضية على الأهداف الحيوية في إسرائيل !

وهناك مبدأ معروف عند العسكريين يقول : إذا هدّد العدو هدفاً سوقياً (استراتيجياً) لك ، فهـدد من جانبك

هدفاً تعبوياً له ، لصرف نظره عن هدفك السوقي ، واقلب خططه التعرضية رأساً على عقب .

وهذا ما طبقته إسرائيل حرفياً في مهاجمتها مدينة (جنين) ، وهو هدف تعبوي ، فنجحت في صرف نظر الجيش العراقي عن هدفه السوقي وهو مدينة (ناثانيا) .

على كل حال ، فقد كان في (دير شرف) فوج مشاة عراقي هو الفوج الثاني من اللواء الخامس ، إذ لم تكن القطعات العراقية الأخرى قد أكملت تحشدها في منطقة (دير شرف) يوم هاجم يهود بقوات متفوقة مدينة (جنين) .

وبدأت سيول اللاجئين من أهل (جنين) رجالاً ونساءً ، شيوخاً وأطفالاً ، تتدفق على طريق جنين – نابلس ، ومنظرها يفتت الأكباد .

وصدر الأمر إلى الفوج العراقي بالحركة لإنقاذ مدينة (جنين) ، وكان وقت وصول الأمر إليه ليلاً .

وتحرك الفوج العراقي وبإسناده بعض المدفعية باتجاه (جنين) فوراً ، ولم يكن أحد من منتسبيه ضباطاً ومراتب وجنوداً يعرف منطقة (جنين) ، ولم يكن في مقر الفوج خريطة عسكرية لمنطقة جنين ، وكانت حركته ليلاً ، يزيد من حماسة رجاله مآسي تدفق اللاجئين .

وأنزل الفوج منتسبيه قرب مفرق (عرّابة) ، ولكن أحد اللاجئين ذكر له أن مدينة (جنين) بعيدة ، وأن عليه أن يعيد إركاب رجاله لإنزالهم قريباً من هدفهم (جنين) .

واستعان الفوج العراقي بأدلاء من اللاجئين ، ثم أنزل رجاله في مفرق (قباطية) ، وبدأ زحفه باتجاه (جنين) ليـــلاً .

وتقدمت سرية على يمين طريق مفرق قباطية — جنين، وتقدمت سرية أخرى على يسار هذا الطريق ، وتقدمت سرية الاحتياط ومقر الفوج على يمين ويسار الطريق ، وأخذت سرية الاسناد برشاشاتها الثقيلة وبهاوناتها تسند تقدم الفوج بدون رصد وبدون رؤية للعدو .

لقد كان مع السرايا الأمامية ضباط صف سيطرة من سرية الاسناد ، ولكنهم لم يكونوا يعرفون المنطقة ، وظلام الليل يحرمهم من كل رؤية للأهداف المعادية .

واستمر تقدم الفوج ، واستمر إسناد سرية الاسناد .

وكان زحف الفوج سريعــاً ، وكان يتقدم في أكثر الأحيان هرولة ، فلمــا فتح يهود نيرانهم على المهاجمين ، كشفوا مواضعهم الأمامية التي كانت على الهضاب الكائنـة جنوبي (جنين) .

ولم يَبدُ الفجر الأول ويتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، إلا وكان الفوج العراقي قد طرد القطعات الإسرائيلية من مواضعها في هضاب (جنين) .

وانحدر الفوج العراقي مع الفجر الى مدينة (جنين) ، وكانت أسراب جيش إسرائيل تفر مذعورة أمامه ، وكانت تجمعاتها أهدافاً صالحة جداً لنيران الرشاشات الخفيفة والثقيلة ولقنابر الهاونات وقنابل المدفعية ، وبقي العراقيون بتماس شديد مع يهود حتى تركوا (جنين) وحتى غادروا الراقم (١٥٢) الواقع على مسافة ثلاثة كيلو مترات من شمالي (جنين) .

وترك يهود في ساحة المعركة قتلى كثيرين لا يقلّون عن ألف قتيل ، وتركوا وراءهم كميات كبيرة من الأسلحة والعتاد والتجهيزات .

ووصلت فلول يهود الى مدينة (العفولة) ، ففر أهلها يسابقون الريح ...

ووصلت أخبار اندحار يهود الى (حيفا) ، فغادرها كثير من يهود بحراً .

كانت قوات يهود في (جنين) حوالي عشرة آلاف

مقاتل ومعهم بعض الدروع ، وكان موجود الفوج العراقي مع المدفعية التي في إسناده لا يزيد عن ثمانمائة وخمسين رجل !!

وقد خلّف يهود من الأسلحة والعتاد وراءهم ما يزيد على أسلحة الفوج العراقي وعتاده !.

وقد كانت خسائرهم من القتلى ، أكثر من موجود القوة العراقية .

وقد فقد كثير من يهود الهاربين عقلهم الى الأبد .

وخلت (العفولة) من سكانها ، وغادر يهود القاطنون بين (العفولة) و (حيفا) قراهم وحصونهم .

وقامت المظاهرات الصاخبة في أرجاء إسرائيل مطالبة حكومتها بالصلح مع العرب مهما كلّف الأمر وبدون قيد أو شرط .

في ذلك الوقت بالذات تدخّل الساسة العرب ، فأوقفوا تقدُّم الجيش العراقي نحو (العفولة) الخالية من الناس .

وفي هذا الوقت بالذات أيضاً تدخلت الدول الإستعمارية لفرض الهدنة على العرب .

ووافق ساسة العرب طوعاً أو كرهاً على قبول الهدنة ...

وبقي الجنود العراقيون كالأسود في قفص حديقة الحيوانات ، يحرقون أعصابهم غضباً وحسرة ، ولا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً ..

هذه هي حقيقة جيش إسرائيل !

ثمانمائة وخمسون رجلاً من العرب يغلبون عشرة آلاف يهودي ، في معركة مـــدبرة بالنسبة لليهود وفي معركة تصادفية بالنسبة للعرب .

إن أي عسكري يقرأ عن حوادث معركة (جنين) ، يعتبر انتصار الجيش العراقي على الجيش الإسرائيلي معجزة من المعجزات ...

ولكن هذا ما حدث فعلاً ..

ولولا تدخُّل السياسة لما بقيت إسرائيل ...

ولعن الله السياسة وكلّ حرف فيها وكلّ مشتقاتها !

ولم يجرأ يهود إلى أن عاد الجيش العراقي من فلسطين الى العراق ، أن يتعرضوا بالجيش العراقي من قريب أو بعيد .

لقد كانت معركة (جنين) هي المعركة الوحيــدة في العراء التي تَقَبّلَـها يهود في حرب فلسطين مكرهين ، فلم يكونوا يتوقعون أبداً أن يهاجمهم أحد ، وكانوا يتوقعون

أن يستقروا في (جنين) الى الأبد .

ولكن ظنهم خاب ، ومع ذلك فكانت معركة العراء بالنسبة لليهود وكأنها بيضة الديك لم تتكرّر مرة أخرى.

لقد انتصر جيش إسرائيل في فلسطين باللّف والدوران وباسناد الدول الإستعمارية وتخاذل الساسة العرب ، وبالمكر والخديعة ، وبالمال الحرام ...

أما الإدعاء ، بأن انتصاره على الجيوش العربية كان في الميدان وبقوة السلاح ، فهذا حديث خرافة لا يصدقه حتى يهود أنفسهم .

لقد كان واجب بعض الضباط العراقيين الإلتقاء بحضور ممثلي الهدنة ببعض ضباط يهود على الحدود المشتركة بين الطرفين لحلّ بعض المشاكل الطارئة .

وكان هؤلاء الضباط العرب حين يحضرون في مثابة الإجتماع في الوقت المعين ، كان ضباط يهود يقفون بعيداً ولا يقتربون من المنطقة ما لم يتأكدوا من استلام ممثلي الهدنة لمسدسات وأسلحة الضباط العراقيين !!.

كان ضباط يهود يصرّون دائماً على أن يكون الضباط العراقيون عزْلاً من السلاح .

وكان الضباط العراقيون لا يبالون أن يكون ضباط يهود مسلحين أو غير مسلحين ...

مرة ثانية ، أهذا جيش يمكن أن يخشاه أحد من الناس ؟؟

- ٩ -

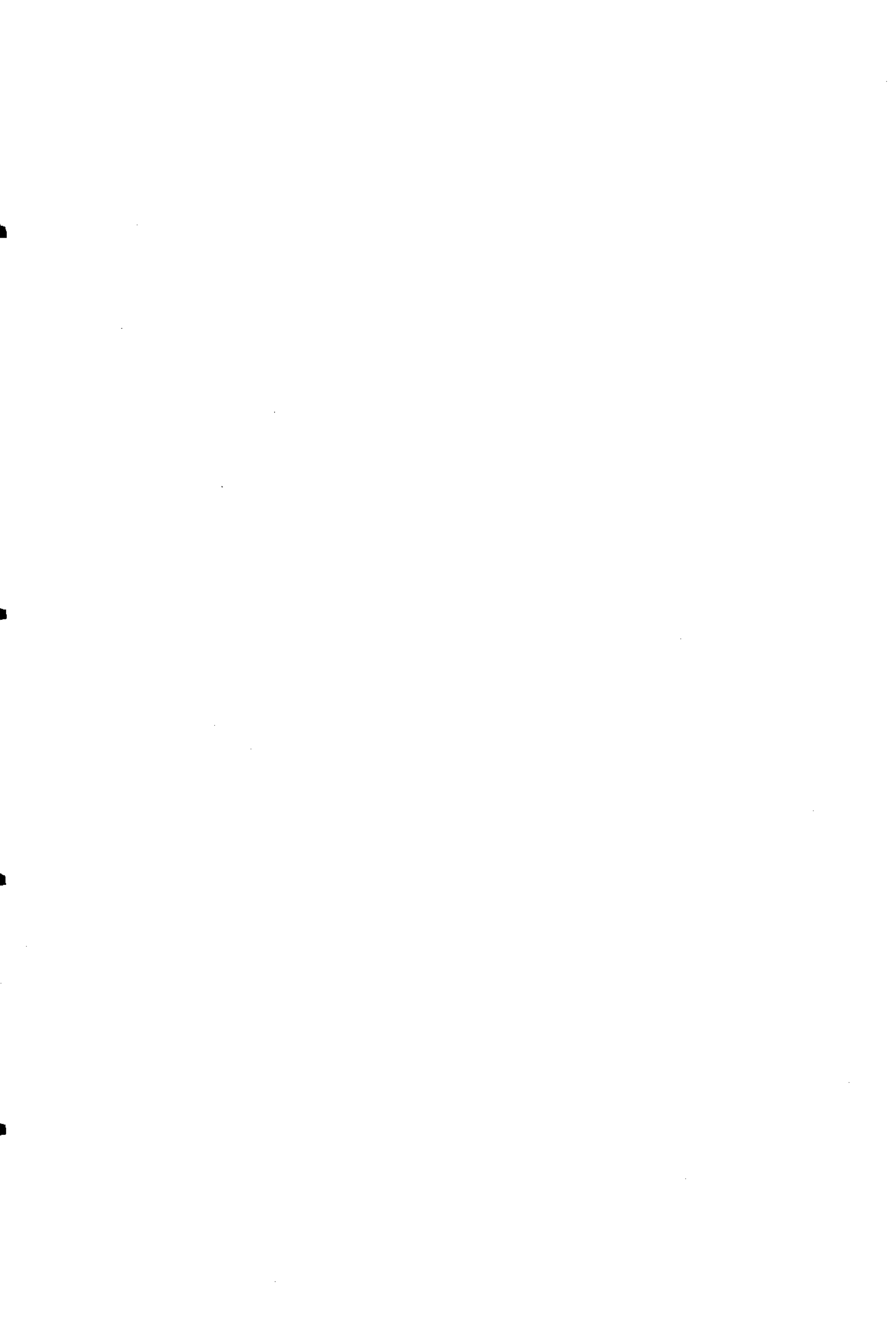
تلك هي مجمل عوامل ضعف إسرائيل .

فما قصة إسرائيل والقنبلة الذرية ؟.





إسرائيل وَالقنبلة الذرّية



- ١ -

تمهيـــد

في هذا البحث عن : إسرائيل والقنبلة الذرية، أحاول إفهام العسكريين وغير العسكريين منذراً[١] العرب من المحيط الى الخليج ، ومنـذراً المسلمين من المحيط الى المحيط ، بخطر محاولة[٢] إسرائيل إنتاج القنابل الذرية .

لقد أنذرتُ العرب والمسلمين عام ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م) بهذا الخطر ، وكانت نيّات إسرائيل في اكتشاف القنابـل الذرية قد أصبحت معروفة في العالم كلـّه منذ عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) ؛ ولكن العرب والمسلمين خـدّروا أنفسهم بالأماني ، وأجمعوا على أن ما أجمع عليه العالم كلّه وهمٌ من الأوهام .

---

(١) نَذِر بالشيء - نَذْراً ونِذَارَة : علمه فحذره . يقال نَذِروا بالعدو .

(٢) حاول الأمر محاولة وحِوالاً : أراد إدراكه وإنجازه . وحاول : طلبه بالحيل .

ومضت السنون ثقيلة الخطى مثقلة بالأسرار ، تستفيد إسرائيل من كل لحظة من لحظاتها ، ويبدد العرب والمسلمون أوقاتهم سدى ، حتى إذا جاءت سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) استيقظ النُوَّم من سباتهم العميق ، فوجدوا القطار قد فاتهم بعيداً عن مستقرهم الذي كانوا فيه سادرين[١] .

وابتدأت الصحف العربية والإسلامية سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) تدق أجراس الخطر ، ولكن ما كتبته تلك الصحف حتى اليوم لم يخرج أبداً عن نطاق المقالات السطحية التي تعتمد العاطفة ولا تعتمد على البحث والتحقيق .

لقد أبدت تلك الصحف كثيراً من السخط والاحتجاج ، ولكن ذلك السخط والاحتجاج لا يغيِّر من الواقع المرير شيئاً ، وما مثل تلك الصحف إلا كمثل الأعرابي الذي خسر إبله ، فقال لإمرأته : « أشبعتهم شتماً وراحوا بالإبل » ؟

وهذه الفرصة السانحة التي أهتَبِلها[٢] اليوم في هذا الكتاب لأنذر قادة الفكر العربي والإسلامي أولاً ، والشعب العربي والإسلامي ثانياً ، هي فرصة العمر لبحث معضلة[٣] مصيرية تهدد العرب خاصة والمسلمين عامة

---

(١) سَدِرَ – سَدَراً وسَدارة : تحيّر بصره من شدّة الحرّ . ويقال : سدر بصره . وسدر : لم يهتم ولم يبالِ ما صنع ، فهو سادِرٌ وسَدِرٌ يقال : هو سادر في الغيّ : تائه .

(٢) إهْتَبَلَ الفرصة : اغتنمها.

(٣) المعضلة : المسألة المشكلة التي لا يهتدى لوجهها .

بأفدح الأخطار ، تلك المعضلة هي : إسرائيل والقنبلة الذرية .

وأريد بهذا البحث العسكري البحت ، أن أيسّر للرأي العام العربي والإسلامي تفهّم تاريخ محاولات إسرائيل للحصول على السلاح الذريّ ، وقابليات إسرائيل لإنتاج هذا السلاح ، وأهدافها السياسية ونياتها التوسعية ، والنتائج المحتملة لحصولها على السلاح الذري ، وما يجب أن يتخذه العرب والمسلمون من التدابير إزاء هذا الخطر .

وقد توخيت الصراحة في مناقشة القضايا الذرية وفي إبداء الرأي حولها ، وذكرت الحقائق مهما تكن قاسية ، لأن الصراحة وحدها هي الدواء الناجع لإيقاظ النائمين ، فالأمم تغشُّ عدوها إذا أرادت البقاء ، وتغشّ نفسها إذا أرادت الفناء ، ولا أجد أمّة من الأمم غير العرب والمسلمين تخدع نفسها ، أما العرب والمسلمون فهم وحدهم يخدعون أنفسهم وما يشعرون .

إن الواجب يقضي علينا أن نجابه الناس بالحقائق ، لأن ذلك يحملهم على بذل المزيد من جهودهم من أجل معالجة الأمور على هدى وبصيرة ، بدلاً من إخفاء رؤوسنا في التراب كالنعامة تهرباً من مجابهة الحقائق واستخفافاً بالأخطار .

إن إثارة موضوع التسلح الذري الإسرائيلي ، لا يعني أبداً الخوف من إسرائيل ، بل العكس هو الصواب ، لأن

إثارته دليل عملي على الرغبة الصادقة لمجابهة التحدي الإسرائيلي بتحدٍ مثله ، فلا دواء لعلّة من العلل لا يكون تشخيصها دقيقاً كاملاً ، وإلا كان الدواء قاتلاً أو بدون جدوى .

- ٢ -

تاريخ المحاولات الاسرائيلية للحصول على السلاح الذري

أ - طمعت إسرائيـل في الحصول على أسرار الذرّة بعد إعلان قيام دولة إسرائيل سنة ١٣٦٨ هـ. (١٩٤٨ م) في الأرض المقدّسة من أرض فلسطين ، وكانت محاولتها مكتومة عن العالم تخفيها بالتظاهر بالفقر والعوز وبالدعوة إلى السلام .

ولأول مرة ظهرت نيّـات إسرائيل في الحصول على السلاح الذري بعد الإعتداء الثلاثي على مصر سنة ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) ، إذ ظهر أن من جملة شروط التعاون الفرنسي - الإسرائيلي في مهاجمة مصر ، هو إمداد فرنسا لإسرائيل بأسرار الذرّة وموادها الأولية المتيسرة لديها .

وبدأت إسرائيل تخطّط لإقامة فرن[١] ذري (ديمونا)

---

(١) الترجمة الحقيقية لكلمة (Reactor) الإنكليزية هي (مفاعل) ، غير أن هذه الكلمة ليست دارجة في البلاد العربيـة بل الدارج هو (الفرن الذري) أو (المولد الذري) .

الواقعة في منطقة (بئر السبع) سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧م)[١] وتضع له التصاميم . وكانت فرنسا عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) قد قطعت شوطاً بعيداً في مشروعها الرامي إلى صنع أول قنبلة ذرية : أنجزت إقامة أفرانها الذرية ، ودأب علماؤها على مواصلة تجاربهم ؛ فاستعانت إسرائيل بفرنسا في تنفيـــذ مخطّطاتها الذرّية ، وكانت مصيبة الفشل في حملة (السويس) قد قرّبت بينهما أكثر من ذي قبل ، وعزّزت من تحالفهما ضد الدول العربية .

ب – وفجّرت فرنسا قنبلتها الذرية الأولى سنة ١٣٨٠ هـ (شباط ١٩٦٠ م) في صحراء الجزائر ، فاستغلّت إسرائيل حقد فرنسا على العرب استغلالاً شنيعاً ، وزار بن غوريون فرنسا في حزيران من هـــذه السنة مهنئاً ومستجدياً ، كما زارها رجال مسؤولون من إسرائيل كشمعون بيريز وكيل وزير الدفاع الإسرائيلي ، وكان لتلك الزيارات علاقة وثيقة بمحاولات إسرائيل للحصول على السلاح الذري[٢] .

فقد أكدت الأنباء أن فرنسا زوّدت إسرائيل بمقدار

---

(١) كتبت جريدة نيويورك تايمس تعليقاً للكاتب (آرثر كروك) جاء فيه : « إن التاريخ السري للفرن الذري الإسرائيلي يبدأ في أيلول عـام ١٩٥٧ م » .

(٢) أكدت ذلك جريدة الديلي ميل البريطانية في عددهـا الصادر بتاريـخ ٢١ – ١٢ – ١٩٦٠ .

من البلوتونيوم[1] وبالأسرار الفنية اللازمـــة لصنع القنبلة الذرية[2] وبالخبراء لإقامة الفرن الذري الإسرائيلي ، وقـد ثبت أن هـــذا الفرن كان يشرف على إنشائه علماء فرنسيون !.

ولكن إسرائيل كذّبت هذه الأنبـــاء ، فصرّح بن غوريون[3] في البرلمان الإسرائيلي : « بأنه لا صحة للأنبـاء القائلة بأن إسرائيل تصنع قنبلة ذرية » ، ومن المدهش حقاً ان الصحافة العربية ردّدت هذا التكذيب مقتنعة بصحته ، من غير أن تفكّر بأن هـــذا الإنكار تقتضيه المصلحة العسكرية والسياسية معاً لإسرائيل ، وكان بإمكان العرب التشهير بنيّات إسرائيل العدوانية واستثارة الرأي العـــام العالمي الذي يطالب بتحريم الأسلحة الذرية ...

لقد ادّعى بن غوريون في تصريحاته التي أشرنا إليها ، بأن الفرن الذري الذي تبنيه إسرائيل في منطقة (بئر السبع)

---

(١) البلوتونيوم (Plutonium) : عنصر يستخرج من أحـــد أنواع اليورانيوم (وهو اليورانيوم ٢٣٨) .

(٢) جاء في مجلة (نيوز ويك) الأمريكية الصادرة في ٢٦ كانون الأول سنة ١٩٦٠ التي ذكرت هذا الخبر تحت عنوان : « قنبلة في الأراضي المقدسة » ، بأن مصادر موثوقة في لندن وواشنطن أيدت هـــذه المعلومات .

(٣) كان تصريحه يوم ٢١ – ١٢ – ١٩٦٠ .

هو للأغراض السلمية ، وهذا الإدعاء تمويه واضح وتخدير للعرب لم ينطل حتى على أصدقاء إسرائيل ، لأن الطاقة الإنتاجية للفرن المذكور تبلغ (٢٤٠٠٠) كيلو واط . وهذه الطاقة تجعله صالحاً لإنتاج البلوتونيوم اللازم لصنع القنبلة الذرية[١] .

- ٣ -

عوامل إنتاج السلاح الذريّ

أ - من الإشاعات التي تطلقها إسرائيل بين حين وآخر ، وتردّدها الصحافة العربية ، ويصدّقها بعض المسؤولين العرب ، إن محاولات إسرائيل للحصول على الأسلحة الذرية مجرّد دعاية إسرائيلية للتأثير على معنويات العرب ، ولتخويفهم من قوة إسرائيل الضاربة ، ولمنعهم من استرداد أرضهم المغتصبة في أرض فلسطين .

وإذا قلت : إن هذه من جملة إشاعات إسرائيل ، وإن العرب وحدهم يصدقونها ، فإنما أعني كل كلمة أقولها ، لأن غير العرب من الأمم الشرقية والغربية على حد سواء تعتبر

---

(١) نشرت مجلة (نيوز ويك) في عددها الصادر بتاريخ ٢ - ١ - ١٩٥١ صورة الفرن الذري الإسرائيلي الجديد ، وأكدت أن هذا الفرن يصلح لإنتاج الطاقة الذرية .

مزاعم إسرائيل هذه خطـّة تضليلية محكمة تهدف الى تغطية نوايا إسرائيل العدوانية بحجاب كثيف من الشك والريبة، حتى إذا أكملت إسرائيل إنتاج سلاحهـا الذري ، جعلت العرب في وضع لا يحسدون عليه ، وأجبرتهم على الركوع أمام مطاليبها الظالمة وأهدافها التوسعية على حساب الدول العربية المجاورة .

فما هي عوامل إنتاج السلاح الذري ، التي إذا تيسّرت في دولة من الدول استطاعت بيسر وسهولة إنتاج هـــذا السلاح ؟؟

هذه العوامل هي أربعة كما هو معروف :

أولاً : تيسّر علماء الذرة . ثانياً : تيسّر الأفران والمواد الذرية . ثالثاً : تيسّر المال اللازم لإنتــاج السلاح الذري . رابعاً : تيسّر ساحة مناسبة لإجراء التجارب الذرية .

فهل تتيسر هذه العوامل مجتمعة في إسرائيل ؟؟

ب – أولاً – تيسر علماء الذرة :

آنشتين صاحب النظرية النسبيـــة وأبو الذرة الأول يهودي ، وأكثر علماء الذرة في العــالم يهود ، فقد نزح الى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بعد الحرب العالميـــة الثانية من ألمانيا والمجر وإيطاليـــا من علماء الذرة اليهود

عـدد ضخم يكفي أن نذكر منهم (فيرمي) و (تيلر) و (ويلر) و (زيلارد) الخ ...

وقد كان رئيس لجنة الطاقة الذرية في الولايات المتحدة الأمريكية الى وقت قريب ، عالماً يهودياً .

وقد أثبتت محاكمات العلماء الذين أفشوا أسرار الذرة الى الاتحاد السوفياتي والى الصين الشعبية في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيـا وكندا من أمثال الدكتور (فوكس) ، أن هؤلاء العلماء من يهود .

فإذا أفشى علماء الذرة من يهود أسرار القنبلة الذرية للإتحاد السوفياتي وللصين الشعبية ، فهل يحجمون عن إفشاء تلك الأسرار لإسرائيل ؟

إنّ في إسرائيل علماء في الذرة يشتغلون في المؤسسات الإسرائيلية التالية :

١) لجنة الطاقة الذرية الإسرائيلية .

٢) معهـــد (وايزمان) في (راحبوت) : ويبحث في الرياضيات التطبيقية والفيزياء وفي الالكترونيات والتصوير الكيماوي وفي غيرهـا من العلوم . وقسم الفيزياء الذري في هـــذا المعهد هو الذي يقوم الآن بمعظم البحوث الذرية الإسرائيلية .

٣) مجلس البحوث الوطني : وهو عبـــارة عن مجلس

تنسيقي للبحوث التي تجري في المعاهد العلمية الإسرائيلية كلها. وقد عيِّن لرئاسة هذا المجلس العالم الإسرائيلي (دوستروفسكي[1]) الذي كان يشغل منصب مدير قسم النظائر المشعة في معهد (وايزمان).

٤) مديرية العلوم في وزارة الدفاع الإسرائيلية: وتشرف هذه المديرية على جميع القضايا العلمية للقوات المسلحة الإسرائيلية بما في ذلك القضايا الذرّية.

هذه المؤسسات العلمية الإسرائيلية، تعمل بتعاون وثيق مع علماء الذرة من يهود في العالم كله، وكمثال واحد على هذا التعاون، زيارة إسرائيل من (روبرت اوبنهايمر) الذي أشرف على صنع أول قنبلة ذرية في العالم لحساب الولايات المتحدة الأمريكية، ومن (فليكس بلوخ) الذي انتخب عام ١٩٥٤ م مديراً عاماً للمجلس الأوروبي للأبحاث الذرية، وهذان العالمان من يهود الولايات المتحدة الأمريكية[2].

---

(١) عيِّن (دوستروفسكي) بواجب الإشراف على مشاريع الطاقة الذرية لوزارة الدفاع الإسرائيلية في تموز أو حزيران سنة ١٩٢٠، وذلك يصادف موعد عودة بن غوريون من فرنسا، تلك الزيارة التي تمّ فيها الإتفاق حول مساعدة فرنسا لإسرائيل على صنع القنبلة الذرية.

(٢) ذكرت ذلك نشرة (الثقافة الإسرائيلية الحديثة) التي أصدرتها وزارة الخارجية الإسرائيلية في آب من سنة ١٩٦٠، وهذه النشرة تصدر باللغة الفرنسية.

وإسرائيل تفيد من الوكالة الدولية للطاقة الذرية التي تعتبر أهم مؤسسة علمية في المؤسسات العلمية الدولية ، أكثر مما يفيد العرب من الوكالة الدولية للطاقة الذرية .

إن معظم الخبراء الذين طلبتهم إسرائيل لزيارتها بقصد الاستفادة من خبرتهم ، كانوا من كبار المختصين بشؤون المختبرات الحرارية والفيزياء .

وخلال الستة أشهر المنصرمة من هذا العام (١٩٦٦) ، زار إسرائيل أربعة عشر عالماً ذرياً كان آخرهم الاستاذ ت. هايبس البريطاني والاستاذ ت. أ. نونا ميكر الأمريكي وجميع هؤلاء وفدوا على معهد وايزمان للأبحاث الذرية في راحبوت بالقرب من حيفا [١] .

فهل أمثال هؤلاء العلماء يحضرون إسرائيل للترفية عن النفس وللترويح عن القلب وللهو البريء ؟!.

---

(١) الدول العربية التي تشارك بأموالها في هذه الوكالة الدولية للطاقة الذرية هي إحدى عشرة دولة أعضاء في هذه الوكالة يساهمون في ميزانيتها ولهم الحق بالحصول على مساعداتها الفنية من أجهزة وخبراء . ولكن إسرائيل بمفردها تحظى بمساعدات فنية تعادل ثلاثة أضعاف ما تحصل عليه جميع الدول العربية مجتمعة ..!!.

ثانياً – تيسر الأفران والمواد الذرية :

١) هنـــاك فرنان ذريان إسرائيليان : الأول صغير والثاني كبير .

(أ) الفرن الذري الاسرائيلي الأول : أنشأت إسرائيل هذا الفرن بمساعدة أمريكا وفق منهاج : (الذرة من أجل السلام) ، وقد شُيّد هذا الفرن في (نحال روبين) بالقرب من (راحبوت) ، وهـو فرن صغير طاقته الانتاجيـــة (١٠٠٠) كيلو واط ، ويستعمل للأغراض العلميـــة ، ويتدرّب عليه نحو مائتين من رجال العـــالم في دورات متعاقبة .

(ب) الفرن الذري الإسرائيلي الثاني : بدأت إسرائيل ببنائه سنة ١٩٦٠ م ، ومن المؤكد أنها أكملته سنة ١٩٦٥ م أو قبل ذلك بسنة . هذا الفرن في منطقة (بئر السبع) ، طاقته (٢٤٠٠٠) كيلو واط . وهـذا الفرن يؤلف جزءاً من مدينة ذرية تنوي إسرائيل إنشاءها في منطقة (بـئر السبع) . بُني هذا الفرن تحت إشراف مهندسين فرنسيين وبمساعدة فرنسا بموجب اتفاق خاص بينها وبين إسرائيل[١] وتصاميم الفرن شبيهة بتصاميم الأفران الذرية الفرنسية مع

---

(١) جاء ذلك في بيـــان كل من وزارة الخارجية الفرنسية والسفارة الاسرائيلية في باريس الصادر يوم ١٩/١٢/١٩٦٠ .

تعديلات فيها مأخوذة عن تصاميم الفرن الذري الأمريكي الموجود في ولاية (كارولاينا الجنوبية) ، مما يدل على أن إسرائيل استفادت من علماء الذرة من يهود في أمريكا ، فحصلت على تصاميم الفرن الأمريكي ، وأدخلت ما فيه من مزايا على التصاميم الفرنسية ، فأفشت بعض الأسرار الذرية الى فرنسا ، كما أفشت إليها فرنسا علناً ما تملكه من تلك الأسرار[1] .

لقد أجمعت المصادر العلمية بأن فرن (بئر السبع) الإسرائيلي ، يستطيع أن ينتج الطاقة الذرية وعنصر البلوتونيوم معاً ، وقد أكدت تلك المصادر على أن هذا الفرن يمكن الاستفادة منه في إنتاج النظائر المشعة للأبحاث العلمية ، وفي توليد كميات كبيرة من النوترونات للأبحاث العلمية ، وفي إنتاج عنصر البلوتونيوم اللازم لصنع الأسلحة الذرية ، وفي توليد الطاقة الذرية للأغراض الصناعية ، ومن هذه الأغراض تحلية مياه البحر الذي أعلنت عنه إسرائيل .

(٢) اليورانيوم في إسرائيل :

زوّدت فرنسا إسرائيل بكمية من البلوتونيوم plutonium

(١) جرى تحقيق في أمريكا لمعرفة كيفية حصول إسرائيل على تصاميم الفرن الذري الأمريكي ، ومن الواضح أن علماء الذرة من يهود الذين يغمرون أمريكا هم الذين أفشوا سر هذا الفرن الى اسرائيل .

وهو عنصر يستخرج من أحـــد أنواع اليورانيوم (وهو اليورانيوم ٢٣٨) ، كما أصبح في وسع أية دولة الآن شراء هذا المعدن من الأسواق العالمية[١] .

وقد اكتشفت إسرائيل اليورانيوم في منطقة النقب[٢] ، كما أن هذا المعدن متيسّر في منطقة البحر الميّت والمنطقة المجاورة لحمامات (الحمّة) ، وقد استوردت إسرائيل الأجهزة العالمية لتصفية اليورانيوم[٣] .

(٣) الماء الثقيل :

استوردت إسرائيل كميّة من الماء الثقيـل من فرنسا ، كما أن معهد (وايزمان) للأبحاث العلمية اكتشف طريقـة جديدة لإنتاج الماء الثقيل نتيجة لجهوده التي ابتدأت سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) .

---

(١) أصبح الآن سعر الطن من اليورانيوم نحو (٢٥٠٠٠) دولار .

(٢) ذكر ذلك مراسل محطـة الاذاعـــة البريطانية في تـل أبيب يوم ٢٢-١٢-١٩٦٠ تعليقاً على تصريح بن غوريون في الكنيست قبل ذلك بيوم واحد .

(٣) أصدرت جمعية السندات الإسرائيليـة في أمريكا في أيلول ١٩٥٧ تقريراً بقلم الخبير الاقتصادي الأمريكي (ليون كيسر لنك) جاء فيه : إن إسرائيل تقوم بأبحاث لصناعة الماء الثقيل ولاستخراج اليورانيوم من مناجم الفوسفات في النقب .

ثالثاً – تيسُّر المال :

ذكرنا فيما مضى لمحة موجزة عن ثراء إسرائيل ، ونعود هنا لذكر ثراء إسرائيل مرة أخرى لأهمية ذلك وضرورة تأكيده .

من المؤسف حقاً أن تردد الصحافة العربية والإسلامية وأجهزة إعلامها ، أن إسرائيل تعاني ضائقة مالية ، وأنها في عوز شديد وفقر مُدْقِع[1] ، فتعاون هذه الصحف وتلك الأجهزة من حيث تدري أو لا تدري إسرائيل لكسب عطف العالم وتسهيل مهمة الصهيونية العالمية لجمع الإعانات الضخمة والتبرعات الكثيرة من يهود العالم ومن غيرهم لإسرائيل .

في سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م) ، نجحت إسرائيل في عقد اتفاقية تعويضات مع ألمانيا الغربية ، تعهدت ألمانيا بموجبها أن تدفع لإسرائيل مبلغ (٣٧٠٠) مليون دولار خلال عشر سنوات ، أي بمعدل (٣٧٠) مليون دولار في السنة ، وهذا المبلغ وحده يزيد على ميزانية كثير من الدول العربية ، وكان من بعض نتائج هذه الاتفاقية صفقة الأسلحة السرية والمساعدات العسكرية الألمانية لاسرائيل التي

---

(١) فقر مدقع : شديد .

استنكرها العرب سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) ، فقطعت كثير من الدول العربية علاقاتها مع ألمانيا الغربية .

والتبرعات التي يجمعها يهود نيويورك وحدهم سنوياً خلال فترة قصيرة ، تزيد على ميزانية كثير من الدول العربية كما هو معروف !.

ويهود في العالم أغنياء ، وهم يجودون بأموالهم بسخاء لا مزيد عليه لدولتهم الأم إسرائيل .

فإذا كانت إسرائيل تجمع مبالغ طائلة ضخمة من يهود نيويورك وحدهم[١] ، فكم تجمع من يهود في كل أرجاء العالم ؟

إن المال هو عصب الحرب ، ويهود يسيطرون على المال حتى في بعض الدول العربية وفي العالم كلّه .

إسألوا : من هم مدراء المصارف العالمية ؟ إسألوا : من هم المسيطرون على البورصة في الدول الرأسمالية ؟ إسألوا : من هم الذين يسيطرون على الأسواق العالمية[٢] ؟ إسألوا من هم المسيطرون على السوق الأوروبية المشتركة ؟

---

(١) ظهر للعرب وللعالم كله قوة يهود نيويورك أثناء زيارة العاهل السعودي لهذه المدينة في تموز (يوليو) من سنة ١٩٦٦ .

(٢) عقد في إسرائيل مؤتمر للتجارة العالمية في أواخر شهر آذار ١٩٦٦ .

إن الميزان التجاري لإسرائيل يرتفع كل عام ، وهي في كل يوم تجد لها أسواقاً جديدة في مختلف قارات الدنيا [1] !

فهل إسرائيل فقيرة تكاد تموت جوعاً ، كما تصوّر ذلك أجهزة إعلام إسرائيل ، فتردّد ذلك أجهزة إعلام العرب والمسلمين ببلاهة تمزّق نياط القلب ؟

إن إسرائيل والصهيونية العالمية تسيطر على أجهزة الإعلام في العالم ، وهي تبذل من أجل مضاعفة سيطرتها كثيراً من الجهد المنظم والمال الوفير ، فيجب أن تتذكر ذلك أجهزة الإعلام العربية والإسلامية فلا تتلقّى ما تذيعه أو تنشره أجهزة الإعلام العالمية عن إسرائيل فتعيد إذاعته أو نشره بدون تفكير أو تمحيص .

إن كثيراً مما تنشره أو تذيعه أجهزة الإعلام في مختلف الدول ، مـــا هو إلاّ من حياكة يهود وصياغتهم أو من حياكة وصياغة عملائهم الذين يبيعون ضمائرهم بالمال الحرام ، فلا تنزلقنّ أجهزة الإعلام العربية والاسلاميـــة في شِباك إسرائيل والصهيونية العالمية وعملائهم ، فتكون تلك الأجهزة العربية والاسلامية على العرب والمسلمين ، والمفروض أن تكون لهم لا عليهم .

---

(٢) كما لإسرائيل مع آيسلندا التي هي قرب القطب الشمالي والبالغ نفوسها (٢٠٠٠٠٠) علاقات تجارية !

وهنا أذكّر الرأي العام العربي والإسلامي بفقرتين فقط من فقرات بروتوكولات حكماء صهيون .

الأولى التي نصّها : « السيطرة على مصادر الثروة في كل قطر ، واحتكار الصناعة والصيرفة في جميع أنحاء العالم ، والاستعانة بالمضاربات للتلاعب في مقدرات الدول الاقتصادية والسيطرة عليها من هذه الطريق » .

والثانية التي نصّها : « السيطرة على وسائل الإعلام والدعاية والنشر ، كالصحافة والمذياع والمذياع المصوّر (التلفزيون) والسيما (السينما) والأدب والفن والمسرح الخ ... في أقطار العالم المهمّة ، وتسخيرها لمصلحة الصهيونية العالمية » .

إنّ هاتين الفقرتين يجب أن تكونا معروفتين لكل من يشتغل في أجهزة الإعلام في بلاد العرب ودار الاسلام ، أما أن ننشر كل ما نقرأ ، ونذيع كل ما نسمعه ، فهذا هو ما تريده إسرائيل بل أكثر مما تتوقعه إسرائيل ، وهو ما يحدث فعلاً فيما تنشره الصحافة العربية والاسلامية وتذيعه أجهزة إعلامها مع الأسف الشديد .

إن إسرائيل ويهوداً هم قادة المال في العالم كله ، وهم أغنياء العالم والمسيطرون على المال عصب الحرب .

رابعاً – التجارب الذرية :

يبدو لأول وهلة ، أن إسرائيل ستجابه مشكلة كبيرة وصعوبات جمّة في محاولاتها تجربة أسلحتها الذرية ، إذ ليس في المنطقـــة التي تحتلّها منطقة خاليـــة تكفي لإجراء التجارب الذرية .

إن بريطانيا أجرت تجاربها الذرية في صحراء أوستراليا ، وفرنسا أجرتها في صحراء الجزائر أولاً ثم في المحيط بعد ذلك كما تفعل الآن . فأين تجري إسرائيل تلك التجارب .

ولكن إسرائيل فكـّرت في ذلك مسبقـــاً ، إذ ليس من المعقول ولا من المنطق ، أن تبذل إسرائيل كل هذه الجهود وكل هذه النفقات لإنجاز السلاح الذري ، ولا تفكر في الحلول العملية لاجراء تجاربها الذرية .

فقد تستفيد إسرائيل في تجاربهـــا الذرية من مناطق التجارب الفرنسية في المحيط ، وسيوفر لها ذلك مبالغ طائلة بذلتها فرنسا لاقامة التأسيسات والمراصد والآلات الضرورية لإجراء التجارب الذرية .

وقد تجري إسرائيل تجاربها في البحر قرب الساحـل الإسرائيلي أو تحت الأرض ، ومن المعروف أن التجارب تحت الأرض لا تقل أهمية عن التجارب في الجو .

وقد تستغني عن إجراء تجارب الانفلاق الذري ، وهذا المسلك هو الذي يبدو مقنعـاً ، لأن إسرائيل بدون شك استفادت من تجارب الآخرين واستحوذت على عصارة تجارب العلماء من يهود ، فضمنت بذلك دقة إنتاجها الذري الى درجة لا تحتاج معها الى تجارب ذرية .

إن ذلك يلائم ميـــل يهـود الفطري الى الاقتصاد بالنفقات ، وتسخير خبرات الآخرين لصالحهم . كما أنه يلائم موقف إسرائيل من عدة وجوه : يساعدها على كتمان وجود السلاح الذري لديها ، ويجنبهـا استثارة الرأي العام العالمي عامة والرأي العام العربي والإسلامي خاصة .

ثم إن الغرض الرئيس من إجراء هـذه التجارب هو تطوير السلاح الذري وتحسينـه ، وليس التأكد من انفلاق القنابل ، لأن ذلك مضمون تماماً ، وقـد رأينا كيف أن قنبلة (هيروشيما) في اليابان ألقيت دون أن تُجرَّب .

إنني أعتقد أن إسرائيل ستهمل إجراء تجارب الانفلاق الذري ، وتركز جهودهـا لإنتاج قنابلها الذرية بالدرجـــة الأولى .

وعلى كل فإن مشكلة التجارب الذرية ، هي أقل مشاكل الإنتاج الذري شأناً .

جـ ـ تلك هي عوامل إنتاج السلاح الذري بالنسبة لإسرائيل :

عدد ضخم من علماء الذرة من يهود وضعوا حصيلة خبراتهم تحت تصرف إسرائيل ، ودول ذرية كبرى زوّدت إسرائيل بعصارة تجاربها الذرية علناً كفرنسا وسراً كالولايات المتحدة ، وأفران ومواد ذرية متيسرة في إسرائيل حصلت عليها من خارجها ومن داخلها ، وسيطرة حاسمة على ثروات البشرية لا يشك فيها إلا غبي أو عميل أو دخيل أو راغب في غش العرب والمسلمين من العرب والمسلمين أنفسهم أو من أعدائهم المستعمرين والصهاينة ، وقابلية على إجراء التجارب الذرية أو عدم إجرائها حسب ظروفها العسكرية والسياسية .

فهل هناك من العرب والمسلمين مخلص للعرب والمسلمين ، أمين على مصالحهم ، يحبّ لهم الخير والأمن ، ويحرص على على إزالة إسرائيل (حقاً) من الوجود ، يمكن أن يدّعي بأن الأخبار الواردة حول التسلح الذري الاسرائيلي هي من نسج الخيال[1] ؟ .

إن أمثال هؤلاء الإمعات يستحقون السخرية والرثاء .. ولا أزيد !.

---

(١) صرح أحد أعضاء وفود الدول العربية التي حضرت مؤتمر وزراء الخارجية في بغداد سنة ١٩٦١، بأن الأخبار الواردة حول التسلح الذري الإسرائيلي هي من نسج الخيال !!. ولا يزال بين المسؤولين العرب من أمثال هذا المسؤول كثيرون مع الأسف الشديد !

- ٤ -

أهداف إسرائيل من التسلح الذري

أ - الأهداف العسكرية :

(١) المعنويات :

يحاول العدو رفع معنويات قواته المسلحة خاصة وشعبه عامة ، ويحطم معنويات القوات المسلحة لعدوه خاصة وشعوبها عامة .

والمعنويات العالية عنصر ضروري للجيوش وللشعوب ، وتلك المعنويات العالية عامل حاسم من عوامل الانتصار في الحروب ، لا تقل شأناً عن التدريب الجيّد والتسليح الممتاز والتنظيم الدقيق والتجهيز المتكامل .

والجيش الذي يتفوّق بأسلحته على عدوّه ترتفع معنويات جنوده من جهة ، وتتحطّم معنويات عدوّه من جهة أخرى .

ووجود السلاح الذري لدى إسرائيل هو تفوق ساحق على الأسلحة التقليدية ، لأن قوة السلاح الذري وضخامة تأثيره جعل الأسلحة الأخرى في قوتها وتأثيرها بالنسبة الى السلاح الذري كلُعب الأطفال .

فإذا أنتجت إسرائيل السلاح الذري ، فاقرأ على معنويات العرب والمسلمين السلام .

كانت اليابان في الحرب العالمية الثانية متفوّقة بالجيوش البرية والبحرية على الحلفاء ، وكانت تقاتل في مناطق بعيدة عن الوطن الأم ، وكان بإمكانها أن تديم زخم الحرب وتصمد للحلفاء مدّة طويلة قبل أن تنهار عسكرياً . ولكن بمجرد استعمال الولايات المتحدة للقنابل الذرية في هيروشيما وناكازاكي أدى الى استسلام اليـــابان للحلفاء ، حيث أذاع الميكادو امبراطور اليابان بيانه المشهور الذي قال فيه : « لقـــد أصبح لدى العدو سلاح لا نستطيع الصمود أمامه ، فـلم يبق أمامنا غير الاستسلام » .

إن إسرائيل ستربح معركة المعنويات على العرب والمسلمين بمجرد حصول إسرائيل على السلاح الذري وبقـــاء العرب والمسلمين في نطاق أسلحتهم التقليدية .

(٢) التوسّع على حساب البلاد العربية :

الصهيونية لا تؤمن بغير القوة ، فهي تعتمد على التفوّق العسكري قبل كل شيء ، وهذا حدا بحكام إسرائيـــل أن يجعلوا منهـــا دولة عسكرية ، وأن يطبعوا كل شيء فيها بالطابع العسكري .

حوكم مرة كاتب إسرائيلي انتقــد الاتجاه العسكري البحت في إسرائيل ، فقال في معرض دفاعــه للمحكمة : « إني وجدت العناية منصرفة في هـذا البلد لخلق شباب متعصب الى أقصى حدود التعصب ، فهـو يربى تربيـة عسكرية ، ويوجّه توجيهاً حربياً الى أهداف احتلاليـة ، ويتلقى تعليماً تعصبياً من النوع الضيق جداً كالذي يطبق في الدول العسكرية . إنهم جعلوا الجيش هنا قبلة الشباب ومنحوه مركزاً ممتازاً كما كان اليابانيون والنازيون يؤلهون جيشهم . إنهم في هذا البلد ينشّئون الأطفال هـذه التنشئة العسكرية ، ويستعينون على هذا الغرض بجميع الوسائـل التي تملكها الدولة . إنهم يطبعون كل شيء في الدولـة بطابع الروح العسكرية ، طابع الغزو والاستعمار[1] » .

قال بن غوريون في مقدمـة الكتاب السنوي لاسرائيل الذي صدر سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) : « إن إسرائيل لا يمكن أن توافق على إعادة فلسطين الى أهلهـا العرب ، فالمشكلة الفلسطينية لا يمكن أن تحل إلا بالحرب ، والحرب هذه ستقرر مصير إسرائيل ، فإما زوالها وإمـا بقاؤها . ولكي ننتصر في الحرب يجب أن نتفوق على البلاد العربية فواقاً عسكرياً ساحقاً » . وقال بن غوريون أيضـاً في

(١) كان ذلك أمام المحكمة في تل أبيب بتاريخ ١٩ – ٤ – ١٩٥١ .

مقدمة الكتاب السنوي الرسمي لإسرائيل لسنة (١٩٥١ — ١٩٥٢) : « إن الدولة تأسست في جزء من أراضي إسرائيل فقط » . ووقف بن غوريون يوم ٧ تشرين الثاني ١٩٥٦ في الكنيست وقال مزهواً : « إن الحملة على مصر كانت مهمّة تاريخية ، وأن هذه المهمة تكللت بالنجاح التام وأدَّت إلى احتلال غزّة وسيناء ، وأن هاتين المنطقتين ليستا جزءاً من أرض مصر » ، ويقصد بذلك أنها جزء من إسرائيل .

إن التوسّع هــدف متمِّم لتأسيس دولة إسرائيل ، فالصهيونية العالمية لم تستهدف تأسيس دولة إسرائيل فحسب في هذه المنطقة الضيّقة من أرض فلسطين ، بل تستهـدف توسيع رقعتها لتمتد من النيل إلى الفرات ، ولتكون وطناً قومياً يكفي جميع يهود العالم .

لقد استطاعت إسرائيل أن تتوسّع عند بدء تأسيسها ، فاحتلت نحو (٢٠٠٠) ميل مربع من الأرض التي كانت مخصصة للعرب وفق قرار التقسيم[١] . وبعد عقــد الهدنة بينها وبين الدول العربية ، أخذت الصهيونية العالمية تتحدث عن الحدود التاريخية للدولة ، فقال منـاحيم بيغن[٢] زعيم

---

(١) تبلغ مساحتها الآن نحو (٧٩٠٠) ميل مربـع ، ولذلك فإن مساحة المنطقة التي احتلتها من المنطقة المخصصـة للعرب وفق قرار التقسيم نحو ربع مساحتها الحالية .

(٢) رئيس المنظمة الإرهابية السرية (أرغون زفاي لومي) التي ارتكبت مجزرة دير ياسين وغيرها عام ١٩٤٨ .

حزب (حيروت) في المؤتمر الصهيوني العالمي الخامس والعشرين الذي انعقد في القدس خلال كانون الأول ١٩٦٠ م : « إن مساحة إسرائيل حالياً لا تتجاوز خُمس مساحة الأراضي الإسرائيلية ، وإن على يهود أن يعملوا للإستيلاء على الأخماس الأربعة الباقية وضمها إلى دولتهم . أما هذه الأخماس الأربعة فهي الضفة الغربية من الأردن وقطاع غزة والأردن بأكمله وشبه جزيرة سيناء وبعض مناطق البلاد العربية الأخرى المجاورة لفلسطين » .

وقال بن غوريون سنة ١٩٥٢ م. في (كليفلند) بالولايات المتحدة الأمريكية : « إن كل يهودي يقيم خارج إسرائيل منذ تأسيسها يعتبر آثماً ومخالفاً لتعاليم التوراة » ، وهو يريد بذلك جمعَ كل يهود العالم في إسرائيل ، فإذا كانت إسرائيل تضيق حالياً بسكانها وهم مليونان ، فكيف تتّسع لحوالي أربعين مليوناً من يهود إذا لم توسّع إسرائيل رقعة أرضها على حساب الدول العربية المجاورة ؟

إن تهالك بن غوريون وغيره من حكام إسرائيل على حثّ يهود في العالم للهجرة إلى إسرائيل ، سببه إيجاد حجّة للتوسع الإسرائيلي وخلق الظروف الملائمة لذلك ، فهم يشعرون أن مستقبل إسرائيل رهن بتوسعها ونموّها .

ولن تستطيع إسرائيل التوسع بدون تفوّق ساحق على

العرب بالتسليح الذري ، لأن جيشها الحالي بتسليحه التقليدي لن يتفوق في حال من الأحوال على الجيوش العربية .

(٣) حماية نفسها والدفاع عن كيانها :

كان تأسيس دولة إسرائيل خطأ سياسياً وعسكرياً واقتصادياً . فمن الوجهة السياسية لا يمكن تأسيسها قَسْراً وسط محيط عربي متجانس ، فإذا نام العرب والمسلمون ساعة فلن يناموا إلى قيام الساعة .

ومن الوجهة العسكرية ، فإنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها ضدّ أعداء يحيطونها من كل جانب ، وهم يبلغون أضعافها نفوساً ومساحة وإمكانات ، فإذا كانوا ضعفاء ساعة فلن يبقوا كذلك الى قيام الساعة .

ومن الوجهة الاقتصادية ، فإنها لا يمكن أن تعيش إلى الأبد دولة صغيرة بين جيران يضربون حولها حصاراً اقتصادياً شديداً ويقاطعونها ويقاطعون كلّ من يتعامل معها .

هذه الأخطاء لا يمكن تصحيحها إلا بحرب أو حروب تنتهي بالقضاء على إسرائيل ، أو بتحقيق أهدافها فتنمو وتتوسع على أسس جديدة أقلّ شذوذاً وأكثر ملائمة مما هي عليه الآن .

إن الدفاع عن كيان إسرائيل سيؤدي بهذه الدولة الى مهاجمة البلاد العربية ، ولن تستطيع التغلب على العرب ومن ورائهم المسلمون إلا بحصولها على السلاح الذري .

ب – الأهداف السياسية :

(١) إجبار العرب على الصلح مع إسرائيل :

هدف حيوي من أهـداف السياسة الإسرائيلية لا بدّ لها من تحقيقه ، إذا أرادت التخلص من الوضع الشاذ الذي يستحوذ عليها منذ تأسيس دولة إسرائيل حتى الآن . فهي لا تستطيع أن تعيش الى الأبد بين جيران يعادونها ويرفضون الاعتراف بها ويقاطعونها سياسياً واقتصادياً مقاطعة لا هوادة فيها ، ويهدّدون كيانها ويتربصون بها الدوائر .

لقد توقّع زعماء الصهاينة أن العرب سيرضخون للأمر الواقع بعد تأسيس إسرائيل ويعترفون بها ، ولكن الواقع أثبت عكس ذلك .

إن الحقد المقدّس يزداد مع الأيام على إسرائيل ، وإن المسؤولين العرب يعرفون حق المعرفة أن من يفكر منهم بالاعتراف بإسرائيل أو مصالحتها يخسر مكانته بين شعبه وبين العرب وبين المسلمين ، وقد يخسر سلطانه وروحه أيضاً ، لذلك لن يعترف العرب بإسرائيل مختارين !

ولكي تجبر إسرائيل العرب على الصلح معها والاعتراف

بوجودها ، لجأت الى وسائل العنف[1] ، فاعتدت منذ تأسيسها حتى سنة ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) عدة اعتداءات على الدول العربية المجاورة ظناً منها بأنها تستطيع إرهاب العرب وإرغامهم على الخضوع لمشيئتها ، ولكن اعتداءات إسرائيل لم تزد العرب إلا عناداً وحقداً على إسرائيل ورغبة في الانتقام منها ، كما كان لها ردّ فعل شديد في البلاد العربية ، أدى إلى يقظتها وتعزيز قواتها الرادعة لمجابهة إسرائيل .

ثم كانت مغامرة إسرائيل في حرب السويس سنة ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) ، إذ زعمت أن (توازن القوى) بينها وبين العرب قد اختلّ ، وأنها ستخوض (حرباً مانعة)[2] لكي تحول مقدماً دون هجوم الدول العربية عليها ؛ وكان هذا هو السبب الرئيس لعدوانها على مصر متعاونة مع بريطانيا وفرنسا .

غير أن مغامرة السويس لم تفشل في تحقيق الأهداف

---

(١) صرح بن غوريون مرة لمراسل إحدى محطات المذياع المصور (التلفزيون) الأمريكي : « إن العرب يهابون القوة » . وقد صرح بمثل ذلك كثير من حكام إسرائيل . وبتأثير هذه العقلية عمد بن غوريون وغيره من حكام إسرائيل الى الاعتداءات المتكررة على القرى العربية القريبة من حدود إسرائيل .

(٢) (Preventive war)

التي توختها إسرائيل فحسب ، بل أحدثت نتائج معكوسة ، فكانت حافزاً جديداً دفع بالعرب الى مضاعفة جهودهم في سبيل النهوض والتحرّر من ربقة الاستعمار والتخلف ، وأصبح العرب أشد عزماً وتصميماً على استرداد حقوقهم المشروعة في الأرض المقدسة .

وفقدت إسرائيل الأمل في إجبار العرب على الصلح معها والاعتراف بوجودها بالعنف الذي تنهض به الأسلحة التقليدية ، فاتجه تفكير حكام إسرائيل الى إنتاج السلاح الذري الذي به يجبرون العرب على الصلح ، فيكون بذلك صلح العرب استسلاماً لا سلاماً .

غير أن حكام إسرائيل لم يتوقفوا عند هذا الحد ، بل أخذوا يتاجرون بنياتهم السلمية فيتشبثون بشتى الوسائل لاكتساب عطف الدول الكبرى شرقية[1] وغربية على إسرائيل بالتظاهر علناً بنياتها السلمية وبالعمل سراً لإنتاج السلاح الذري ؛ ولكن أي سلام يمكن أن تقنع به الدول العربية ، وهناك أكثر من مليون لاجىء عربي بعيدين عن وطنهم المغتصب فلسطين ؟؟!!

---

(١) أذاعت محطة موسكو مقالاً لجريدة برافدا يوم ١٢ - ٣ - ١٩٦٦ ، تؤيد فيه إقرار السلام في الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل ، وقد صرح سفير روسيا في إسرائيل بذلك التاريخ ما يؤيد ذلك ، فلما حاول بعض مراسلي الصحف والاذاعات العربية الاستفسار من سفراء روسيا في البلاد العربية عن سرّ هذا الاتجاه رفضوا الجواب .

بل كيف يمكن أن يرضى العرب ببقاء إسرائيل في أرضهم ، ولن ينالوا حظهم من الحيـــاة بوجود هذه الدولة بين ظهرانيهم ...

إن إنتاج السلاح الذري في إسرائيل ، سيكون عاملاً في تفوّق إسرائيل السياسي على العرب إذا بقي العرب محرومين من هذا السلاح الرهيب . وسيؤمن هـــذا السلاح لإسرائيل المبادرة بالعمل ويساعدها على التلويح باستخدامه ضد الدول العربية وتهديدهم به عنـــد سنوح الفرص ، وذلك لتحقيق أهدافها السياسية بدون قتال .

كما أنه سيكون سلاحاً رادعاً يضمن سلامـــة إسرائيل ويحول دون إقدام الدول العربية على مهاجمتها ، وقـد يؤدي ذلك الى تثبيط عزائم (بعض) العرب وحملهم على الاعتراف بالأمر الواقع .

٢ – رفع مكانتها السياسية بين دول العالم :

إنتاج إسرائيل للسلاح الذري ، يرفع مكانتها الدولية بين دول العالم ، فمكانة فرنسا قبل أن تكون دولة ذرّية غير مكانتها بعد أن أصبحت دولة ذرية ، وما يقال عن فرنسا يقال عن الصين الشيوعية أيضاً .

لقد كانت (القوة) ولا تزال وستبقى ، لها أعظم الأثر على المكانة السياسية لأية دولة في العالم ، فالقوي محترم دائماً ، والضعيف مهان دائماً ، وكل زعم يخالف ذلك خيال وهراء .

٣ – الدعاية لاسرائيل :

ستتخذ إسرائيل من إنتاجها السلاح الذري وسيلة مؤثِّرة للدعاية عن فنِّها الصناعي والعلمي ، وستجعل مؤسساتها الذرية مركزاً لتدريب علماء الدول الآسيوية[١] والإفريقية ودول أمريكا اللاتينية . وقد نجحت إسرائيل مع الأسف في تأسيس علاقات سياسية واقتصادية وثقافية وعسكرية مع بعض دول آسيا وإفريقية وأمريكا اللاتينية علاوة على علاقاتها مع الدول الغربية ، واستطاعت أن تكسب بشتى الوسائل ثقة هذه الدول وإعجابها .

فإذا ما استطاعت إنتاج السلاح الذري ، فإن الدول المذكورة ستزيد من اعتمادها على إسرائيل ، وبذلك تكسب دعماً سياسياً من تلك الدول : يؤيِّدون قضاياها السياسية ، ويقفون الى جانبها على الدول العربية في المحافل الدولية .

– ٥ –

واجب الدول العربية

أ – التدابير العسكرية :

أولاً : الحصول على السلاح الذري بأية وسيلة كانت

---

(١) كما يجري ذلك فعلاً الآن وقبل بضع سنوات .

وبسرعة ، وذلك لتقليل المدة التي ستكون خلالهـا إسرائيل متفوقة علينا بهذا السلاح . لقد نجحت إسرائيل بإقناع فرنسا لتزويدها بالأسرار والمواد الذرية ، فلمـاذا يعجز العرب عن إقناع إحدى الدول الذرية لتزويدهم بتلك الأسرار والمواد ؟!

ثانياً : الإسراع بإنشاء الأفران الذرية الكبيرة لإنتـــاج البلوتونيوم أو غيره من العناصر القابلة للإنفجار . ويجب أن تكون الطاقة الإنتاجية لهذه الأفران مساوية على الأقل للطاقة الإنتاجية للفرن الذري الإسرائيلي الجديد .

وبالنظر لتكاليف الفرن الذري وصعوبة إيجاد العناصر الفنية للعمل فيـــه ، فلا بد أن تشارك في نفقات الأفران والمواد الذرية جميع الدول العربية ، ويجري العمل لتحقيق ذلك بإشراف القيادة العربية الموحدة .

ويجب أن تنشأ بالاضافة الى ذلك المعامل الفرعية الأخرى اللازمة لإنتـاج السلاح الذري ، كالمعمل الكيماوي الضروري لفصل البلوتونيوم بعد إنتاجه ، ومعمل الماء الثقيل ... الخ

ثالثاً : إعـادة النظر في تنظيم وتدريب وتجهيز الجيوش العربية لجعلها ملائمة لحرب ذرية ، وذلك أسوة بما فعلته بعض دول العالم وما تفعله دول كثيرة الآن .

إن إنتـــاج السلاح الذري أثـّر على تنظيم الجيوش وعلى تدريبها وعلى تجهيزها ، فلا بدّ من اقتباس كل هذه الأمور

الحيوية من الدول القوية الأخرى .

رابعاً : تعليم المدنيين في الدول العربية حقـــائق الحرب الذرية وأساليب الوقاية منها والدفاع ضد أخطارها ، وجعلهم يتهيأون فكرياً لحرب ذرية لئلا يفاجأوا بهـا على حين غرّة منهم فتنهار معنوياتهم عند نشوبها .

إن الحرب الذرية تتطلـّب من الشعوب معنويات عاليـة لتصبر على الضر ، وتتحمل الكوارث ، وتصمد تجاه الخطوب ، ومن أهم عوامل رفع المعنويات هو التمسك بالدين الحنيف .

خامساً : الاهتمام بتدابير الدفاع السلبي ضد أخطار الحرب الذرية ، كإنشاء الملاجىء وتهيئـة فرق المطافىء وتدريبها ، وتحاشي الإسكان المزدحم في المناطق الصناعيـة التي يحتمل أن تكون هدفاً مفضلاً للأسلحة الذرية ، وتوزيع المنشآت الصناعية في مناطق متباعدة داخل البـلاد ، والاستفادة من العوارض الطبيعية كالجبال لحماية تلك المنشآت وخزن الأسلحة والعتاد في تلك العوارض ، واتخاذ التدابير لحماية مشاريع الماء والكهرباء والغاز والمواصلات ومنابع البترول وغيرها من الأهداف الملائمة للقصف الذري .

سادساً : مراقبة التسلـّح الذري الاسرائيلي مراقبة دقيقة ، والحصول على المعلومات عنه باستمرار . إن إسرائيل مفتوحة العينين دائماً ، أما العرب ؟!

سابعاً : وضع خطة عسكرية موحدة للبلاد العربية لمجابهة

الخطر الذري الإسرائيلي وإحباطه ، وهذه الخطة هي من أول وأهم واجبات القيادة العربية الموحدة .

ب – التدابير العلمية :

أولاً : حشد الكفايات العلمية العربية أولاً والكفايات العلمية الإسلامية ثانياً ، والاستفادة من خبراء العالم في الذرة – خاصة من الدول المحايدة والدول غير الاستعمارية والدول غير الذرية ، وجعلهم يعملون ليلاً ونهاراً بإشراف المؤسسات العلمية العربية والجامعة العربية والقيادة العربية الموحدة .

ثانياً : إرسال البعوث من البلاد العربية حسب خطة مرسومة للتخصص في الدراسات الذرية في الجامعات الأجنبية والاهتمام بالعلوم الذرية في الجامعات العربية ، وفتح جامعة خاصة لشؤون الذرة تموّل من الدول العربية كلها ويُشرف عليها قسم الدراسات العليا في الجامعة العربية .

لقد أصبح لدى العرب كثير من الأدباء ورجال القانون ورجال التربية وعلم النفس ... الخ ، أما علماء الذرة فما أقلهم .

ثالثاً : الاهتمام بسلاح الصواريخ وتطويره ، فقد تقدم هذا السلاح تقدماً عظيماً للحاق بالتقدم الذري ، وسيلعب هذا السلاح دوراً كبيراً في حروب المستقبل . إن الشروع في تهيئة الخبراء والفنيين لإنتاج هذا السلاح ، مهمٌ جداً

وضروري للغاية إذا أرادت الدول العربية أن تجاري دول العالم الأخرى في هذا المضمار .

وبالعلماء وحدهم تستطيع الدول العربية أن تطوِّر هذا السلاح وتُنْتِجَهُ على نطاق واسع متكامل .

رابعاً : البحث عن اليورانيوم والثوريوم[1] (Thoriom) في البلاد العربية واتخاذ التدابير اللازمة لاستخراجهما .

إن العثور على هذين العنصرين سيكون مصدر قوة عسكرية وثروة اقتصادية كبيرة للبلاد العربية[2] . وفي البلاد العربية كما ثبت للخبراء كميات لا يُستهان بها من هذين العنصرين ، فقد اكتشفا في مناطق معينة من البلاد العربية ، ولا تزال بعض تلك البلاد بكراً لم يحاول أحد التنقيب فيها عن هذين العنصرين وعن غيرهما من العناصر الحيوية حتى اليوم .

والعلماء وحدهم هم الذين يستطيعون أن ينقبوا عن هذين العنصرين وعن غيرهما من العناصر الأخرى .

---

(١) عنصر يشبه اليورانيوم ، ويمكن الاستفادة منه لصنع الأسلحة الذرية بطرق مماثلة للطرق التي تستخدم للاستفادة من اليورانيوم .

(٢) جاء في مقال للاستاذ فوزي الشتوي نشرته « الأهرام » القاهرية ، أن اليورانيوم موجود في الفيوم وسيناء وفي سورية .

ج – التدابير السياسية :

أولاً : القيام بحملة واسعة النطاق في جميع أنحاء العالم ، لإظهار إسرائيل أمام الرأي العام العالمي دولة تنوي للعدوان بإقدامها على التسلح الذري ، في زمن تطالب فيه شعوب العالم بالسلام وتحريم الأسلحة الذرية وإيقاف تجاربها .

ومن المؤسف حقاً ، أن نجد أكثر السفارات العربية في البلاد الأجنبية تقف موقف المتفرج بدون حراك من نشاط إسرائيل في شتى المجالات .

إن خطباء إسرائيل يعملون ليلاً ونهاراً في (هايد بارك) من لندن للدفاع عن قضيتهم ، ولم أجد خطيباً عربياً واحداً يدافع عن حقوق العرب هناك ، فهل يكون يهود أحرص في الدفاع عن باطلهم من العرب في الدفاع عن حقهم ؟!

ونشاط إسرائيل ملحوظ في الهيئات الدولية وفي المؤتمرات العالمية ، أما العرب ؟؟!!

ثانياً : استغلال نيات إسرائيل العدوانية هذه لإقناع الدول الآسيوية والإفريقية ودول أمريكا اللاتينية والدول غير المنحازة والدول غير الاستعمارية التي تتعامل مع إسرائيل الآن ، بالكف عن هذا التعامل . وإذا أمكن إغراؤهم بالتدريب في المؤسسات الذرية العربية بدلاً من التدريب في المؤسسات الذرية الإسرائيلية ، فذلك يؤدي الى إحباط

خطط إسرائيل لاستمالة هذه الدول وجعلها تحت كنفها بما تقدمه إليهم إسرائيل من عروض مغرية لتدريب رجالهم في مؤسساتها الذرية .

ثالثاً : إن مساهمة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في خلق إسرائيل وفي إغداق المساعدات المادية والمعنوية عليها منذ تأسيسها حتى اليوم ، يُلقي على عاتق هاتين الدولتين مسؤولية أدبية . كما أن مساعدة فرنسا لإسرائيل علناً بالمواد الذرية وتشييد فرنها الذري الجديد والمعامل الذرية الأخرى ، يلقي على عاتق هذه الدولة مسؤولية أدبية أيضاً .

إن إثارة موضوع إنتاج إسرائيل للسلاح الذري من العرب على هذه الدول بالوسائل السياسية وعلى نطاق المنظمات الدولية للحصول منها على ضمانات كافية حول منع إسرائيل من إنتاج السلاح الذري ، وإصدار هذه الضمانات ببيان ينشر ويذاع في العالم ، والحصول على وعد من هذه الدول بقطع مساعداتها المالية والاقتصادية عن إسرائيل في حالة استغلال فرنها الذري الجديد لأغراض التسلح الذري .

إن هذه الدول وحدها تستطيع إيقاف إسرائيل عند حدّها إذا شاءت ، ومطالبة العرب لها بالضمانات عمل مشروع تؤيده كل الدول المحبة للسلام ، ولا تستطيع هذه الدول أن تتنصل منه ، وإلا كشفت أوراقها علانية بأنها هي التي

تشجع إسرائيل على الاعتداء بالسلاح الذري من أجل التوسّع على حساب الدول العربية .

يجب إقناع هذه الدول بأن تقديم هذه الضمانات سيخدم مصالحها بالذات في البلاد العربية وفي دار الإسلام ، ويزيل الشكوك التي تساور النفوس في نياتها المستورة تجاه منطقة الشرق الأوسط ، كما تخدم هذه البيانات قضية السلم العالمي .

رابعاً : القيام بحملة سياسية في البلاد الغربية عامة وفي الولايات المتحدة خاصة ضد جمع التبرعات لإسرائيل وشراء سندات القرض الإسرائيلي ، باعتبار أن هذه الأموال التي تجمعها إسرائيل تصرف على قضايا التسلح الذري الذي يهدِّد السلام العالمي بأفدح الأخطار .

إن إطلاع شعوب تلك الدول على نيات إسرائيل العدوانية ، وأن ما تقدمه من تبرعات تستخدم لإنتاج السلاح الذري ، وأن استخدام إسرائيل ضد العرب لهذا السلاح يمكن أن يؤدي إلى حرب عالمية ثالثة لا تُبقي ولا تذر ، كلّ ذلك سيقلل من حماسة تلك الشعوب واندفاعها للتبرع بالمال الوفير لإسرائيل .

خامساً : قيام الدول العربية بمضاعفة جهودها للدعوة الى نزع السلاح الذري ومنع تجاربه ، وذلك في المحافل الدولية وفي المؤتمرات الدولية ، وأن تركِّز جهود وفودها لمثل هذه

القضايا الحيوية التي هي قضايا مصيرية بالنسبة للعرب ، وألا نشغل تلك الوفود بقضايا جانبية لا ناقة للعرب فيها ولا جمل ولا تمسّ المصير العربي من قريب أو بعيد .

سادساً : السعي لاكتساب تأييد الدول الإسلامية خاصة ودول عدم الانحياز عامة ، لتأييد العرب في إيقاف التسلح الذري الإسرائيلي .

إن شعوب الدول الاسلامية تؤيد العرب في إنقاذ الأرض المغتصبة من فلسطين ، وأكثر الدول الاسلامية تؤيد هـذا الاتجاه أيضاً ، ولعل موقف الشهيد أحمدو بللو معروف في تأييده العميق لاستنقاذ أرض فلسطين من الصهاينة ، كما أن موقف الباكستان لا يقلُّ روعة وحمية عن موقف الشهيد أحمدو بللو ، ولقد سمعت المشير أيوب خان يقول : « عندنا مشكلتان : مشكلة فلسطين ، ومشكلة كشمير ، ولمشكلة فلسطين أسبقية عندنا على مشكلة كشمير . إننا لن نعترف بإسرائيل حتى ولو اعترف بها العرب ! » .

أما الدول الاسلامية التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع إسرائيل ، فهي موضع استنكار شعوبها قبل أن تكون موضع استنكار العرب أنفسهم ، لذلك استعدي شعوب تلك الدول على حكوماتها ، لتصحح انحراف حكوماتها وتعيدها الى الطريق السوي .

إن الحكومة الإسلامية التي تكون لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بإسرائيل ، عليها أن تخرج من حظيرة المسلمين وتختار لها ديناً غير الإسلام ، لأن المؤمنين إخوة ، والمؤمن أخو المؤمن ، وليس من الأخوّة في شيء أن تدعم دولة إسلامية إسرائيلَ مادياً أو معنوياً ضدّ أخواتها الدول العربية المسلمة .

سابعاً : إنتاج العرب للسلاح الذري يحتاج الى تعاونهم المطلق ، فهذا السلاح يحتاج الى نفقات باهظة ليست في طاقة دولة عربية بمفردها أن تنهض بها .

وهذا السلاح يحتاج الى كثير من العلماء والخبراء ، لا تستطيع دولة عربية بمفردها أن تيسّرهم للعمل المجدي المفيد .

كما أن القضاء على إسرائيل ، يحتاج إلى تعاون جيوش الدول العربية كلها للإطباق على إسرائيل من كل جانب .

إنه من الواجب إسناد القيادة العربية الموحّدة إسناداً كاملاً من الدول العربية ، والتشكيك فيها لا يخدم غير إسرائيل ، فقد كان من أهم أسباب فشل العرب في حرب إسرائيل سنة ١٩٤٨ م هو عدم وجود قيادة عربية موحدة .

ومن واجب العرب أيضاً التعاون الصادق العميق فيما

بينهم لإنتاج السلاح الذري ، وهذا التعاون يجب أن يوضع نصب عيون قـــادة العرب ويكون فوق الاختلافات والمهاترات .

إن الوحدة العربية هي الطريق التي توصلنا إلى إنتـاج السلاح الذري بأسرع وقت ممكن ، وهي التي تقضي قضاءً مبرماً على إسرائيل .

- ٦ -

أ - إن تيسر السلاح الذري لإسرائيل ، يُقلّل من قيمة الأسلحة التقليدية التي تتيسر في الجيوش العربية . فإذا تيسر لإسرائيل قنبلة ذرية واحدة - مثلاً - من عيـــار (٢٠) كيلو طن وأرادت أن تقصف بها هدفاً سوقياً (ستراتيجياً) عربياً ، فإنها ستؤثر فيه تأثيراً مماثلاً لما تحدثه عشرون ألف طائرة قاصفة لو اشتركت جميعها في الغارة على نفس الهدف ورمت كل طائرة منها طناً من القنابل .

فإذا علمنا أن مجموع طائرات القوات الجوية العربية كلها لا يكاد يبلغ هذا العدد الضخم من الطائرات ، أدركنا مدى التفوّق من حصول إسرائيل على السلاح الذري .

ب - إن عزوف بعض العرب عن بحث هـذا الموضوع الخطير ، بحجة أن الخطر الذري الإسرائيلي وهمٌ من الأوهام ،

هو تهرّب من الحقيقة وتملّص من مواجهة الواقع ، وهو تكرار مؤسف للأسلوب التقليدي للعرب في الاستهانة بالخطر وتقليل أهميته وعدم الاكتراث به ، هذا الأسلوب الذي يتحمل مسؤولية تاريخية في ضياع فلسطين .

لقد دخلت الجيوش العربية فلسطين عام ١٩٤٨ م ، وكان كل فرد من أفرادها يؤمن بأنه قادر وحده فقط على إلقاء إسرائيل في البحر . لقد استهانوا بيهود فلم يحصلوا على المعلومات اللازمة عنهم ، فماذا كانت النتيجة ؟؟

إن منطق القضايا العسكرية ، يحتّم حساب أسوأ الاحتمالات عن العدو ، لاتخاذ أدقّ التدابير لمجابهته ، أما أن نشبع العدو شتماً ثم لا نفعل من أجل القضاء عليه شيئاً ، فذلك من مصلحة العدو نفسه ، لأننا بذلك نغشّ أنفسنا ونخدّرها ، فنوفّر على العدو مهمة غشنا وتخديرنا .

ج – ومن وسائل تخدير النفس ، ما يردّده بعض المسؤولين عندنا عن قرب تحريم الأسلحة الذرية ، وإصرار الهيئات الدولية على عدم استخدام الطاقة النووية في الحرب .

والمؤمن لا يُلدغ من جُحرٍ[1] مرتين ، إلا العرب

---

(١) الجحر : حفرة يأوي إليها الحيوان وصغار الحيوان . (ج) : جُحْور وأجْحَار وجِحَرَة .

فيلدغون ألف مرة من جحر واحدة ثم لا يتوبون ولا هم يذّكرون .

أي قرار من قرارات هيئـــة الأمم المتحدة نفذته إسرائيل ؟ وأي أمر من أوامر مجلس الأمن نفذّتـــه إسرائيل ؟

وحين قتل يهود الكونت برنادوت ممثل هيئـــة الأمم المتحدة ومجلس الأمن في فلسطين ، فماذا استطاعت الهيئات الدولية أن تعمله تجاه إسرائيل ؟؟

إن إسرائيل لا تستخدم سلاحها الذري ضد العرب في حالة واحدة فقط ، تلك الحالة هي أن يكون لدى العرب سلاح ذري أيضاً ، وهذا هو المنطق العسكري السليم .

في سنة ١٩٣٦ م كان هنـــاك حرب بين الإيطاليين والأحبـاش في الحبشة ، وقد استعمل الايطاليون الغازات السامة ضد الأحبـــاش ، لأن الايطاليين كانوا يملكونه ، والأحباش لم يكونوا يملكونه . أما في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) ، فلم يُستعمل الغاز السامّ ، لأن الطرفين كانوا يملكونه .

وفي سنة ١٩٤٥ م استخدم الأمريكيون السلاح الذري ضد اليابان ، لأن اليابانيين لم يكونوا يملكون هذا السلاح ،

أما اليوم فلا تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية استعمال السلاح الذري ضد روسيا كما لا تستطيع روسيا استعماله ضد الولايات المتحدة الأمريكية ، لأن الدولتين لديهما هـــذا السلاح .

إن الرادع الوحيد لإسرائيل الذي يحول دون استعمال السلاح الذري ضدّ العرب ، هو أن يصبح هذا السلاح في حوزة البلاد العربية .

أما أن يكون هذا السلاح في حوزة إسرائيل ، ولا يكون في حوزة العرب ، فليس هناك قوة مادية أو معنوية في الأرض تردع إسرائيل عن استخدامه ضـد العرب في الوقت والمكان المناسبين .

مرة ثانية ، هذا هو منطق الحرب ، وهو منطق واقعي يرتكز على تاريخ الحرب ويستند على المنطق السليم .

أما العاطفة ، أما الخيال ، أما الحماسة المتأججة ، أما الخطب الرنّانة ، أما القصائد الرائعة ، فلها مكان آخر غير ساحات الوغى التي تتقرر فيها مصائر الأمم والشعوب .

د ــ وهنــــا أريد أن أُلفت النظر إلى خطأٍ شائع حتى عند بعض العسكريين مع الأسف الشديد ، هــــو أن بالإمكان قصف المؤسسات الذرية الإسرائيلية عند الحاجة بالطائرات .

والواقع أن هذا القصف قد يؤثر على بيوت العمال والمقاهي والأندية المحيطة بالمؤسسات الذرية ، ولكن هـذا القصف لا يؤثر مطلقاً على الأفران الذرية أو معامل إنتاج الماء الثقيل ، لأنها إما أن تكون تحت الأرض ، أو تكون بدرجـة من القوة لا يؤثر معها القصف بالقنابل التقليدية

إن المؤسسات الذرية لا يؤثر عليها غير السلاح الذري ، فليكن ذلك مفهوماً عند العسكريين وعند غير العسكريين على حد سواء .

والذي ينفق على المؤسسات الذرية مليارات الجنيهات ، لن يتركها طعمة للقصف الجوي بالقنابل التقليدية ، ولو كان الأمر بهذه السهولة لما أبقت الولايات المتحدة مؤسسات الصين الشيوعية الذرية على وجه الأرض لحظة واحدة .

إن المؤسسات الذرية تُنسَفُ بالأسلحـة الذرية ، ومعنى ذلك أن تحدّي السلاح الذري الإسرائيلي لن يكون إلا بالسلاح الذري العربي .

هـ - إن إسرائيل أصبحت مصدّرة لكثير من أنواع الأسلحة وعتادها ، فقد صدّرت العتاد والسلاح الى كثير من الدول الإفريقية والآسيوية وحتى الأوروبيـة والأمريكية ، ودرّبت كثيراً من ضباط ومراتب هذه الدول في مؤسساتها العسكرية .

ماذا يصنع رئيس دولة إسرائيل في نيبال[1] ؟؟ ماذا يصنع رئيس أركان الجيش الإسرائيلي في أقطار جنوب شرقي آسيا وفي أقطار الشرق الأقصى من آسيا ؟

إن الإنصات الى خطب التكريم في هاتين الجولتين خلال هذا الشهر ، يكشف النقاب عن أسرار هذه الجولات !

صفقات أسلحة ، وصفقات عتاد ، وتبادل الخبرات العسكرية ... ودعوات لشهود دورات عسكرية ، وتدريب عسكري !!

إن إسرائيل اليوم تحتاج الى بعض أنواع الأسلحة الثقيلة وبعض أنواع الدروع والطائرات .

أما الأسلحة الأخرى ، فإنتاجها منها يكفيها ذاتياً ويفيض عن حاجتها ، ومن كان في ريب من ذلك ، فليسأل من أين يجهز جيش بورنيو ، وما هي قصة صفقة الأسلحة والعتاد للهند في أثناء حربها الباكستان ؟!

وكل ذلك يدلنا بوضوح الى طريق النصر . إنه الوحدة العربية تحت لواء الإسلام ، لتكون كل طاقات العرب

---

(١) جرت أمامه مظاهرة إسقاط قطعات المظلات يوم ٢١ – ٣ – ١٩٦٦ بقيادة ضابط إسرائيلي .

المادية والمعنوية من أجل القضاء على إسرائيل .

إن القيادة العربية الموحـــدة خطوة موفقة في طريق القضاء على إسرائيل ، وميثـــاق التضامن العربي خطوة أخرى ، فقوّة كل قطر عربي قوة للأقطار العربية كلهـا وضعفه ضعف لهـــا ، فليس من مصلحة العرب أن يشتم بعضهم بعضاً ، لأن ذلك من مصلحــة إسرائيل ومصلحة الإستعمار .

ولكن لمـــاذا نجعل مشكلة فلسطين مشكلة عربية فحسب ؟ إنها ليست مشكلة العرب وحدهم ، ولكنها مشكلة المسلمين في كل مكان : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجـد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنـــا حوله »[1] .

إن خطر إسرائيل في ازدياد ، وإنها تريد أن تتوسع على حساب البلاد العربية ، فإذا كانت اليوم تقبع في بقعة صغيرة من أرض فلسطين ، فهي تريد غداً أن تمتد من النيل إلى الفرات .

إنها ركيزة الاستعمار في بلاد العرب اليوم ، وستكون ركيزة الاستعمار في دار الإسلام غداً ، إذا لم يُقض على

---

(١) أنظر كتاب : خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية (٤٠٥ – ٤٠٦) .

الخبث قبل أن يستفحل أمره .

حرام علينا أن نلهو بأمور جانبية تافهة ونترك الخطر الأكبر ، فحذار حذار من مخططات إسرائيل الجهنمية ، وقد أعذر من أنذر[1] !

---

(١) أذاعت محطات الإذاعة العالمية، أن الولايات المتحدة الأمريكية أجرت تفتيشاً في الفرن الذري الإسرائيلي الكائن في (ديمونا) في منطقة بئر السبع . وقد جرى استجواب للحكومة الإسرائيلية عن ذلك في (الكنيست) . ولكن رئيس وزراء إسرائيل كذّب ذلك في جوابه على ذلك الاستجواب يوم ٥ - ٧ -١٩٦٦ ، فنفى أي تفتيش من أية دولة في فرن « ديمونا » الذري .
لماذا أذاعت محطات الاذاعة العالمية ، ومنها محطات الاذاعات العربية خبر هذا التفتيش ?
ولماذا كذّبته إسرائيل !
ألا يدل كل ذلك أن هناك أموراً وراء الأكمة، لا بدّ أن يعيرها العرب كثيراً من الحذر وكثيراً من اليقظة ؟؟!!



الفرن الذري الصهيوني

أَسبَاب النصر

أسبابٌ عامّة

لماذا خُلقت إسرائيل؟

- ١ -

خُلقت إسرائيل في جزءٍ عزيز مقدَّس من أرض العرب ، بعد محاولات طويلة بذلتها الصهيونية العالمية ، وجهود جبارة ابتدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر مستفيدة من الظروف العالمية ، باذلة من أجل تحقيق هدفها كثيراً من المال والإغراء وكثيراً من اللّف والدوران .

والجهود التي بذلتها الصهيونية العالمية على اختلاف أساليبها وطرقها معروفة ، ولعلّ الحديث عنها هنا في هذا المكان تكرار لا مبرِّر له وحديثٌ مُعاد .

ولكنّ خلق إسرائيل ، لم يكن نتيجة حتمية لجهود الصهيونية العالمية وحدها ، وإنما صادف ذلك هوىً في نفوس الدول الإستعمارية وغير الإستعمارية أيضاً ، تحقيقاً لمصالح هذه الدول في هذه المنطقة من بلاد العرب عامة وفي

الشرق الأوسط خاصة .

لقد لاحظ الإستعمار بحق ، أن العرب قوة ضخمة بدأت تتحرّك بعد الحرب العالمية الثانية ، وأنهم يهدفون الى طرد الإستعمار من بلادهم عاجلاً أو آجـلاً ، وأن العرب إذا وجدوا طريقهم واستيقظوا من نومهم الذي طـال قروناً وساروا على الدرب السوي سيصبحون قوّة ضاربة تهـدّد الإستعمار ومصالحه في هذه المنطقة الحيوية من العالم .

وقد قاد العرب بعد الإسلام الدنيـا قروناً طويلة ، وأسدوا إلى الحضارة العالمية أمجاداً ومفاخر : درساً وبحثاً وعلوماً وآداباً وفنوناً ومؤلفات ومخترعات مما لا يستطيع أحد إنكاره ، فما الذي يمنع العرب من أن يعيدوا سيرتهم الأولى في قيادة العالم سياسياً ، وفي قيادة الحضارة العالمية ، وبذلك يهدّدون مصـالح الإستعمار في الوطن العربي من المحيط الى الخليج ، بل يهددون مصالحـه في خارج الوطن العربي وفي عقر دِيار المستعمرين كما فعل أجدادهم من قبل !

كما لاحظ الإستعمار بحق أيضـاً ، أنّ العرب لن يبقوا مُستَعْمَرين مستعبَدين الى قيام الساعة ، فما الذي يحدث إذا ملك العرب حرّيتهم وتخلصوا من براثن الإستعمار ؟

وفي الفترة بين الحربين العالميتين الأولى والثـانية ، اتجه العالم كله إلى التحرّر والإستقلال والتخلّص من ربقة الإستغلال الأجنبي ، فلما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها

ظهر بوضوح للدول الإستعمارية أن أساليب الإستعمار لم تعد تنطلي على الأمم ، وأن لعبة الاستعمار أصبحت لعبة قديمة بالية لا تناسب النصف الثاني من القرن العشرين .

فما الذي يحدث إذا نالت الدول العربية حريتها كاملة ، واتجهت الى إيقـــاظ الشعب العربي وتخليصه من بقايا الإستغلال والإستعمار ؟

وما الذي يحدث إذا اتجهت البلاد العربية الى الوحدة الشاملة ، وهي أمة واحدة تستمد مقوماتها من وحـــدة (اللغة) التي تحمل الثقافة والفكر ، ووحدة (التاريخ) التي تصنع الوجدان والضمير ، ووحـدة (الكفاح) الشعبي التي تقرّر وتوحّـــد المصير ، ووحدة (القيم) الروحية والإنسانية المستمدة من رسالة السماء ، ووحـــدة المفاهيم (الإجتماعية) و (الإقتصادية) القائمـة على الحرّية والعدالة الإجتماعية ؟

ما الذي يحدث إذا أصبح العرب شعباً واحداً ، والبلاد العربية دولة واحدة ، بما لبلادها من موقع سوقي[١] مسيطر على الطرق الحيوية في العالم وبما لديها من إمكانات إقتصادية جبارة ؟

وإذا كان الإستعمار قـد رحل غير مأسوف عليه من

---

(١) ستراتيجي .

أكثر البلاد العربية[1] ، مشيّعاً بالحقـــد واللعنات والمقت الشديد ، وأن هذا الإستعمار لن يعود مرة أخرى الى بلاد العرب ، فلا بدّ للإستعمار من ايجـــاد (أحبولة) جديدة يقضّ بها مضاجع العرب ليضمن مصالحه الحيوية في بلادهم ويصونها - ولو الى حين — من الضياع .

كان خلق إسرائيل في أرض فلسطين إذاً ، مصلحة من مصالح الإستعمار ، فكيف حقّقَت إسرائيل مصـــالح الإستعمار ؟

إسرائيل قاعـدة للإستعمار في بلاد العرب ، يستطيعون الركون إليها في الحرب والسلم على حد سواء .

مطارات إسرائيل وموانيها حاضرة لتقبّــل الأساطيل الجوية والبحرية للدول الإستعمارية في أثناء الحرب .

وعندما أممت الجمهورية العربية المتحدة قناة السويس ، كانت إسرائيل قاعـدة ضخمة من قواعد البريطانيين والفرنسيين للهجوم على مصر .

كما أن فرنسا وبريطانيا تآمرتا مع إسرائيل على الجمهورية العربية المتحدة ، في الإعتداء الثلاثي على مصر[2] .

---

(١) وسيرحل عن البلاد العربية الأخرى : من الجنوب العربي ، ومن عُمان ومن بعض مناطق الخليج العربي ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة في هـذه المناطق .

(٢) ثبت هذا التآمر مما كتبه كثير من مسؤولي بريطانيا وفرنسا .

وكلٌّ من له إلمام بالأمور العسكرية ، يعرف أن الاعتداء الثلاثي في توقيته وأسلوب تنفيـــذه كان دليلاً قاطعاً على تدبير هذا الإعتداء قبل وقت طويل بين بريطانيا وفرنسا وإسرائيل .

وإسرائيل في أيام السلم تهديد مباشر للعرب ، وسلاح بيد الإستعمار يشهره على الأمة العربية ويهدّدها به عنـد الحاجة .

ووجود إسرائيل ، يجعل العرب يخصصون أكثر ميزانيتهم للجيوش العربية ، وكان بإمكان العرب لولا وجود إسرائيل بذل هذا المال في شؤون التعمير والتعليم والتصنيع .

ومـا دامت إسرائيل موجودة ، فلن يكون العرب في موقف قوي يجبر الإستعمار على تعديل اتفاقيات النفط في البلاد العربية ، تلك الاتفاقيات الجـــائرة التي تدرّ على المستعمرين الغُنْمَ وتبقي لأهل النفط الغُرْم وحده ، لأن الإستعمار يستخدم إسرائيل دائماً آلة لتهديد العرب بها في المكان والزمان المناسبين .

كما أن إسرائيل بعد خلقهـا ، لم تبق مكتوفة الأيدي تجاه البلاد العربية ، والذين يدقّقون في الأمور يجدون إسرائيل وراء أكثر مـا تعانيه الدول العربية من مشاكل واختلاطات .

إن الإستعمار خرج من باب البلاد العربية ، ولكنه عاد من نافذة إسرائيل .

فلا عجب أن يردّد المستعمرون : أن إسرائيل ولدت لكي تعيش !!

ذلك لأن بقاءها من صالح الإستعمار ، والسياسة كلها مصالح .

وإسرائيل تعلم أنها وحدها وبدون إسناد من وراءها من الدول ، لا تستطيع أن تعيش أبداً ، وأن بقاءها رهنٌ بإسناد هذه الدول لها ، فلا عجب أن ترتمي بأحضانها وتنفّذ لها مطاليبها السريّة والعلنية .

ولكن إسرائيل ليست خطراً على البلاد العربية وحدها ، بل هي خطر على كلّ دولة متحررة في إفريقية وآسيا .

ذلك لأن الإستعمار له مصالح حيوية في تلك الدول ، وما دامت إسرائيل ربيبة للإستعمار البغيض ، فهي ملزمة أن تنفّذ رغبات الدول الإستعمارية تجاه الدول المتحررة في آسيا وإفريقية .

ومن هنا ، فإن بقاء إسرائيل ليس خطراً على البلاد العربية وحدها ، بل هو خطر داهم على دول آسيا وإفريقية

كلها (١) .

وبالرغم من ذلك نجد لبعض تلك الدول علاقات وثيقة بإسرائيل ، في الوقت الذي تتظاهر فيه بأنها وثيقة الصلة بالدول العربية ، وتحظى بمكانة مرموقة عند العرب .

إن سفارات إسرائيل في الدول الآسيوية والإفريقية ، بؤرة فساد للتجسس والتخريب ضد العرب وضد البلاد التي

---

(١) لم تكن نظرة زعماء الصهيونية وتطلّعهم إلى قارتي آسيا وإفريقية وليدة اليوم أو حديثة العهد ، بل اتجَه تفكيرهم إلى هاتين القارتين الكبيرتين منذ أواخر القرن التاسع عشر . ففي عام ١٨٩٧ م انعقد مؤتمر صهيوني في (بازل) بسويسرا ضمَّ قادة الصهيونية بزعامة (تيودور هرتزل) لإنشاء وطن قومي يجمع شتات يهود العالم .

وقد فكّر زعماء الصهيونية في مشاريع كثيرة لتحقيق هذا الحلم ، إذ فكروا في استعمار أوغندة وقبرص والأرجنتين وبيرو وإكوادور واستراليا وغيرها .

ولم يخف زعماء الصهيونية أطماعهم الإستعمارية، بل إنهم لم يرسموا خططهم لاغتصاب فلسطين فحسب ، بل شمل كثيراً من البلاد الأخرى . قال هرتزل عام ١٩٠٣ : « يجب أن تكون قاعدتنا فلسطين ، وسنستعمر أوغندة بعد ذلك » .

وكتب هرتزل إلى لورد روتشيلد يقول: « يجب أن تنشىء الدولة اليهودية محطات متفرقة ، في شرق إفريقية وفي الأرجنتين وفي المغرب » .

وقد ذكر الحاخام عمانوئيل ايفانوفتش في اجتماع سري عقد في مدينة (بودابست) عام ١٩٥٤م وضمَّ جميع حاخامات أوروبا : « إن الصهيونية العالمية تهدف إلى تحقيق إشعال نيران حرب عالمية ثالثة ، والقضاء على الأجناس غير الإسرائيلية » ،

تأويها ، وهي تعمل علناً لمصالح الإستعمار .

وقد كان يهود ولا يزالون وسيبقون مصدر قلق وتدمير للعالم ومُثُله العليا ، لذلك فإن مكافحة يهود واجب إنساني مسؤوليته على كلّ دولة في العالم تؤمن بالمُثُل العليا وبالحق والخير والسلام .

وليس سراً أن إسرائيل وقفت مواقف معادية لقضايا تحرر دول إفريقية وآسيا التي عرضت على هيئة الأمم المتحدة والهيئات الدولية الأخرى .

وقد كشفت إسرائيل عن نفسها بنفسها أمام الشعوب الآسيوية والإفريقية ، لمواقفها العدوانية ضدّ قضايا الإستقلال وتحرير شعوب هاتين القارتين ، دفاعاً عن المصالح الإستعمارية ، نكتفي هنا بذكر بعض مواقفها الخاصة بالمغرب العربي :

أ - صوّتت في الأمم المتحدة في عام ١٩٥٢ م ضدّ استقلال تونس .

ب - صوّتت في الأمم المتحدة في عامي ١٩٥٣ و ١٩٥٤ م ضد استقلال المغرب .

جـ - وقفت ضد استقلال الجزائر عام ١٩٥٦ م وعام ١٩٥٧ م ، كما صوتت إلى جانب فرنسا ضد القرار الذي أعدّته دول إفريقية لإستقلال الجزائر عام ١٩٥٨ م ، كما أيدت فرنسا ضد القرار الآسيوي ـ الإفريقي الذي اعترف

بحق الجزائر في الاستقلال في شهر كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٥٨ م ، كما أعلنت إسرائيل رأيها على لسان بن غوريون رئيس وزرائهـــا للجنرال ديغول رئيس جمهورية فرنسا ، بوجوب تقسيم الجزائر على غرار ما حدث في فلسطين . كما اعترضت إسرائيل على تكليف فرنسا بالدخول في مفاوضات لوضع الشروط اللازمـة لتقرير مصير الجزائر ، كما قدّمت مساعدتها لسوستيل وغيره من الإستعماريين الإرهابيين من رجال منظمة الجيش الفرنسي السرية الإرهابية (O. A. S) ، وقد اعترفت صحيفة (الفيكارو) الفرنسية الصـــادرة في ١٩٦٢/٢/٧ م بأن إسرائيل أرسلت عدداً كبيراً من رجال المغاوير الإسرائيليين إلى الجزائر لمساعدة المنظمة الإرهابية ، وهؤلاء المغاوير الإسرائيليون كانوا يقومون بأعمال إرهابية ضد العرب في الجزائر[1] .

هذه هي إسرائيل ومواقفها المريبة ضد مصالح الدول الإفريقية الآسيوية ، فكيف تعقـــد بعض الدول الإفريقية والآسيوية علاقات وثيقة مع إسرائيل ؟.. كيف ؟؟

وإذا كان هناك ما يبرّر وجود علاقات لبعض الدول الآسيوية الإفريقية من غير المسلمين بإسرائيل ، فكيف نبرّر

---

(١) انظر : الإستعمار الصهيوني في آسيا وإفريقيا (٨١ - ٨٣) . وفي : عالم حر جديد (٢٤٦) - محمد جميل بيهم : إن إسرائيل وقفت سنة ١٩٦٠ مع فرنسا وانكلترا ضد مشروع الاستفتاء في الجزائر .

وجود علاقات لبعض الدول الإسلامية بإسرائيل ؟!

كيف يمكن أن تسمح دولة إسلامية لطائرات إسرائيل بالنزول في مطاراتها ، ولممثلي إسرائيل بالحضور في مؤتمراتها ، وللبضائع الإسرائيلية بالظهور في أسواقها ، وبالإسرائيليين يروحون ويغدون بحرية وسلام في بلادها ؟؟

..... كيف ؟؟

وهل من حقّ هذه الدولة أن تدّعي الإسلام ديناً ، والمسلم الحق لا يوادّ من حادّ الله ورسوله ؟

إن الإسلام بريءٌ من كل دولة إسلامية يكون لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع إسرائيل .

لقد خُلقت إسرائيل ، لتكون بديلاً عن الاستعمار ؛ فهي ربيبته المخلصة لأهدافه ، وهي صنيعته التي تتشابك مصالحها بمصالحه ، وهي حليفته الطبيعية في الحرب والسلام .

إنها لذلك ليس خطراً داهماً على العرب وحدهم ، بل هي خطر داهم على الشعوب الإفريقية والآسيوية كلها .

إنها سرطان العالم كله ، هدفها أن يبقى شعب الله المختار وحده متمتعاً بالحياة .

أما الشعوب الأخرى ، فلهم الموت الزؤام ... !

فماذا على العرب أن يفعلوا لإنقاذ حقّهم السليب في الأرض المقدسة من أرض فلسطين ؟؟

وضوح الهدف

- ٢ -

هناك تعبير في الجيش هو (اختيار المقصد وإدامته)[1] ، وهو أول مبدأ من مبادىء الحرب ، فلا انتصار في الحرب ما لم يكن المقصد من خوضها واضحاً جلياً ، مع الإصرار على تحقيق هذا المقصد ووضعه نصب الأعين دائماً وتذكُّرِه والتذكير به منعاً للشذوذ والإنحراف .

وبتعبير آخر ، هو أقرب إلى تفهُّم المدنيين ، أن (اختيار المقصد وإدامته) هو : وضوح الهدف وضوحاً كاملاً ، فلا حربَ بدون هدف واضح ينبغي معرفته معرفةً كاملة ، والعمل على تحقيقه بكلّ إمكانات العرب المادية والمعنوية .

فما هو هدف العرب من حرب إسرائيل ؟

إنه بإيجاز : تحطيم إرادة إسرائيل على القتال ، فيعود للعرب حقهم المغتصب في أرض فلسطين ، ويعود لأهل

---

(١) إختيار المقصد وإدامته : في كل حركة عسكرية من اللازم اختيار المقصد وتعريفه بوضوح ، إن المقصد النهائي هو تحطيم إرادة العدو على القتال . يجب أن توجة كلّ صفحة من الحرب وكل صفحة منفردة من صفحات الحرب ، نحو هذا المقصد الاعلى ، ولكن لكل من هذه الصفحات مقصداً محدوداً يجب أن يعرف بوضوح . انظر : الرسول القائد (٤٤٤) – الطبعة الثالثة .

فلسطين حقهم في بلادهم ، ويعودون إلى وطنهم ووطـــن آبائهم وأجدادهم مكرّمين معزّزين .

فكيف يتمّ للعرب تحقيق هذا الهدف ؟

قبل الجواب على ذلك ، يجب أن نعرف حقيقة إسرائيل ، ونعرف من وراء إسرائيل .

وقد مرّ بنا مجمل حقيقة إسرائيل في فصل سابق ، فمن هم الذين وراء إسرائيل ؟

وراء إسرائيل بريطانيا ، وموقفها يلخّصـــه المؤرخ البريطاني آرنولد توينبي فيقول : « بينما تقع المسؤولية المباشرة عن هذه الكارثة التي حلّت بالعرب الفلسطينيين عـــام ١٩٤٨ م ، على رؤوس الصهيونيين الذين اغتصبوا في ذلك العام بقوة السلاح مجالاً حيوياً يستغلونه في فلسطين ، فإن عبئاً ثقيلاً من المسؤولية غير المبـــاشرة ، وهي مع ذلك مسؤولية لا يمكن التنصّل منها ، إنما يقع على رؤوس شعب المملكة المتحدة (بريطانيا) ، ذلك أن يهوداً ما كانت لتكون لهم عام ١٩٤٨ م الفرصة لقهر قطر عربي لم يكن عددهم فيه عـــام ١٩١٨ م سوى أقلية لا يُعتدّ بها ، لو لم تسلّط المملكة المتحدة قوّتها باستمرار خلال الثلاثين عاماً فيما بين التاريخين ، كي تجعل من الممكن إدخال المهاجرين من

---

(١) معنى تحطيم ارادة العـــدو على القتال هو : الاستسلام بدون قيد ولا شرط وسحق قوات العدو سحقاً كاملاً .

يهود أرض فلسطين ضد إرادة سكان البلاد العرب ، وعلى الرغم من احتجاجاتهم ، وبدون التفات الى نذرهم ، أولئك السكان الذين قضي عليهم أن يكونوا ضحايا هذه السياسة البريطانية التي اتـُّبعت منذ زمن طويل »[1] .

وكان حزب العمال البريطاني ، في مؤتمره الذي عقد في لندن في كانون الثاني ١٩٤٤ ، قد جهر بسياسة لفلسطين من شأنها أن : تدع يهوداً يدخلون هـذه البلاد الصغيرة ، إذا شاءوا ، بأعـــداد تجعل منهم أغلبيةً ، بينما يُشجَّعُ العربُ على النزوح من فلسطين إذ يدخلها يهود ...[2]

وفي سنة ١٩٤٤ م ، أكدّ ونستون تشرشل رئيس الحكومة البريطانية لوايزمان : أنه سيسهِّل أمر جعل النقب من ضمن الأراضي التي تُخصّص للصهيونيين[3] .

وفي أوائل عام ١٩٤٨ م ، قـال آرنست بيفن وزير خارجية بريطانيا لتوفيق أبي الهدى رئيس الحكومة الأردنية يومئذٍ : « ... لا تذهبوا لمهاجمـــة المناطق التي خصصت ليهود »[4] .

---

(1) Toynbee , Arnold : a study of history (oxford university press, london) · Fol . 8

(٢) بريطانيا العظمى وفلسطين (نشرة إخبارية رقم ٢٠) – المعهد الملكي للشؤون الدولية - لندن .

(٣) جورج كيرك : الشرق الأوسط في الحرب .

(٤) جون كلوب – جندي مع العرب .

وخطب هربرت موريسون وزير الخارجيـة البريطانية في مجلس العموم البريطاني في ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٥١ م فقال : « إن الدول العربية غير راغبة أو غير قادرة على الإعتراف بالحقيقة الواضحة ، وهي أن إسرائيل ما أُقيمت إلا لتبقى ، إنه لا يمكن إلقاؤها بسكانهـا في قعر البحر الأبيض المتوسط »[١] .

وجاء في مذكرات أنتوني إيدن رئيس وزراء بريطانيا الأسبق : « لو كنتُ مسؤولاً عن أمر هجوم إسرائيل على مصر سنة ١٩٥٦ م ، رئيساً لحكومة إسرائيل ، لاتخذت على ما أتصوّر ، نفس الإجراء الذي اتخذته إسرائيل » . وقال في مكان آخر من مذكراته : « إن أي تحالف نكون نحن شركاء فيه ، لا يمكن أن يوصف بأنه موجّهٌ ضـد إسرائيل »[٢] .

لقد كانت بريطانيا يهودية أكثر من يهود .

أما فرنسا ، فقد فتحت شواطئها الجنوبية سنة ١٩٤٧ م لتـدريب العصابات الصهيونية ، وفي سنة ١٩٤٨ م أيدت مشروع التقسيم ، وقـد زوّدت فرنسا إسرائيل بأسرار الذرة وبالمواد الذرية كما مرّ بنا في فصل سابق .

أما الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد كان ولا يزال نفوذ

---

(١) جريدة « الاهرام » الصادرة في ٣١-٧- ١٩٥١ .

(٢) نقلاً عن : هكذا ضاعت وهكذا تعود - نقولا الدر (٦١) - الطبعة الثانية .

الصهاينة فيها طاغياً سواءً كان ذلك في الدوائر الرسمية أو في الدوائر غير الرسمية ، أي في حقول العلم والأدب والعمل والاقتصاد والصحافة والإذاعة والسينما ، وكل ما له علاقة بالروح والعقل والدولار ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

والبيت الأبيض كان ولا يزال يعجُّ بالموظفين الصهاينة وعملائهم . وقد أرسل (ترومان) سنة ١٩٤٨ م تعليمات إلى سفرائه يأمرهم فيها بنصح الدول العربية بقبول الوصاية على فلسطين ، وقد استجاب (ترومان) إلى مطالب الصهيونية وأيّد التقسيم في هيئة الأمم المتحدة .

ولما قامت دولة إسرائيل في ١٥ مايس سنة ١٩٤٨ م ، كان ترومان أول من قدّم التهاني (بهذا الحدث السعيد) !!..

إن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي أكرهت ألمانيا الغربية على دفع التعويضات لإسرائيل ، وهي التي قدّمت لإسرائيل منذ قيامها معونات رسمية اقتصادية وعسكرية بلغت حتى سنة ١٩٦٤ م مبلغاً قدره ٨٧٧و٧ مليون دور ، أي بنسبة (٤٣٩) دولاراً للفرد الإسرائيلي الواحد[١] .

وهي التي زوّدت إسرائيل بمعونات عسكرية ضخمة عام ١٩٦٦ م كما هو معروف .

---

(١) انظر التفاصيل في : هكذا ضاعت وهكذا تعود (٨٠ — ٨٣) .

إن الولايات المتحدة الأمريكية ، كانت ولا تزال أكبر القوى التي تغذي إسرائيل وتهيىء لها أسباب الحياة .

ذلك هو مجمل موقف المعسكر الغربي من إسرائيل ، فما هو مجمل موقف المعسكر الشرقي ؟!

أيدت روسيا في هيئة الأمم المتحـــدة عام ١٩٤٨ م مشروع التقسيم ، كما أصدرت موسكو الأوامر للأحزاب الشيوعية في العالم العربي لتأييد مشروع التقسيم وتأييد قيام دولة يهودية في فلسطين ..!!

لقد هبّ الشيوعيون العرب في بادىء الأمر لمقاومـــة مشروع التقسيم ، وراحوا يناضلون مع غير الشيوعيين ضد الإنكليز والصهاينة . ولكنهم ما لبثوا أن تلقوا الأوامر من موسكو بتأييد التقسيم وقيام إسرائيل ، فلم يترددوا – وهم عرب من أبناء فلسطين وغيرها – أن يتخلوا عن نضالهم ويوافقوا على تقسيم وطن آبائهم وأجدادهم ، مؤيِّدين قيـام دولة أجنبية فيه ، لا لشيءٍ إلا لأن موسكو أمرت بذلك ، وأمر موسكو لا يُنَاقش عند الشيوعيين ولا يُعاب ..!

وعدّلت موسكو فوراً موقفها من الصهيونية ، فقـد كان في كتـــاب : (الماركسية والمسألة القومية) الذي ألّفه ستالين في طبعة ١٩٤٦ م ، العبارة التالية : « إن الصهيونية حركة رجعية يجب محاربتها » .

فلما أُعيد طبع كتاب ستالين هذا مرة أخرى عام ١٩٤٩ م ، أي بعد قيام إسرائيل ، حذفت تلك العبارة من الكتاب ..![١].

وهكذا وقفت موسكو الى جانب تمزيق فلسطين وإنشاء دولة فيها للصهاينة ، خدمة لمصالحها ونكاية بالعرب .

هذا الموقف دعا بن غوريون الى إرسال رسالة الى ستالين في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ م ، مؤكداً له فيها : أن الأمة الإسرائيلية لن تنسى العون والتأييد اللذين أعطتهما إياهما روسيا عام ١٩٤٨ م[٢] .

وما يقال عن روسيا يقال عن الدول الشيوعية الأخرى .

في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٢ م ، وقف بيرتز برنشتاين ، من حزب الصهيونيين العموميين في (الكنيست) فقال : « إنّ تشيكوسلوفاكيا مدّت لنا يد المساعدة العسكرية أكثر من أية دولة أخرى في أثناء قتالنا العرب[٣] » .

وهذا غيض من فيض ، والباقي كثير كثير ، والحديث

---

(١) من مقال للشيخ خليل تقي الدين سفير لبنان في موسكو ـ جريدة الحياة الصادرة في ٣٠ ـ ١١ ـ ١٩٥٢

(٢) هكذا ضاعت وهكذا تعود (٧٢ ـ ٧٣) .

(٣) « « « « (٦١) .

عنه طويل طويل .

والحق أن موقف الاتحاد السوفياتي من الإعتداء الثلاثي على الجمهورية العربية المتحدة كان سليماً ، فقد أيدت مصر وشجبت الإعتداء عليها وهدّدت المعتدين .

ولكن هذا التأييد وهذا الشجب وهذا التهديد ، وقف عند حدود الكلام ، وكان له تأثير معنوي فقط ، ولم يكن له أثر مادي ؛ إذ تبيَّن أن كلّ ذلك كان نوعاً من الحرب الباردة التي كان المعسكران الشرقي والغربي يخوضها حينذاك ، ولم يكن الاتحاد السوفياتي مستعداً لأن يزجّ بقواته في حرب من أجل الجمهورية العربية المتحدة .

ومع ذلك ، فإن موقف روسيا السليم عام ١٩٥٦ م لا يمكن أن يصحح موقفها في تأييد التقسيم عام ١٩٤٨ م ، إذ كان لموقفها في التقسيم أثر حاسم على إقراره وقيام إسرائيل في فلسطين .

فما هو الدرس العملي للعرب من موقف الدول التي وراء إسرائيل ؟

إن الدرس الذي يجب أن يأخذه العرب لتحقيق هدفهم في تحطيم إرادة إسرائيل على القتال ، هو أنهم يجب أن يعتمدوا على أنفسهم أولاً وقبل كلّ شيء .

المعسكر الغربي مع إسرائيل مائة بالمائة .

والمعسكر الشرقي مع العرب بالكلام ، أما أن يزجّ بقواته في حرب لا يعرف أحد نتائجها من أجل العرب ، فأمر غير منطقي وغير معقول .

والعرب مهما يكونوا ليسوا أعزّ على المعسكر الشرقي من فيتنام الشمالية ، لأن العلاقة بين هذا المعسكر وفيتنام الشمالية علاقة عقائدية ، ومع ذلك اقتصر تأييد المعسكر الشرقي لفيتنام على التأييد المعنوي مع شيء من السلاح والعتاد والتجهيزات وبعض المتطوعين ، دون إعلان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية .

إن العرب مدعوون لتحمل أعباء الحرب ضد إسرائيل وحدهم ، وهم مدعوون أن يستعدوا لها استعداداً دقيقاً كاملاً لينتصروا في معركة الثأر القادمة .

فما هي اللغة التي تفهمها إسرائيل ؟

اللغة التي تفهمها إسرائيل

- ٣ -

في يوم من أيام خريف عام ١٩٤٨ ، هاجمت دورية[١] قتال يهودية ليلاً قرية (جلبون) المشرفة على غور (بيسان) والواقعة ضمن قطاع (جنين) ، فأسرت ستة رجال وامرأتين ، واستصحبتهم معها إلى مدينة (بيسان) .

وفي فجر اليوم التالي ، كان أمر اختطاف الرجال والمرأتين من (جلبون) معروفاً في مقر جحفل اللواء الرابع الرابض في (جنين) .

وَقَدِمَ مختار (جلبون) مدينة (جنين) ، وقدِم معه جماعة من أهل (جلبون) ، وذكروا قصة الإختطاف ،

(١) دورية : جماعة من المقاتلين هدفهم الحصول على المعلومات عن العدو ، والدوريات نوعان : دورية استطلاع وهي للحصول على المعلومات بدون قتال ، ودورية قتال ، وهي للحصول على المعلومات بالقتال ..

وذكروا أن المرأتين استنجدتا بالله وبالنبي صلى الله عليه وسلم على حين كانت الدورية اليهودية تجرانهما من شعريهما .

كان تسلُّل الدورية إلى (جلبون) ليلاً ، وكانت تلك القرية نائمة ، فطوّق قسم من أفراد الدورية القرية، ودخل بعضهم الدُّور الأمامية من القرية ، وتمّ لهم خطف أولئك النفر من سكّانها ، فلما أراد رجال القرية إنقاذهم ، صدّهم أفراد الدورية التي كانت تطوِّق القرية !

وغلى الدم في عروق ضباط مقر جحفل اللواء الرابع ، واعتبروا إقدام يهود على انتهاك حرمة جحفلهم إهانة بالغة للجيش العراقي ، فصمموا على إنقاذ أولئك النفر ، ولكن كيف ؟

وفجأة لمعت في ذهن أحدهم فكرة جديدة ، فوافق عليها الجميع !

كان أهل (جلبون) فقراء معدمين ، وكان على بُعد عشرات الأمتار من قريتهم بيّاراتهم التي استولى عليها يهود ، فكانوا يتسلّلون ليلاً إلى تلك البيارات ويجنون بعض ثمارها من الفواكه والحمضيات ويستصحبون معهم ما يجدون من ماشية في طريقهم ، فأراد يهود أن يُلقِّنوا أهل القرية درساً قاسياً حتى لا يعودوا إلى غزو البيارات واستعادة ماشيتهم التي نهبها منهم يهود ، فأرسلوا دورية مؤلفة من سرية مشاة يبلغ تعدادها حوالي مائة وعشرين

جندياً ، وهاجموا (جلبون) ليلاً ، وأسروا أولئك النفر من أبنائها .

كانت فكرة الضابط العراقي في مقرّ قوة منطقة (جنين) تتلخّص في استصحاب مدفع واحد عيار (٣/٧) جبلي مع ست عشرة قنبلة ، وقصف إحدى مستعمرات يهود في غور (بيسان) لإلحاق الأضرار بتلك المستعمرة أولاً ، ولإعلان أن سبب قصفها هو الإنتقام من يهود ثانياً ، ولإجبار يهود على إطلاق سراح أسراهم من أهل (جلبون) أخيراً ...

فإذا أقدم يهود على مهاجمة القطعات العسكرية في (جنين) ، فهي الحرب التي يتمنّاها على الله كلُّ فرد من أفراد الجيش العراقي .

وإذا لم يطلق يهود الأسرى العرب ، فللجيش العراقي مع يهود كلَّ يوم حساب جديد !!

وتحرّك المدفع (٣/٧) مع طائفته من المراتب عصر ذلك اليوم الى (جلبون) بقيادة ضباط من مقرّ جحفل اللواء ، ومن المدفعية ، وكمن في هضاب منطقة (جلبون) وسجّل مستعمرة (تل العمال) هدفاً لقصفه .

وبعد غروب الشمس بساعة ، بدأ المدفع يقذف حممه على مستعمرة (تل العمّال) ، فقصفها بما معه من قنابل ...

أيُّ منظر لا يُنسى كان يتراءى لمن كان مع المدفع من رجال ، ولأهل (جلبون) الذين تجمّعوا حولهم ؟

أُطفئت أنوارُ المستعمرة بعد وصول القنبلة الأولى إليها ، وعلا الضجيج والصراخ في أرجائها ، وأخذت السيارات تنطلق منها مسرعة الى خارجها بما تحمله من هاربين .

وأطفأت المستعمرات الأخرى الكائنة في غور (بيسان) أنوارها أيضاً ، وأطفأت (بيسان) أنوارها هي الأخرى ، فأصبحت المنطقة كلـّها في ظلام دامس .

وانسحب المدفع مع رجاله الى موضعه الأصلي في منطقة (جنين) ، بعد أن أصبح قلب كل فرد من أفراده أضخم من جبل كبير فرحاً واستبشاراً ، وبعد أن ارتفعت معنويات أهل (جلبون) حتى أصبحت أقوى من الحديد .

واحتلـّت قوة مناسبة مواضع مناسبة لحماية (جلبون) من غارة محتملة يشنـّها يهود ليلاً .

وأُنذِرَ جحفلُ لواء (جنين) استعداداً للطوارىء .

وردّدت (جنين) وما حولها من المناطق ، إشاعة مفادها : أن قصف مستعمرة (تل العمّال) كان انتقاماً من يهود ، لأنهم تجرأوا على انتهاك حرمة منطقة الجيش العراقي ، وأن يهوداً إذا لم يطلقوا أسرى أهل (جلبون) من العرب فسيتحمّلون وحدهم مسؤولية ذلك ...

ولم يحلّ عصر اليوم التالي من الليلة التي قصفت فيها مستعمرة (تل العمّال) ، إلا وكان الرجال الستة والمرأتان بين أهليهم في (جلبون) .

ولم يعد يهود يتجاسرون على مهاجمة القرى العربية ..

وعاد الجيش العراقي الى العراق ، ولم يتكرّر في منطقتهم مثل هذا الحادث .

وكنا نعرف أن لليهود جواسيس في المنطقة ، كما لنا جواسيس في منطقتهم ، وكما ينقل جواسيسهم إليهم الأخبار ينقل إلينا جواسيسنا أخبارهم يوماً بيوم !

وقد علمنا من عيوننا ، أن المظاهرات الصاخبة طافت أنحاء (بيسان) وما حولها من قرى ومستعمرات يهودية ، تندّد بإقدام جيش إسرائيل على مهاجمة قرية (جلبون) العربية ، وتلقي اللوم على عاتقه ، وتحمّله ما حدث من قصف مستعمرة (تل العمال) ، وتتخوف من قصف جديد أو من هجوم عربي كبير ، وتطالب بإطلاق سراح الأسرى العرب فوراً ترضية للجيش العراقي ، لكي لا يعود الى قصف المستعمرات مرة أخرى ، وتطالب بعدم التعرض للقرى العربية مرة ثانية ، وتطالب بتعويض المتضررين من أهل (تل العمال) الخ ...

وبقيت أنوار منطقة (بيسان) الواسعة مطفأة ، وشمل

الظلام منطقة (العفولة) والمناطق الأخرى الواقعة بالقرب من الجيش العراقي ، وامتد الظلام الى (حيفا) .

واستمرّ الظلام يلفّ تلك المناطق ، واستمرّ خوف يهود اسبوعين كاملين ، فلما اطمأنوا عادوا الى سيرتهم الأولى .

هذه هي اللغة التي تفهمها إسرائيل ...

القوة ، ولا شيء غير القوة ..!

إنهم جبناء ، ومن صفات الجبان أنه يكون أقوى الأقوياء عندما يرى خصمه ضعيفاً أو متخاذلاً ، ويا هول ما يلقى الخصم الضعيف أو المتخاذل من الجبان إذا ما قدر عليه .

أما إذا رأى الجبان خصمه قوياً ، فإنه يتلاشى أمامه ويذوب ، ويبذل من كرامته وشرفه وعزته لخصمه ما يشاء ، حتى يرضى خصمه ويكفّ عنه .

ويهود ماديون أيضاً ، وقصف المدافع بالقنابل لمدنهم وقراهم ومستعمراتهم يؤدي الى تخريبها ، فيجد اليهودي نفسه فجأة بلا دار وبلا درهم أو دينار ، وكل ذلك حياته التي يعيش بها ومن أجلها .

فكيف يستطيع الحياة بدونها ، وكيف يصبر على فقدانها ..؟!.

قبـــل عودة الجيش العراقي من فلسطين الى العراق بثلاثة أيام ، تسرّب إثنان من الفلسطينيين[1] الى منطقـة قريبة من (حيفا) واستاقوا معهم بعض المواشي وبعض الأبقار ، وعادوا بها الى (جنين) .

وكانت الطريق أمامهم مفتوحة ، والذين صادفوهم في الطريق من يهود خنسوا وكأنهم لم يروا شيئاً ...

جبن أصيل ومادية طاغية .

والجبان يخاف على حياته ولا يفرّط بها ، والماديُّ يخاف على ماله ويحرص عليه .

فإذا عرف الجبان أن حياته أصبحت مهددة ، فلن يحول دون فراره شيء .

والماديُّ إذا علم بأنّ ماله أصبح مهدّداً ، بذل من أجل الحفاظ عليه كلّ شيء .

فإذا تأكـّد الجبان المادي من تصميم عـــدوه على مقاتلته وتدمير ماله ، بذل جهده لصيانة حياته وماله .

ولن تحول أية قوة في الأرض دون فراره بروحه وماله .

ومع احترامنا للأساليب السياسية وللسياسيين ، إلاّ أنّ

---

(١) أذكر منهم المجاهد مصطفى الأسمر .

القوة وحدها هي التي تفرض على العـــدو احترام السياسة وتجعل الآخرين ينصتون إلى أقوال السياسيين .

أما السياسة الفَذّة ، وأمـا السياسيون المحنّكون ، فلن يكون لهم ولا لسياستهم قيمة ، ما لم تكن وراءهم قوة ضاربة تؤيدهم .

وقديماً قالوا : « الحق للسيف ، والعاجز يحتـــاج إلى شهود »[1] .

إن اسرائيل أصبحت دولة لأن العرب لم يخاطبوها باللغة الوحيدة التي تفهمها : الحرب .

كان يهود يضربون جنودهم ليتقـــدموا في هجوم على

---

(١) أغارت الطائرات الاسرائيلية على اهداف سورية يوم ١٤/٧/١٩٦٦ ودمرت بعض الجرّارات وبعض المجلات وقتلت بعض الرجال. وقابلت طائرات سورية طائرات إسرائيل ، واشتبكت معها في معركة جوّية. وطلبت سورية عقد مجلس الأمن لمناقشة الاعتداء الاسرائيلي ، واجتمع هذا المجلس بدون جدوى .

الجواب على الغارة الاسرائيلية يجب أن يكون غارة عربية على أهداف اسرائيلية ، وحينذاك فقط يتعلم يهود درساً فيه قوّة وفيه عدل وفيه عبرة لهم لا ينسونه .

القوات المصرية في صحراء «النقب»، وقد قال ممثلو الأمم المتحدة لوفد مصر في رودس: «لو علمت القوات المصرية بحقيقة حالة جيش اسرائيل وخسائره، لما قبلوا الهدنة»[1].

وقال الجنرال وليم رايلي كبير مراقبي الهدنة: «إنكم معشر العرب، تبالغون جداً في تقدير قوّة إسرائيل، كما تبالغون في التخفيف من شأن قوتكم وإمكاناتكم، لذلك أرى أن تعيدوا النظر في هذا التقدير الخاطىء حتى لا تظلوا عرضةً للعدوان والإمتهان»[2].

وقال الجنرال كلوب: «عندما جدّ الجدُّ وتقدّمت الجيوش العربية، هبطت معنويات يهود وتراجعوا أمام العرب، ولم يتمكنوا بالرغم من أنهم كانوا في فلسطين عند انتهاء الانتداب، من جمع قواهم في جيش نظامي. ولو استمرّ العرب في هجومهم وحوّلوا هذا الهجوم إلى هجوم صاعق بكلّ معنى الكلمة، لتمّ لهم النصر بالرغم من فواق يهود

---

(١) اللواء فؤاد صادق القائد العام للقوات المصرية في حرب فلسطين - مجلة آخر ساعة الصادرة في ٢٠-٢-١٩٥٠.

(٢) الصياد في ٢٩-١٠-١٩٥٣م

العددي »[1] .

وحتى المشير مونتكومري ، وقد كان يومئذ رئيساً لأركان حرب جيش بريطانيا ، كان من رأيه أنه لا أمل للصهاينة في مقاومة القوات العربية . وكان هذا أيضاً ، رأي مساعديه في القاهرة وبغداد وعمان [2] .

وحتى بن غوريون نفسه ، كان على هذا الرأي . فقد صرّح (شارف) الذي صار فيما بعد سكرتيراً عاماً لدولة اسرائيل ، أنه كانت هنالك لجنة لوضع تخطيط إداري للدولة المرتقبة يومئذٍ ، ولكنّ أعضاء اللجنة : « لم يكن في إمكانهم أن يصدّقوا أن هذه الدولة سوف ترى النّور في يوم من الأيام ، ولا كان بإمكانهم أن ينظروا إلى مخططاتهم ذاتها بعين الجد » وعندما وضعت إحدى اللجان الفرعية رسوماً لطوابع البريد المقترحة : « انفجروا كلهم ضاحكين » وكان بن غوريون يسأل (شارف) من وقت إلى آخر : « أصحيح

---

(١) جريدة النهار الصادرة في ٣٠ - ٥ - ١٩٥٠م ، ولكن كلوب ذكر هذه الحقائق بعد فوات الأوان ، وقد كان هو من دعاة قبول الهدنة عام ١٩٤٨م.

(٢) جون كمشي - ص (٢٠٧) .

انكم تهيئون دولة ؟! »[1] .

إن قرار مجلس الأمن الذي فرض الهدنة الأولى هو وحده الذي خلّص يهوداً وحال دون سحقهم على أيدي الجيوش العربية [2] .

والسياسيون العرب هم الذين رضخوا لضغط من وراء إسرائيل ، فاستسلموا لأسيادهم المستعمرين ، وفرضوا على جيوشهم قبول الهدنة الأولى ثم الهدنة الثانية بعدها ، فخسر أولئك السياسيون كل شيء ، وكان أول ما خسروه شرفهم ...

وخسرت جيوشهم كلّ شيء ... إلا الشرف .

ولكن لماذا قبل السياسيون العرب الهدنة ؟

كان الجيش العراقي حينذاك على أبواب (تلّ أبيب) ، وكان الجيش المصري يتقدم من الجنوب تقدماً سريعاً باتجاه

---

(١) آرثر كستلر – وعد ووفاء – ص (٢٧٧) . وكستلر هذا يهودي، وقد حدّثه بهذا الحديث (شارف) نفسه .

(٢) كنيث بلبي – نجم جديد في الشرق الأدنى – ص(٢٥)، وبلبي هذا كاتب موال لليهود ، وقد نقل ما قاله القنصل الأمريكي العام في القدس عام ١٩٤٩ .

(تل أبيب) ، وكان الجيش الأردني يطبق على القدس الجديدة وقد طهّر جيوب القدس القديمـــة من يهود ، وكانت اللدّ والرملة بيد الجيش الأردني ، وكان الجيش السوري يقاتل بشجاعة وشرف في الشمال فيحطم مستعمرات يهود مستعمرة بعد أخرى .

وكان وضع جيش إسرائيل يائساً ، وكانت معنويات يهود محطّمة ، وكانت مدنهم تعاني ما تعاني من قصف القوة الجوية العربية خاصة القوة الجوية المصرية التي أثبتت كفاية فائقة ومقدرة فذّة في القتال وفي استمكان أهدافها وإصابتها بحممٍ من القنابل والصواريخ .

وكان الفواق الجوي مع العرب ، وكان الفواق بالمدفعية مع العرب .

وكان كلُّ شيء يدل على أن أمر يهود قد انتهى ، وأنه لا أمل لإسرائيل بالحياة والبقاء .

وفجأة فرضت الهدنة الأولى ، ثم أعقبتها الهدنة الثانية ، فلماذا رضخ السياسيون العرب ؟

إنهم رضخوا لضغط الدول الاستعمارية عليهم ، لأنهم كانوا مدينين بسلطانهم لتلك الدول ، فمن المستحيل عليهم

مخالفة أوامرها .

ولكن هناك سبباً آخر ، هو أنهم كانوا لا يتحلّون بمزية : « إرادة القتال » .

فماذا عن إرادة القتال ؟

إرادة القتـــال

- ٤ -

إرادة القتال معناها بإيجاز : الرغبة الأكيدة في خوض الحرب من أجل مُثُل عليا وأهداف سامية ، وتحمّل نتائج الحرب بذلاً للأموال والأنفس ، واستهانة بالمشاكل والعقبات ، وصبراً على البأساء والضراء ، حتى يتمّ تحقيق تلك المثل العليا والأهداف السامية مهما طال الأمدُ وبَعُدَ الشوطُ وكثر العناء وازدادت المصائب وسالت الدماء .

ولا أجد تعريفاً جامعاً مانعاً لإرادة القتـــال أبلغ وأروع وأدق مما جاء في القرآن الكريم : (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله[1]) . وقال تعالى : (قـل إن كان آباؤكم

---

(١) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٢٠) .

وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبُّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا[1]) . وقال تعالى : (ليسَ البِرَّ أن تُوَلّوا وجوهكم قِبَل المشرقِ والمغربِ ، ولكنّ البِرَّ من آمن بالله واليوم الآخِرِ والملائكة والكتابِ والنبيين ، وآتىَ المال على حُبِّهِ ذوي القُرْبىَ واليتامَى والمساكينَ وابنَ السبيلِ والسائلين وفي الرِّقاب ، وأقام الصلاةَ وآتىَ الزَّكاةَ ، والموفون بعهدهم إذا عَاهدوا ، والصابرينَ في البأساء والضَرّاء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك همُ المتقون[2])

إرادة القتال إذاً : إيمان بهدف سام ، وجهاد في سبيل هذا الهدف بالنفس والمال ، وثقة بأن هذا الهدف هو أحب وأعز وأغلى من الآباء والأبناء والإخوان والزوجات

---

(١) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٢٤) . وقد وردت (٤١) آية كريمة عن الجهاد في القرآن الكريم . انظر التفاصيل في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقي – (١٨٢ – ١٨٣) .

(٢) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ١٧٧) وقد وردت كلمة (الصبر) في (١٠٣) آيات من آيات الذكر الحكيم. أنظر المعجم المفهرس (٣٩٩–٤٠١) ،

والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن ، وصبرٌ في البأساء والضراء وحين البأس .

وليس معنى إرادة القتال ، أنها عدوانٌ وحبٌ للحرب من أجل الحرب . إن العكس هو الصحيح ، فالحرب هي الحلُّ الأخير الذي ما بعده حلٌ آخر ، ولا تبدأ الحرب إلا إذا فشلت الأساليب السلمية ، وعلى ذلك فالسلام هو القاعدة ، والحرب هي الإستثناء .

إن إرادة القتال تبدأ حين تفشل المبادىء السلمية في تحقيق الهدف المنشود ، فإذا بدأت الحرب ، فلا بدَّ من النصر أو الاستشهاد .

هذا التصميم على النصر أو الشهادة ، إذا نشبت الحرب ، هو إرادة القتال .

أما التردّد والخور ، أما التفكير في الخسائر المادية والمعنوية ، أما النكوص عند وقوع الكوارث والنكبات ، فكلُّ ذلك على طرفي نقيض من إرادة القتال .

إن الحرب معناها الخسائر بالأرواح والأموال والممتلكات ومعناها الدماء والعرق والدموع ، وليست الحرب نزهة أو ترفيهاً .

كما إن الحرب قد تطول سنين عديدة ، وقد تنتهي في

أيام ، فلا بدّ من توقع كلّ ذلك عندما تخوض أمـة من الأمم معامع القتال .

ولا يصحّ أبداً أن ينهار القادة ، أو تنهار الأمة ، حين يجدون حصيلة الحرب من خسائر وأضرار ، فذلك أمر طبيعي في الحرب ، ونتيجة من نتائجها المألوفة ، بل يجب أن يجد القادة وتجد الأمة من هـــذه الخسائر والأضرار حوافز عملية للتأكيد القاطع على الاستمرار في الحرب حتى النهاية المشرفة .

لقـد فهم السلف الصالح من العرب المسلمين وعلى رأسهم الرسول القائد عليـه أفضل الصلاة والسلام ، هـذا الفهم السليم لإرادة القتال .

وهذا الفهم السليم هو الذي جعل فئتهم القليلة تنتصر دائماً على فئة أعدائهم الكثيرة ، سواء كان ذلك في حيـاة النبي صلى الله عليه وسلم أو بعده في أيام الفتح الإسلامي العظيم ، أو في أيام صلاح الدين الأيوبي حين قاتل الصليبيين على أرض فلسطين .

والحديث عن فهم السلف الصـالح من العرب المسلمين لإرادة القتال فهماً سليماً قد يطول كثيراً ، وقـد يحتاج

إبرازه إلى كتاب حافل بالأمجاد [1] ، ولكن لا بأس من إيراد لمحات تذكرنا بالماضي المجيد أولاً ، وتدلنا على الطريق السوي في حاضرنا ومستقبلنا .

قرار الرسول صلى الله عليه وسلم قبول خوض غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة على الرغم من تفوق المشركين على المسلمين فواقاً ساحقاً في العدد والمعدات ، وقراره مطاردة المشركين الى (حمراء الأسد) [2] في اليوم الثاني من اندحار المسلمين في غزوة (أُحد) في السنة الثالثة من الهجرة ، وقراره مقاومة المشركين في غزوة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة على الرغم من ضخامة عدد المشركين وعُدَدهم ، وإقدامه على غزوة (تبوك) متعرضاً بالإمبراطورية البيزنطية في السنة التاسعة من الهجرة ، وتجهيزه جيش أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي [3] لغزو الروم قبل التحاقه بالرفيق الأعلى ، كل ذلك أدلة واضحة على تغلغل إرادة القتال في قيادته الفذة

---

(١) سأحاول إثبات ذلك في كتابي : القادة والقيادة ، بإذن الله.

(٢) حمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة المنوره في طريق المدينة ـ مكة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ٣٣٧) .

(٣) أنظر ترجمته في : قادة فتح الشام ومصر (٣٣ – ٥١) بيروت – ١٩٦٥ .

النادرة [1] .

وارتدت العرب إما عامة أو خـاصة من كل قبيلة ، وظهر النفـاق واشرأبت يهود والنصارى ، وبقي المسلمون كالغنم في الليلة المطيرة لفقد نبيهم وقلّتهم وكثرة عدوهم [2] في ذلك الموقف العصيب أصر أبو بكر الصديق على إنفاذ جيش أُسامة [3] ، وأصر على حرب المرتدين الذين لم يرض منهم إلا بالحرب المجلية أو السلم المخزية [4] ، وقال قولته المشهورة : « والله لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه » [5] . وهذا نتيجة من نتائج تغلغل إرادة القتال في قيادة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وكان العرب المسلمون يحرصون على الموت حرص أعدائهم على الحياة ، وكان أحدهم حين يلفظ أنفاسه الأخيرة يردد قول الله تعالى : « وعجلت إليك ربي لترضى » ، وكان شعارهم حين يقاتلون أعداءهم : « إنما هي إحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة » .

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في : الرسول القائد - القاهرة - ١٩٦٤ .
(٢) الطبري (٢ / ٤٦١) وابن الأثير (٢ / ١٢٧) .
(٣) الطبري (٢ / ٤٦٢) وابن الأثير (٢ / ١٢٧) .
(٤) البلاذري (١٠٤) ، وقد وردت هذه العبـارة في ابن الأثير (٢ / ١٢٨) : الخطة المخزية أو الحرب المجلية .
(٥) الطبري (٢ / ٤٧٦) والبلاذري (١٠٣) .

وحاصر مسلمة بن عبد الملك حصناً للروم فاستعصى عليه ، فندب الناس لاختراقه ، فنقب رجل من المسلمين الحصن ودخله ، ففتح الله الحصن على يديه .

وطلب مسلمة هذا البطل ليكرمه فلم يحضر أحد ، فألح في طلبه وألحف ، فجاء رجل يقول : « أنا أدلكم على صاحب النقب ، ولكنه يشترط ألا يجازى بمال أو جاه وألا يعلن اسمه للناس ، وألا يكتب الى الخليفة باسمه » ، فقالوا له : « هل أنت صاحب النقب ؟ » ، فقال : « أنا أدلكم عليه » ، فقالوا : « له ما اشترط » ، فقال : « أنا صاحب النقب » ، فكان مسلمة يدعو الله في أعقاب صلاته : « اللهم اجعلني مع صاحب النقب » .

وكان خالد بن الوليد يقول : « ما ليلة يهدى إلي فيها عروس أنا لها محب أو أُبشر فيها بغلام ، أحب اليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبّح بهم العدو ، فعليكم بالجهاد [1] ... »

لقد نص خالد بكلمته هذه على : « سرية من المهاجرين » ، ذلك لأنهم كانوا أقدم المسلمين إسلاماً ، فهم أرسخ المسلمين عقيدة وأشدهم ضبطاً وطاعة ، لذلك آثرهم خالد بالذكر

---

(١) الاصابة (٢ / ٩٩) .

على غيرهم ، فهو يصف بقولته هـذه هواه العميق بالجندية من ناحية ، ورغبته الملحّة في قيـــادة جنود ذوي عقيدة راسخة من ناحية أخرى ، اذ أن القائد الممتاز بدون جنود ممتازين مضيعة للجهود في أكثر الأحيان [1] .

لم تكن إرادة القتال تسيطر على قـادة السلف الصالح من العرب المسلمين ، بل كانت هـذه الارادة تسيطر على جنودهم وعلى الشعب العربي المسلم كله ، لذلك انتصروا في حروبهم ولم يهزم لهم جمع أبداً .

فما هي الدروس مما مرّ بنا من أمثلة ؟

الدرس الأول ، أن إرادة القتال لا تأتي عفواً ، بل لا بدّ من وجود مُثُل عليـــا يؤمن بها القائد وجنوده وأمتهم . وقد كانت المثل العليا التي يؤمن بهـا المسلمون الأولون قد تبلورت في الإسلام عقيدة وعمــلاً وتضحية وفداء .

فالإسلام يغرس روح الضبط والنظام في النفوس ، وهو يغرس روح الشجاعة والاقدام : (يا أيهـــا الذين آمنوا إذا لقيتمُ الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار)[2] ، وهو يغرس في النفوس الخلق الكريم ومنه الصبر الجميل .

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة (١٥٨) – القاهرة – ١٩٦٤ .
(٢) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨ : ١٥) .

والحق أن الأمة العربية لا تعاني في ظروفها الراهنة أزمة سياسية ولا أزمة اقتصادية ولا أزمة استعمار ، بقدر ما تعاني أزمة أخلاقية ، والاسلام وحده يعالج هذه الأزمة .

إن ترك شبابنا يلجأون إلى الأفكار المستوردة والتخنث والعبث ، وتقليد الغرب حتى في (خنافسه) ، لن يفيد غير أعدائنا المستعمرين والصهاينة ، لأن الترف والتخنث على طرفي نقيض من حب التضحية والاقدام .

إن أدب المخدع والصور العارية والصحف والمجلات الخلاعية وكتب الجنس والرقص والأفلام العابثة والحانات والعلاقات المشبوهة بين الجنسين بدون حسيب أو رقيب ، كلها معاول هدم للفرد العربي أولاً وللأسرة ثانياً وللأمة ثالثاً ، وهي لا تفيد غير إسرائيل ، لأن من أول نتائجها تميع الشعب وتخنثه ، والشعب المائع المخنث لا يحارب أبداً .

والناحية الروحية من حياة الشعوب ضرورية جداً لنجاحها في أيام السلام والحرب .

وقد انتبه الاتحاد السوفياتي – وهو يعتبر الدين أفيون الشعوب – في الحرب العالمية الثانية إلى الناحية الروحية ، ففتح الكنائس وسمح بارتيادها وأصدر نشرات للمحاربين

تذكرهم بهذه الناحية .

وكان جنودهم بدون شعورهم يلجأون إلى الله في الأوقات العصيبة ، وهذا أمر طبيعي إذا استطاع السوفييت كبحه في اوقات السلم ، فليس بإمكانهم كبحه في أثناء الحرب ـ خاصة إذا كان جماعيا وله نتائج إيجابيـة محمودة على سير القتال .

والمشير مونتكومري في كتابه عن : (القيادة)[1] ، يردد دائماً ذكر الناحية الروحية ويؤكد على أهميتهـا في النصر ، ويعزي نجـاحه في قيادته إليها ، ويحث كثيراً بإصرار عجيب على التمسك بأهدابها[2] .

وما يقال عن مونتكومري ، يقال عن كثير من قادة الحلفاء وقادة المحور ، فقد كتبوا وأذاعوا ما لا يحصى من كتب وإذاعات تؤكد الناحية الروحية وأهميتها للفرد والجماعات والشعوب .

والاسلام ليس أقل فائدة ـ اذا لم يكن أكثر فائدة من الأديان الأخرى .

---

(١) Leadership .

(٢) يذكر مونتكومري من مزايا القائد الممتاز ، تمسكه بأهداب الدين .

وقد انتصر السلف الصـــالح بالإسلام ، وتاريخ الفتح الإســلامي يثبت بأن انتصار المسلمين في الصدر الأول من الإسلام كان انتصار عقيدة لا مراء .

وقد تحدث القاضي ابن شداد كثيراً عن تديّن صلاح الدين الأيوبي في كتابه عن صلاح الدين ، وذكر أن سرّ انتصاره على الصليبيين هو تدينه الشديد وتمسكه بأهداب الدين الحنيف .

فمن يزعم اليوم ، أنه أكثر إخلاصـــاً وأحسن قيادة وأعظم كفاية وأكبر عقلاً وأشد صلابة وأغزر انتاجـــاً وأبهر جهاداً وألمع شخصية وأقوى بطولة وأسمى منزلة وأجدى نفعاً من صلاح الدين ؟ ... من ؟ !

إن الإســـلام الصحيح ، هو سلاح العرب والمسلمين السري الذي لا يقاوم أبداً ، وقد علمتنا تجــارب الحياة بأن الذين أعرضوا عنه يقولون مــــا لا يفعلون ، وأنهم يظهرون بطولات كلامية في أوقات الدّعة والأمن ، فإذا حل الخطر حرصوا على الحياة حرص المؤمنين على الموت .

والدرس الثاني ، أن يكون هناك هدف حيويّ واضح من القتال ليكون هذا الهدف حافزاً قوياً لإدامة إرادة القتال .

كان الهدف الحيوي للفتح الإسلامي ، هو إعلاء كلمة الله ، وكان هذا الهدف هو الحـــافز القوي لإدامة زخم الجهاد الأصغر عند المسلمين الأولين .

وكان الهدف الحيوي في أيام صـــلاح الدين الأيوبي ، هو طرد الصليبيين من دار الإسلام ، وكان هذا الهدف هو الحافز الكبير لاستثارة همم المجاهدين .

وكان الهدف الحيوي لثورات المغرب العربي على الطليان والفرنسيين والإسبان ، هو التخلص من الإستعمار ليعود المغرب العربي عربياً في لغته إسلامياً في عقيدته ، وكان هذا الهــــدف هو الحافز الأكبر لإصرار الثوار على تحقيقه مهما تكبدوا من خسائر بالمال والأرواح .

وكل حرب انتصرت ، وكل ثورة نجحت ، كان لهـا هدف حيوي واضح يستسهل القادة والجنود من أجل تحقيقه العقبات والصعاب .

واليوم فإن اسرائيل هي مشكلة مشاكل العرب والمسلمين الصادقين بكل مكان ، والقضاء على اسرائيل هدف حيوي واضح يؤمن به العرب والمسلمون ، فلا بد من تعميق مفاهيم هذا الهــــدف باستمرار وبشتى الوسائل ليتغلغل في أعماق أعماق النفوس والعقول معاً ، حتى اذا بدأ الصراع المقدس

بين العرب واسرائيل ، كان هذا الهدف هو الحافز القوي لإدامة إرادة القتال حتى النصر الأكيد .

والدرس الثالث ، أن المثال الشخصي الذي يضربه القادة العسكريون لجنودهم والقادة السياسيون لشعوبهم ، عامل حاسم لإشاعة ارادة القتال في الجنود والشعوب .

فالقائد العسكري الذي لا يمتلك إرادة القتال ، لا يستطيع أن يشيع هذا المبدأ في نفوس رجاله .

والقائد السياسي الذي لا يمتلك إرادة القتال لا يستطيع أن يشيع هذا المبدأ في نفوس شعبه .

والذين يظنون أنهم يستطيعون خداع جنودهم أو شعوبهم بإظهار ما لا يخفون ، مخطئون كل الخطأ أو عملاء كل العمالة أو أغبياء كل الغباء .

وإذا استطاع هؤلاء أن يخدعوا أو يخادعوا جنودهم أو شعوبهم ساعة ، فلن يستطيعوا أن يخدعوهم أو يخادعوهم الى قيام الساعة .

قبل حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وفي أيامها الأولى ، استطاع بعض القادة السياسيين أن يخدعوا شعوبهم فترة من الزمن ، فهللت تلك الشعوب لهم وكبرت ، ولكنها ما

لبثت أن عرفت حقائق نياتهم ، فقابلتهم بالاحتقار واللعنات .

ومات هؤلاء القادة وهم أحياء ، وما أصعب أن يموت المرء وهو على قيد الحياة .

والعرب اليوم يعرفون تفاصيل نيات كل قائد من قادتهم ، فإذا أُصيب بعض العرب بخيبة أمل من تصريحات بعض قادتهم عن فلسطين ، فليس ذلك ذنب المتشككين القانطين ولكنه ذنب أولئك القادة الذين يخفون ما لا يظهرون .

وقد رأى القادة الجدد مصائر الذين فرّطوا في أمر فلسطين من القادة القدامى ، فلعلّ في ذلك درساً لهم ، وصدق الله العظيم : « وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم ، وضربنا لكم الأمثال » [١] .

فهل من معتبر ، أم على قلوب أقفالها ؟

إن أثر القائد عسكرياً كان أم سياسياً على نفوس رجاله أثر حاسم ، والمثال الشخصي الذي يضربه القائد لرجاله بأعماله لا بأقواله له أعظم الأثر على رجاله ، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

---

(١) الآية الكريمة من سورة إبراهيم (١٤ : ٤٥)

والكلام مهما يكن بليغاً منطقياً سليماً ، لا يؤثر على أحد الا اذا صار عملاً ، وقديماً قالوا : « الكلام الخارج من القلب يؤثر في القلب ، والكلام الخارج من اللسان لا يتجاوز الآذان » .

والدرس الرابع ، هو التربية السليمة التي تغرس في القلوب القضايا المصيرية منذ الصغر في الدار وفي المدرسة وفي الجامعة وفي الحياة العملية وبالأمثلة الشخصية التي يلقنها القادة للشعوب .

وقد قرأت قولة خالد بن الوليد في تفضيل المهاجرين الأولين من المجاهدين على غيرهم من المجاهدين ، ذلك لأنهم تلقوا تربيتهم الطويلة من المعلم الأول والقائد الأكبر والرسول الأعظم محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام .

وحين أمر أبو بكر الصديق خالداً أن يرحل بنصف جيشه من العراق الى أرض الشام [١] لمقاتلة الروم ، ويستخلف مع المثنى بن حارثة الشيباني [٢] في العراق نصف الناس ، أحضر خالد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا معه واستأثر بهم لنفسه تاركاً للمثنى مثل عددهم ممن

---

(١) ارض الشام . سورية وفلسطين والأردن ولبنان .
(٢) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٥ – ٤٤)

لم يكن له مع الرسول صلى الله عليه وسلم صحبة ، واستأثر لنفسه أيضاً بمن كان قـدم على النبي صلى الله عليه وسلم وافداً ، فلما رأى المثنى صنع خالد غضب وقال : « والله لا أقيم إلا على إنفاذ أمر ابي بكر ! وبالله ما أرجو النصر إلا بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » ، فلما رأى خالد ذلك أرضاه [1] .

لماذا أراد خالد أن يستأثر بالمهاجرين وبمن وفـد على النبي صلى الله عليه وسلم ؟

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قائداً ورسولاً ، وكان بعمله وسلوكه الشخصي ترجمة عملية تمشي على الأرض لتعاليم الإسلام ، فكانت عقيدته وحماسته وإيمانـه العميق تنتقل بالعدوى الى أصحابه ، فتقلب نفوسهم وعقولهم من حـال الى حـال .

في معركة (اليمامة)[2] وحدهـا استشهد من المسلمين

---

(١) الطبري (٢ / ٦٠٥) وابن الأثير (٢ / ١٥٦) وانظر قادة فتح العراق والجزيرة (٣٠) .

(٢) اليمامة : منقول من إسم طائر يقال له اليمام ، واحدته : يمامة . واليمامة منطقة في نجد بينها وبين البحرين عشرة مراحل ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٩٥) .

ثلاثمائة وستون من المهاجرين والأنصار من سكان المدينة المنورة ، وثلاثمائة من المهاجرين من غير أهل المدينة المنورة ، وثلاثمائة من التابعين[1] مع شهداء آخرين ، فكان جملة من قتل من المسلمين الف ومائتي شهيد [2] ، منهم خمسمائة من القراء [3] ، ولهذا أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق أن يجمع القرآن لئلا يذهب منه بسبب موت من يحفظه [4] .

وفي هذه المعركة بالذات كانت الحرب سِجالاً : تكون مرّة على المسلمين ، وتكون مرة على المشركين ، وحين انكشف الناس حسر ثابت بن شماس الخزرجي الأنصاري عن فخذيه يحنطهما وقال : « ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ! بئس ما عودتكم أقرانكم ، وبئس ما عودتكم أنفسكم . اللهم إني أبرأ اليك مما يصنع هؤلاء » ، ثم قاتل حتى قتل رضي الله عنه[5] .

(١) الطبري (٢ / ٥١٦) وابن الأثير (٢ / ١٤٠)
(٢) الطبري (٢ / ٥١٩)
(٣) الطبري (٢ / ٥١٦) وابن الأثير (٢ / ١٤٦) وانظر قادة فتح العراق والجزيرة (١٠٠ - ١٠١)
(٤) فضائل القرآن لابن كثير - ص (١٢) - ملحق بالجزء التاسع من تفسير ابن كثير .
(٥) راجع الاصابة (٢ / ٥١٣) وأسد الغابة (١ / ٢٢٩) والاستيعاب (١ / ٢٠٠) ، وانظر مجمل ترجمته في قادة فتح العراق والجزيرة (٩٨) .

ولو ذهبنا نستقصي بطولات أجدادنا في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وفي أيام الفتح الإسلامي لطال بنا المدى ولخرجنا عن موضوع الكتاب ، ولكن حسبنا أن نتلمّس من ذلك أثر التربية السليمة في التوجيه السليم ، وأثر النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه بمثاله الشخصي وبالعمل برسالة السماء ، والرسول القائد أسوة حسنة لكل زعيم وقائد ولكل مسلم في كل زمان ومكان .

يجب أن يعيد العرب النظر في مناهج تربية أبنائهم ، لأن فيها دساً متعمداً لئيماً أدخله فيها الاستعمار والصليبيون لتخريب الضمائر والعقول ، ولكن اذا كان هذا التخريب من أهداف أعداء العرب ، فما حجة العرب في الإبقاء على هذا الدس اللئيم والحفاظ عليه ، وما حجتهم في إدخال دس لئيم في مناهج تربيتهم لأبنائهم بأقلام أبنائهم لا يقل خطراً وتخريباً عن دس المستعمرين والصهاينة والصليبيين[1] .

---

(١) من أمثلة هذا الدس الرخيص في مناهج التاريخ الاسلامي بالذات ، ما ذكره بعض المستشرقين من أن أهم أسباب الفتح الاسلامي ، هو ما كان العرب عليه من فقر وعوز ، كأنّ العرب لم يكونوا فقراء معوزين قبل الاسلام !! ومن أن ثورة الزنج في البصرة التي قتل فيها عشرات الألوف من المسلمين وبقرت بطون آلاف الحوامل من نسائهم وشمل القتل الشيوخ والأطفال والنساء ، وكان شعار قائد الزنج يومها : إنني سأجعل لكل رجل من الزنج خدماً من نسل محمد رسول الله =

إن التربية السليمة ، لها أعظم الأثر وأعمقه على النشيء الجديد ، هذا النشيء الذي سيتحمل أثقل الأعباء في تحرير فلسطين وفي قيادة العرب في المستقبل القريب .

فلا بد من تعديل مناهج تربية أبنائنا ، وتطهيرها نهائياً من كل دس وانحراف ، لينشأ أبناؤنا نشأة يستطيعون بها ومعها أن يكونوا عناصر قوية أمينة مؤمنة في بناء العرب واعادة مجدهم التليد .

وليس هناك شك في أن الجيل العربي الحاضر ، يعاني ما يعاني من انحراف ، نتيجة لعهود الاستعمار البغيض ، ونتيجة لمناهج التربية الاستعمارية ، ونتيجة للتربية البيتية والمدرسية المنحرفة ، حتى أصبح كثير من العرب يعيشون لبطونهم وفروجهم ولأمورهم الشخصية البعيدة عن المصلحة العامة بعد السماء عن الأرض ، وأصبح كثير منهم بعيدين

= صلى الله عليه وسلم . هذه الثورة الظالمة ، ذكر عنها بعض المستشرقين أنها ثورة تحررية ، وهكذا يكون التحرر وإلا فلا .... !

فإذا كان لأولئك المستشرقين عذرهم ، وهو تحطيم معنويات العرب والمسلمين وتشكيكهم في تاريخهم العريق ، وجعلهم يتنصلون منه احتقاراً واشمئزازاً ، والاعجاب نتيجة لذلك بالتاريخ الغربي الذي هو تاريخ المستعمرين ، فما عذر (المستغربين) من أبناء العرب والمسلمين في الاحتفاظ بمثل هذا الهذر السخيف ؟

ولمصلحة من نخرّب عقول ونفوس أبنائنا بأيدينا ؟

كل البعد عن المثل العليا التي من أول مبادئها تفضيل المصلحة العامة على المصلحة الشخصية والعمل للمبادىء أولا وللنفس أخيراً من غير تردد أو اختيار .

حين خرج موسى عليه السلام من مصر مهاجراً الى فلسطين ، قال له بنو إسرائيل : (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون)[1] ، اذ كانوا منحرفين مستعبدين أذلاء ، وأمرُ القتال بعيد عن تصورهم وأفكارهم .

فكان على موسى عليه السلام أن يربي هؤلاء تربية جديدة تؤمن بالعزة والمثل العليا ليستطيعوا القتال ، فتاهوا في الصحراء أربعين عاماً : (قال : فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ، فلا تأس على القوم الفاسقين)[2] مات خلالها الجيل القديم ، ونشأ بعده جيل جديد : عاش في ظلال الحرية ، لا يعرف عن الاستعباد والاستخذاء شيئاً ، في ظروف قاسية بعيدة عن الترف والتخنث في أرجاء الصحراء ، يمارسون تدريباً عنيفاً شاقاً في منطقة صحراوية تساعد على التدريب الشاق العنيف ، ويتلقون تربية سليمة من معلم مرسل من الله هو موسى عليه الصلاة والسلام .

---

(١) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ٢٤)
(٢) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ٢٦)

وحينذاك فقط ، استطاعوا أن يقاتلوا وينتصروا على اعدائهم .

أما قبل ذلك ، فكان ينقصهم : ارادة القتال .

إنها عبرة من وراء القرون للعرب وللمسلمين ...

فهل من معتبر ؟

إني لأشهد من غير تحيز للعرب ، فقد ذكرت أخطاء كثيرة لهم بصراحة ، أن هناك في العرب عناصر خيّرة لا مثيل لهـــا في الشعوب الأخرى إلا نادراً : رجولة و َغيرة ، وحرصاً على المصالح العليا وحباً للوطن العربي ، وايماناً بالوحدة واخلاصاً لها ، وتقديراً للعاملين الصادقين في مجال الخدمة العامة ، ومعرفة حقيقية لهم لا غبار عليها ، ووعياً عميقاً واستعداداً للتضحية والفداء .

أما مشكلة فلسطين ، فهي مشكلة كل فرد ومشكلة كل عائلة ومشكلة كل مدينة ومشكلة كل شعب ، لا يمل الناس من ذكرها وتذكرهـــا آناء الليل وأطراف النهار ، وهم يلومون كل متهاون في أمرها ، ويقدرون كل من يعمل من اجلها أعظم التقدير .

وهناك في العرب عناصر رديئة ، ولكنها قليلة على كل حال بالنسبة الى العناصر الخيّرة .

والمشكلة الكبرى ، أن العناصر الخيرة مفرقة تعمل

أفراداً فيما بينها أو بجماعات محدودة لا يجمع بينها جامع ، ولا يعقد أواصرها تنظيم .

والغريب في الأمر أن العناصر الخيرة من العرب كثيراً ما تختلف فيما بينها أشد الاختلاف ، لا لشيء إلا لأنها تحمل شعارات ـ مجرد شعارات ـ تفرق بينها ، فيشتد التناحر بينها ، وتنسى في تناحرها ما يبيّت لها من أخطار جسام .

وتذهب لتفكر مع نفسك عن أسباب هذا الاختلاف بين العناصر الخيرة الواعية المثقفة الوطنية ، فتعجز في كثير من الأحيان عن معرفه الجواب ! !

إن الاختلافات بين العناصر العربية الخيرة غالباً ما تكون اختلافات شكلية ، فتبدأ صغيرة ثم يزداد عمقها مع الايام حتى تصبح هوّة سحيقة ليست ذات قرار .

وكم رأينا جماعة واحدة كانوا إخوة أشقاء عندما بدأوا أعمالهم ، فأصبحوا بعد فترة من الزمن جماعات متفرقة تتناحر فيما بينها وكأنها تناحر الأعداء الألداء !!

لماذا ؟

إنك لتعجز عن الجواب .

إن الشعارات المستوردة ، والتعصب المقيت لتلك الشعارات ، هي التي فرقت كثيراً من الجماعات .

ولو كانت شعاراتنا مستمدة من عقائدنا وتراثنا ، لخلقت فينا انسجاماً فكرياً يؤدي الى التعاون الوثيق .

إن العصر الحديث ، عصر تنظيم للقوى الخيرة ، ليكون العرب بهذا التنظيم قوة ضاربة يحسب لها أعداء العرب الف حساب .

ان العناصر العربية الخيرة لو تكتلت في تنظيم واحد تعمل بانسجام لتحقيق اهدافها ، لفعلت الاعاجيب تصميماً وانشاء وبناءاً في الحاضر والمستقبل ، ولقضت أول ما قضت على بقايا الاستعمار وعملائه وأذنابه وعلى اسرائيل . .

إن العناصر الخيرة في العرب متيسرة والحمد لله ، ولكن الضعف في القيادة العربية التي لم تنجح حتى اليوم في جمع الصفوف واشاعة الإنسجام الفكري في العرب ليكونوا كتلة واحدة تعمل بقيادة واحدة لتحقيق اهداف واحدة يداً واحدة وقلباً واحداً وبتعاون وانسجام .

متى يتم ذلك للعرب ؟ وكيف ؟

أُسبابٌ لفلسطين



حكومة فلسطين

- ١ -

من أهم أسباب فشل الحكومات العربية قبل دخول الجيوش العربية فلسطين ، وفشل تلك الجيوش بعد دخولها فلسطين في توجيه طاقات الفلسطينيين لحرب يهود دفاعاً عن بلادهم ، هو عدم وجود حكومة فلسطينية تقود الفلسطينيين وتنظمهم ، فضاعت المسؤولية ، وضاعت الجهود .

لقد كان للدول التي غزاها المحور في الحرب العالمية الثانية واحتل بلادها حكومات مؤقتة ، نظمت أبناء دولها في الداخل والخارج وأسدت الى بلادها خدمات لا تحصى .

مثلاً ، كان لفرنسا حكومة مؤقتة على رأسها اللواء

(ديغول) ، وقد نظم ديغول الفرنسيين في شمال افريقية وقادهم ضد قوات المحور ، ونظم داخل فرنسا قوات الأنصار الفرنسية ، فنسفت وقاتلت وعرقلت تدابير الألمان في فرنسا قبل إنزال الحلفاء في نورماندي عام ١٩٤٤ ، أما بعد الإنزال فقد خربت خطوط مواصلات الألمان وعرقلت تدابيرهم العسكرية ، وأمدت الحلفاء بمعلومات لا تقدر بثمن عن قوات الألمان ومواضع قواتهم وتسليحهم والمناطق الواهنة في دفاعاتهم .

وما يقال عن حكومة فرنسا المؤقتة ، يقال عن حكومات مؤقتة كثيرة في أوربا أثناء الحرب العالمية الثانية كما هو معلوم .

ولسنا بصدد أخطاء الماضي والبكاء عليها وإلقاء اللوم على المقصرين فيها ، لأن من اول نتائج ذلك هو تقاذف التهم وشق الصفوف ، في وقت ما أحوجنا فيه الى جمع الصفوف ، لذلك فإن تناسي الماضي أولى للعرب وأجدى .

فكيف تشكل حكومة فلسطين المؤقتة اليوم أو في المستقبل القريب ؟

لا بد أن يكون للحكومة رئيس منتخب ، له وزراء للخارجية وللإعلام وللدفاع والمالية ... ولا لزوم للتوسع في التشكيلات الأخرى اقتصاداً بالنفقات .

وزير الخارجية ، للاتصال بالخارج ، وحضور المؤتمرات وإسماع صوت فلسطين في الخارج .

ووزير الإعلام ، لتنظيم المعلومات عن قضية فلسطين في الخارج والداخل ، وإطلاع العالم عليها اولاً بأول بشكل منطقي معقول .

ووزير الدفاع ، لتنظيم الفلسطينيين عامة ، والعمل على تدريبهم وتجهيزهم وتسليحهم وتنظيمهم وقيادتهم .

ووزير المالية ، لتنظيم القضايا المالية لحكومة فلسطين .

ويكون لحكومة فلسطين مجلس نيابي منتخب كما يجري في المجالس النيابية الأخرى في العالم .

وتكون هذه الحكومة نداً للحكومات العربية ، ولها مكانة في الجامعة العربية وفي مؤتمرات الدول العربية الأخرى ، كما للحكومات الأخرى .

وأن يعامل رئيس حكومة فلسطين كما يعامل أي رئيس لأية حكومة عربية سواء بسواء .

ونفقات هذه الحكومة على البلاد العربية بالنسبة لثرائها : الغنية ذات المساحة القليلة تعطي حسب ثرائها وبنسبة عكسية لمساحتها ، والفقيرة ذات المساحة الكبيرة ، تعطي حسب طاقاتها وبنسبة عكسية لمساحاتها .

مثلاً الكويت ، غنية ومساحتها قليلة ، فتعطي من المال أكثر مما يعطيه العراق مثلاً ذو المساحة الكبيرة ..

وأن يكون هذا العطاء (واجباً) من غير منٍ ولا أذى !

وأن يقدم هذا العطاء في موعده بلا تسويف ولا مطل .

ومن الضروري ان تكون حكومة فلسطين لفلسطين اولاً وللعرب في كل مكان ، من دون تفريق في الولاء للحكومات العربية ، فلا توالي حكومة معينة دون أُخرى ولا تكون مع حكومة على أُخرى ، ولا تزج نفسها في مشاكل واختلافات الدول العربية الأخرى .

ويجب ان تكون هذه الحكومة (منتخبة) من بين الفلسطينيين انتخاباً حراً لا تأثير عليه ، حتى تكون موضع ثقة اهل فلسطين كلهم ولا تمثل طائفة منهم دون أُخرى او اتجاهاً معيناً دون آخر .

وواجب الدول العربية نحو حكومة فلسطين هو واجب (المعاونة) والإسناد والدعم ، لا واجب الوصاية والحماية والاستعلاء .

والامر كله يتوقف على (النيات) الحسنة و (التعاون) الصادر عن القلوب .

ولحكومة فلسطين أن تمارس مسؤولياتها وأكثر على

اللاجئين في البلاد العربية دون عراقيل من أي نوع .

ومن الضروري ألا تزج حكومة فلسطين نفسها او تتدخل في مشاكل الدول العربية المضيفة ، وألا توجه اللاجئين الى أي اتجاه من شأنه التدخل في سياسة الحكومات العربية ونظمها وأُمورها الداخلية ، وأن تحمل اللاجئين على ان يكونوا مواطنين صالحين يبذلون كل جهودهم لقضيتهم وحدها ، فهي اهم قضية بالنسبة اليهم وبالنسبة للعرب ، والتفرغ لمعالجتها واجب عليهم مقدس .

ومن الضروري هنا أن أذكر ، أن مرحلة العمل لإنقاذ المغتصب من فلسطين ، تقتضي التقشف والإبتعاد عن الإسراف من اي نوع .

إن مال فلسطين ، يجب أن يكون ك(مال) اليتيم وأكثر ، لا ينفق منه إلا بحساب ولضرورة ، وليس هذا الوقت بالذات وقت ترف بالقصور أو بالسيارات الفارهة ... الخ

ولكي تقتنع البلاد العربية ، بأنه لا إسراف في مال فلسطين ، فيجب أن يكون حساب مالية حكومة فلسطين بإشراف الجامعة العربية .

ويجب ان يكون رؤساء حكومة فلسطين مثالاً شخصياً حياً للعرب عامة وللفلسطينيين أنفسهم خاصة بالتقشف

والبعد عن الإسراف والترف .

يجب أن يُخرس هؤلاء الرؤساء الفلسطينيون ألسنة كل من يجرأ على نقدهم بحق أو بباطل في ناحية الإسراف ، فقد حدث مثل هذا النقد بحق او بباطـــل من قبل كما هو معروف .

إن انبثاق حكومة فلسطين ضرورة حتمية لتتفرغ هذه الحكومة تفرغاً كاملاً لتنظيم الفلسطينيين وتدريبهم وتسليحهم وتجهيزهم وقيادتهم ، لأن الحكومات العربية لها مشاكلها الخاصة بها ، فلا تستطيع التفرغ لتلك الواجبات ، ولأن تدخل حكومة عربية في أمر الفلسطينيين دون سواها سيؤدي الى مشاكل ليست في الحسبان ، كما أن تدخل حكومة واحدة او إشرافها على الفلسطينيين يكاد يكون مستحيلاً ، ولأن حكومة من الفلسطينيين تكون أدرى بمشاكلهم وأقدر على حلها من غيرها .

كان الواجب يقضي ان تكون حكومة فلسطين موجودة في ١٥ / مايس / ١٩٤٨ م ، فإذا كان عدم وجودها قـــد أدى الى عواقب وخيمة منذ عام ١٩٤٨ م حتى اليوم ، فلا بد أن يصحح المسؤولون في البلاد العربية خطأهم اليوم ، فذلك وحده هو الطريق السليم لمعالجـــة مشاكل فلسطين والفلسطينيين .

جيش فلسطين

- ٢ -

لعل وزارة الدفاع لحكومة فلسطين هي الوزارة المهمة من بين الوزارات الأخرى ، لأنهـــا المسؤولة الأولى عن تنظيم وتجهيز وتسليح وتدريب وقيادة جيش فلسطين .

أفراد هذا الجيش من الفلسطينيين ، فهم أحق الناس باستعادة أرضهم المغتصبة .

وأشهد أن الفلسطينيين رجـال شجعان أشداء ، وقد دوّخوا يهوداً والإنكليز سنين طويلة قبل دخول الجيوش العربية حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ .

وأشهد أنهم جنود لهم قابلية ممتازة على إتقان التدريب العسكري وتعلم استعمال الأسلحة الخفيفة والثقيلة .

إن المنهاج التدريبي الذي يطبق على الجنود العرب في الجيوش العربية ومنهم جنود الجيش العراقي في سنة كاملة، نجح الجنود الفلسطينيون في استيعابه خلال ثلاثة أشهر ، ذلك لأن الفلسطينيين مثقفون لهم خبرة طويلة بأساليب القتال .

فكيف يجب أن يكون هذا الجيش ؟

من المهم أن تتولى قيادته العليا أيدٍ قوية أمينة مخلصة لها ماض مجيد ، وكفاية عسكرية ممتازة ، ووطنية صادقة ، ولا بأس ان يتولى القيادة في أول الأمر ضابط عربي كبير من غير أهل فلسطين ، لأن الفلسطينيين اليوم لديهم ضباط صغار فقط ، يستطيعون قيادة قطعات صغيرة مثل الفصائل والسرايا والأفواج . ولكن ليس لديهم في الوقت الحاضر من يقود في حرب نظامية ألوية وفرقاً وجحافل .

ومن الخطأ الفاحش ، أن نستقدم ضابطاً صغيراً ، ونعطيه رتبة كبيرة ، ونجعله رئيساً لأركان الجيش الفلسطيني ، لا لشيء إلا لأنه فلسطيني فحسب ، لأن التجربة العسكرية لا تحصّل بحمل بالرتب الكبيرة ، بل تحصل بالسنين الطويلة ، وبالعناء الشاق الطويل ، وبالحرص على التعلم والتعليم والتدرب والتدريب .

وفي الوقت الحاضر يجري تدريب الفلسطيني في الدول

العربية المضيفة لهم جنباً الى جنب مع الجيوش العربية : يدربون التدريب الفردي ، ويشتركون مع الجيوش العربية في التدريب الإجمالي ، ويتقنون أساليب القتال ، ويشترك ضباطهم في دورات الكليات العسكرية ومدارس الأسلحة الخفيفة والثقيلة والمدارس الفنية والإدارية وفي كليات الطيران وكليات الأركان العربية ، وكل فلسطيني في البلاد العربية يجب ان تطبق عليه خدمة العلم أُسوة بشباب البلاد العربية التي تطبق في بلادها قانون خدمة العلم .

كما يجب ان يدرب الفلسطينيون على اساليب حرب العصابات واساليب قتال المدن والقرى ، لأن هذا التدريب ضروري جداً لأهل فلسطين خاصة .

والخلاصة ، أن كل ضابط وجندي فلسطيني في بلد عربي ما ، يجب أن يحظى بنفس التدريب النظري والعملي الذي يحظى به ضابط وجندي ذلك البلد العربي سواء بسواء .

بل يجب أن يحظى الضابط والجندي الفلسطيني تدريباً خاصاً ، هو تدريب المغاوير [١] العنيف ، حتى يستطيعوا إتقان حرب العصابات الخاطفة .

---

(١) Commando

وأرى أن يتلقى الفلسطينيون تدريبهم العملي على أساليب القتال – بالإضافة الى التدريب الإجمالي مع الجيوش العربية – بممارسة حرب العصابات داخل اسرائيل ، فليس كحرب العصابات مـــا يقض مضاجع اسرائيل ويقلب خططها العسكرية رأساً على عقب .

إن حرب العصابات في الجزائر ، كبدت الجيش الفرنسي بعد ثورة الجزائر عام ١٩٥٤ م خسائر فادحـــة بالأموال والأرواح ، وهذه الحرب هي التي كتبت النصر للثورة الجزائرية العظيمة ذات المليون شهيد ، والتي تعتــبر بحق مفخرة الثورات التحررية في القرن العشرين .

وهذا الدرس هو أهم درس يجب أن يتعلمه الفلسطينيون من ثورة الجزائر : حرب العصابات أولاً تلك الحرب التي ستحطم معنويات اسرائيل ، ثم يأتي بعدهـــا دور الحرب النظامية التي يكون الجيش الفلسطيني رأس السهم فيها .

وقد نجحت حرب العصابات في فلسطين بالذات قبــل عام ١٩٤٨ ، وكانت لها نتائج باهرة على الانــكليز ويهود .

أما أن يذهب الفلسطينيون للحرب خارج البلاد العربية ، فذلك إسراف في الجهود والارواح ، وهو خلاف مبدأ : الاقتصاد بالجهود ، الذي هو مبدأ مهم من مبادىء الحرب .

إن هدف جيش فلسطين الأوحد ، هو إنقاذ فلسطين بالذات ، لا الاشتراك في حرب فيتنام مع الشرق أو الغرب ، أو الاشتراك في معارك جانبية أخرى .

كما أن اشتراك قسم من جيش فلسطين في حرب خارجية ، سيؤدي حتماً إلى خلق تعقيدات قد تضرّ بالقضية الفلسطينية ، لأن إسرائيل ستستغل ذلك بشكل فظيع ، وتنشره بأجهزة إعلامها الضخمة في العالم كله ، فتستفيد من المعونات الاقتصادية والأسلحة فوق ما استفادت من معونات وتسليح .

لقد آن الأوان أن يبعث جيش فلسطين قوياً متكاملاً في تدريبه وتسليحه وتنظيمه وتجهيزه وقيادته ، فحرام أن تضيع طاقات الفلسطينيين الأبطال هدراً ، وحينذاك سيكون الجيش الفلسطيني مفخرة من مفاخر الأمة العربية، وقوة ضاربة لإنقاذ الوطن السليب .

وإذا كان لي أن أذكّر الجيش الفلسطيني بشيء ، فإن أهم ما أذكره به ضباطاً ومراتب وجنوداً ، هو الابتعاد عن التيارات الحزبية ، حتى تبقى صفوفه مرصوصة قوية متينة ، وأن يكون ولاء هذا الجيش لفلسطين أولاً ولأمة العرب ثانياً ، ولا شيء بعد ذلك على الاطلاق .

إن حزب هذا الجيش هو الجندية وحدها ، وهدفه هو إنقاذ

فلسطين ، فإذا استطـاع أن يحقق هدفه الحيوي ، فقد قدم للأمة العربية أعظم الخدمات وأجلها ، وسيكتب له التاريخ ذلك بمداد الفخر والاعتزاز .

بعد ذلك فالجيش الفلسطيني حرّ في خوض معـامع السياسة ، أمـا قبل ذلك ، فأخشى أن تنسيه التيارات السياسية هدفه المنشود .

منظمة تحرير فلسطين

- ٣ -

لعل من أهم ما أنجزته مؤتمرات القمة العربية ، هو : منظمة تحرير فلسطين .

هذه المنظمة كان يجب أن تظهر للوجود منذ أمد بعيد ، ولكن الظروف العربية لم تكن على ما يرام بعد عام ١٩٤٨ ، فتأخر ظهورها حتى عام ١٩٦٤ .

ومن الممكن أن تنتخب حكومة فلسطين من هذه المنظمة ، فذلك هو الأمر العملي الواقعي الذي يعجل في ولادة حكومة فلسطين بأقرب وقت ممكن لتباشر واجباتها الجسام .

كما أن من الممكن أن ينتخب المجلس الوطني أو المجلس

التأسيسي أو المجلس النيابي لحكومة فلسطين من هذه المنظمة ، فذلك هو الأمر العملي الواقعي الذي يعجل أيضاً في ولادة هذا المجلس بأقرب وقت ممكن ، ليباشر واجباته الجسام .

ومن هذا المجلس يمكن اختيار حكومة فلسطين بالانتخاب .

على كل ، فقد تكون هناك آراء كثيرة في أُسلوب اختيار المجلس النيابي الفلسطيني وحكومة فلسطين ، ولكن المهم هو ولادة هذا المجلس وهذه الحكومة بأقرب فرصة الى حيز الوجود .

إن من حق منظمة التحرير الفلسطينية أن تنال الدعم والإسناد من كل عربي على النطاقين الحكومي والشعبي .

وكل عرقلة لأعمال هذه المنظمة ، وكل تهاون في إسنادها ودعمها ، وكل تشكيك في فائدتها وأمرها ، لا يخدم غير مصالح إسرائيل ومصالح الإستعمار .

ذلك لأن إسرائيل بذلت ولا تزال تبذل جهوداً جبارة في السر والعلانية للتهوين من شأن هذه المنظمة وللتقليل من قيمتها ، وللتشكيك في أمرها ، فلا يصح لعربي ولا يصح

لمسلم أن يكون عوناً لإسرائيل في هذا المضمار .

ذلك بعض ما لهذه المنظمة من حق واضح على العرب .

ولكن للفلسطينيين بعض ما يقولونه عن هذه المنظمة .

إنهم يقولون : بأنها يجب أن ينتخب الفلسطينيون أعضاءها انتخاباً حراً بعيداً عن (الضغط) أو (الإكراه) أو الوعد أو الوعيد ، أو التزكية من غير الفلسطينيين أو الترشيح من غيرهم .

إنهم يقولون : إن هذه المنظمة تخص فلسطين ، فلا بد أن تكون موضع ثقتهم الكاملة ، والسبيل الى ذلك هو تكوينها عن طريق الانتخاب الحر .

إنهم يطالبون بتطبيق نصوص ميثاق هذه المنظمة نصاً وروحاً ولا يريدون غير ذلك .

ومن الإنصاف ان يحظى ما يقوله الفلسطينيون عن منظمتهم بتأييد العرب لأجل أن تكون هذه المنظمة بالانتخاب الحر موضع تأييد كل فلسطيني في كل مكان ، ولا يبقى فلسطيني لا يضع كل طاقاته وإمكاناته تحت تصرف قيادة هذه المنظمة .

إنه لمن الضروري جداً ؛ ان تستحوذ هذه المنظمة على

ثقة الفلسطينيين بها وعلى تأييدهم الكامل المطلق لها ؛ فهي الناطقة بإسمهم ، وهي المدافعة عن حقوقهم ، وهي المسؤولة عن تنظيمهم وتحشيد قوتهم لليوم الموعود .

والسبيل الوحيد الذي تستحوذ بـــه هذه المنظمة على الفلسطينيين هو أن يتم اختيار أعضائها بالانتخاب الحر بكل ما في الحرية من معاني ؛ لأن تأييد الفلسطينيين لها وثقتهم بها هما الدعامتان الرصينتان اللتان لا تنجح هذه المنظمة بدونهما في أي مجال .

وإلا فكيف يمكن ان تنجح هذه المنظمة بدون أن تستحوذ على ثقة الفلسطينيين كافة في كل مكان من الوطن العربي الكبير دون تمييز ولا تفريق .

وكيف تنجح هذه المنظمة اذا اقتصر تأييدها على قسم من الفلسطينيين دون آخر ؟

ومن الخير لهذه المنظمة أيضاً أن تحظى بثقة الدول العربية كلها ، وذلك بأن تكون مع الدول العربية كلها : لا تتدخل في شؤونها الداخلية ، ولا تزج بنفسها في خضم اختلافاتها ، وتكون بعيدة كل البعد عن التحيز الى بعض الدول العربية دون الأخرى .

إن تدخل هذه المنظمة في الشؤون الداخليـــة للدول

العربية ، يحرمها من معاونة تلك الدول ومن تأييدها .

وحين تزج نفسها في خضم الاختلافات العربية ، لا تضر أحداً بقدر ما تضر نفسها .

وإذا انحازت الى بعض الدول العربية على غيرها ، فإنها تخسر معاونة الدول العربية التي انحازت عليها وتأييدها .

ومن الواضح أن لمنظمة التحرير مشاكل كثيرة وأعداء كثيرون ، فليس من المنطق أن تخلق لنفسها مشاكل جديدة وأعداء جدداً .

يجب أن يكون شعار منظمة تحرير فلسطين : إنها للفلسطينيين في كل مكان ، على أعدائهم في كل مكان .

وإنها للعرب كلهم في كل مكان ، على أعدائهم في كل مكان .

ويجب أن يكون هدفها الذي لا تحيد عنه ولا تنساه ، هو إنقاذ فلسطين من اسرائيل وإعادة العائدين الى وطنهم السليب .

إنني أتمنى لهذه المنظمة كل نجاح ، وأحسب أن نجاحها هو أمنية كل عربي مخلص لأهداف الأمة العربية ومنها تخليص الأرض العربية في فلسطين من سرطان اسرائيل .

وأحسب ان كل عربي مخلص لا يتأخر عن تجنيد طاقاته المادية والمعنوية خدمة لهذه المنظمة من أجل تحقيق أهدافها السامية وتذليل ما يعترض سبيلها من عقبات .

لقد كان مولد هذه المنظمة حلماً من الأحلام ، وقد ابيضت عيون المخلصين من العرب جهاداً وتضحية وفداءاً ، حتى تحقق لهم هذا الأمل وظهر الى حيز العمل والتنفيذ .

فأي عربي مؤمن بأهداف العرب العليا ، لا يعتبر مولد منظمة التحرير الفلسطينية تحقيقاً باهراً لأحد هذه الأهداف ؟

وأي عربي أمين على أهداف أمته العليا ، لا يؤيد بكل قوة أهداف هذه المنظمة بكل ما يستطيعه من طاقات مادية ومعنوية ؟

إنها أمل تحقق بعد جهد وعرق ودموع وتضحيات جسام ، فلا بد من شد أزرها وإسنادها وتأييدها لتجتاز بنجاح ما يعترض طريقها من صعوبات .

إنها أمل كبير ، فلا بد من تأييدها من العرب جميعاً بالتأييد الإجماعي الكبير .

وهي تستحق ذلك ... وأكثر ...

ولا بد للحق أن ينتصر ...

إن منظمة تحرير فلسطين عزيزة على قلب كل عربي ، وآمال العرب معقودة على جهودهـــا ، فعسى أن تثبت وجودها ، وتكون عند مسؤولياتها ، فتحقق مـا عقده العرب عليها من آمال كبار .

الإعلام الفلسطيني

- ٤ -

ليس هناك من يستطيع أن يدعي بحق ، أن أجهزة الإعلام العربية قامت وتقوم بواجبها بصورة مرضية في إفهام العالم بحقيقة كارثة فلسطين وبالظلم الذي حاق بالعرب من جراء خلق إسرائيل في بلادهم .

وليس هناك من يستطيع أن يزعم ، بأن قضية (العائدين) معروفة في العالم على حقيقتها دون زيادة ولا نقصان .

وعلى الرغم من النشرات التي تطبعها بعض الدول العربية وتوزعها في الخارج بوساطة سفاراتها ، وبالرغم من الإذاعات التي تذيعها بعض الدول العربية باللغة العربية وباللغات الأجنبية

عن فلسطين وعن كارثة (العائدين) ، وعن حق العرب الصريح في الأرض المقدسة ، وعن ظلم إسرائيل ومن وراء إسرائيل للعرب في اغتصاب حقهم الصريح في أرض فلسطين وتشريد مليون فلسطيني عن أرض آبائهم وأجدادهم ظلماً وعدواناً ، ومن ظلم يتحمله العرب الذين كتب عليهم القدر أن يبقوا في إسرائيل تحت رحمة الحكم العسكري الظالم وتحت وطأة التمييز العنصري الشنيع وفي سجون إسرائيل ومعتقلاتها التي تعج بالعرب الأبرياء .

على الرغم من تلك النشرات والإذاعات التي تقوم بها بعض الحكومات العربية مشكورة ، فإن ذلك كان ولا يزال صرخة في وادٍ بالنسبة لنشاط إسرائيل الإعلامي .

وإذا كان العربي مخلصاً لأمته أميناً على مصالحها صريحاً في ذكر الحقائق دون مواربة ولا تردد ، فإنه بدون شك يقرر فوراً ، أن الأجهزة الإعلامية العربية كانت ولا تزال مقصرة في إفهام مشكلة العرب في أرض فلسطين لشعوب الدنيا تقصيراً معيباً لا نعرف له تعليلاً معقولاً في كثير من الأحيان .

وإنك لتعجب أشد العجب ، حين تجد في عواصم الدول الأجنبية عشرات السفارات العربية ، وكل سفارة من هذه السفارات تضم بين صفوفها العديد من الرجال

ذوي الكفايات والدرجات العلمية العالية ، ومع ذلك كل تلك الكفايات معطلة أو شبه معطلة لا تسمع لها صوتاً إلا همساً ، ولا تلمس لها أثراً إلا ضعيفاً باهتاً !!

وفي تلك الدول الأجنبيـة سفارة إسرائيلية واحدة ، فتجد صوتها مسموعاً وأثرها ظاهراً .

مرة ثانية ، ما أضعف العرب في الدفاع عن حقهم ، وما أقوى إسرائيل في إقرار باطلها !!..

والذين سافروا إلى الخارج من العرب ، يجدون نشاط إسرائيل الإعلامي في كل مكان ، يتلمسون أثره في قلب الحقائق رأساً على عقب : خطباؤهم لا يسكتون ، ونشراتهم تغمر المكاتب والمنتديات ، والصحف تفتح لإسرائيل صفحاتها ، والإذاعات تردد أباطيلها وكأنها حقائق لا غبار عليها ؛ وكان من نتائج ذلك كله اقتناع الشعوب الأجنبية – مع الأسف الشديد – بأن اسرائيل على حق ، وأن العرب على باطل !

ولا حق بدون مُطالب ، والبشر لا يعلمون الغيب ، والناس يجهلون الحقائق إذا سكت عنها أهلها ، وهم يسمعون ما يذاع عليهم ، ويقرأون ما ينشر لهم ، وليس بإمكانهم أن يعرفوا ما لا يقرأون ويسمعون .

في مثل هذا الموقف ، وفي مثل هذه الظروف ، يقع واجب ضخم على عاتق حكومة فلسطين ومنظمة تحرير فلسطين ، وهذا الواجب هو اختيار جماعة من ذوي الكفايات العالية من الفلسطينيين الذين يتميزون بالحماسة والخلق الكريم والعمل الدائب والمثابرة المستمرة والعلم والإتزان ، ليكون هؤلاء الدعامة الأولى في الدول الأجنبية لإعلان الحقائق الدامغة عن قضية فلسطين .

وبإمكان مسؤولي الإعلام الفلسطينيين التعاون مع السفارات العربية ، أو مع العناصر المخلصة الأمينة التي تقدر مسؤولياتها في هذه السفارات من أجل تكامل واجباتها الإعلامية وتنفيذها على الوجه الأكمل الذي تستحقه قضية فلسطين .

كان معي ضابط عراقي شاب في يوم من أيام عام ١٩٥٤ ، وكنا نتجول بين خطباء زاوية (ماربل آرج) في حديقة (هايك بارك) في لندن ، حيث يقوم الخطباء من كل جنس ومن كل لون ومن كل حزب يقولون بحرية ما يشاءون .

وأنصتنا إلى حاخام يهودي يقذف بالحمم من لسانه البذيء شتماً للعرب وتقليلاً من شأنهم ، فعزم الضابط الشاب أن يرد عليه ، ولكنّ ضعفه في اللغة الإنكليزية جعله يتلكأ في كلامه ولا يبين .

وفجـأة انهمرت الدموع غزيرة من عينيه ، وهجم على الحاخام وأمسك بلحيته الكثّة الطويلة وضربه على وجهه ثم انسلّ من بين جموع المحتشدين من الناس .

بهذا العمل اللا إرادي الذي بوغت بـه الحـاخام ومن كان حوله من المنصتين والمشاهدين ، إستطاع الضابط الشاب أن ينتقم لنفسه ولقومه من ذلك الحاخام الكذاب الأشر ، فأسكت الحاخام وجعل من حوله يتساءلون : لماذا ؟ لا بد أن هذا الحاخـام ينطق بغير الحق ولا يقول إلا كذباً .

ولكن مثل هذه الوسائل لا تتكرر دائماً ، كما أنهـا وسائل بدائية قد يكون لها عواقب سيئة بالنسبة لعادات الأجانب وسلوكهم .

فلا بد من التفكير بوسائل إعلامية معقولة وقوية لصد تيار أكاذيب إسرائيل .

ومن أحرى من أهل فلسطين بالذات وأحق بالقيام بمثل هذا الواجب الجليل ؟ !

إننا ننتظر من حكومة فلسطين ومنظمة تحرير فلسطين كثيراً من الأعمال الإعلامية الباهرة ، وأملنا بهذا وطيد

مكين لتحقيق هذه الأعمال في المجالات الإعلامية .

إن الطريق طويل طويل ، والواجب ثقيل ثقيل ...
ولكن همم الرجال تقلع الجبال .
والفلسطينيون رجال أي رجال .

وقد أثبتوا رجولة في شتى المجالات ، وهم بدون شك سيثبتون رجولة في مجال الإعلام .

إن حقهم واضح وضوح الشمس في رابعة النهار ، فما عليهم إلا أن يظهروا هذا الحق للناس بكفاية ووضوح واندفاع .

إن العرب في كل مكان ينتظرون أن يرد الفلسطينيون بما عرف عنهم من رجولة وكفاية واندفاع ، سهام إسرائيل الإعلامية الى نحرها ، فتجعل شعوب العالم تتفهّم حقيقة مأساة فلسطين .

إلى شعب فلسطين

- ٥ -

كان الإستعمار في فلسطين ، كما كان في كل بلد آخر غير فلسطين يعمل بمبدأ : فرق تسد .

وكان من نتائج هذه السياسة ، أن الفلسطينيين أصبحوا أحزاباً وشيعاً وحمولات في كل قرية وفي كل مدينة وفي كل منطقة من أرض فلسطين .

ولكن المصائب تجمع ، والنكبات ترض ، والكوارث تذيب الخلافات .

إن نكبة العرب في فلسطين ، هي من أعظم نكبات الشعوب في كل أدوار التاريخ ، ولعل نكبة العرب في الأندلس هي أقل بكثير من نكبة العرب في فلسطين ،

لأن الأندلس فتحها العرب وهي ليست بـــلاد آبائهـم وأجدادهم ، أما فلسطين فهي بلاد الآباء والأجداد لقرون طويلة قبل الفتح الإسلامي وبعـــده كما هو مقرر في التاريـــخ .

هذه النكبة الكبرى التي تتضاءل الى جانبها كل نكبة أخرى ، لا بد أن تعمل عملها في نفوس الفلسطينيين عامة ، فتجمع شملهم وترصّ صفوفهم وتجعلهم يتناسون أحقـــادهم الماضية الى الأبـد ، من أجـل الهدف الكبير : استعادة الأرض المغتصبة من فلسطين .

إن منظمة تحرير فلسطين ، وحكومة فلسطين ، لا يمكن أن تضم كل الفلسطينيين أعضاء عاملين في صفوفها ، فـلا بد من انتخاب قسم منهم لينوبوا عن الآخرين .

وقد يكون بعض الذين في خارج منظمة تحرير فلسطين من هم أعرق جهاداً وأشد وطنية وأكثر إدراكاً من بعض الذين هم في داخلهـــا ، ولكن ليس معنى ذلك أن نحرم المنظمة من التأييد الاجماعي ولا أن نجعل نقـــاط ضعفها عنواناً لها وسبباً للهجوم عليها ومحاولة نسفها ، بل يجب أن يكون نقدنا لهـــا بنّـاءاً من أجل تكاملها ، ونتذكر ونذكر دائمـــاً نقاط قوتها لتكون مفخرة من مفاخر

الفلسطينيين وعاملاً من عوامل حشد قواتهم وجمع صفوفهم .

وليس من المنطق ولا من المعقول أن تنبثق منظمة تحرير فلسطين أول ما تنبثق متكاملة لا نقص فيها ولا شائبة .

إن من المتوقع أن يكون فيها بعض النواقص ، وهذا أمر طبيعي جداً ، إذ لا يولد الوليد وهو قادر على السير ، بل يحتاج الى وقت ليستقيم على قدميه ، والى وقت ليشبّ ، والى وقت ليكون رجلاً ، والى وقت ليتكامل عقله .

ومنظمة تحرير فلسطين أيضاً تحتاج الى الوقت ، والمطلوب من كل فلسطيني مخلص يحب فلسطين ويحرص على استردادها أن يعطيها الفرصة الكافية ليتكامل تنظيمها وتتغلب على مشاكلها وتذلل العقبات التي تصادفها ، ولكي تظهر للعيان نتائج جهودها من أجل قضية فلسطين .

أما أن نطالب منظمة تحرير فلسطين ، أن تقول للشيء كن ، فيكون ! فهو أمر فوق طاقة البشر ، وينافي طبيعة الأشياء .

إن الكلام سهل جداً ، ولكن الصعوبة تكمن في تنفيذه ، وما يريده الفلسطينيون من منظمتهم لا يمكن أن يتحقق فوراً ، فلا بد من الصبر الجميل .

إن الفلسطينيين مطالبون أن يستظلوا براية منظمة التحرير الفلسطينية ، وأن يسيروا وراءها ، وأن ينفذوا أوامرها ، وأن يحبوها بتأييدهم وعونهم ، وألاّ يشككوا في أمرها ، بل يعملوا على تشجيعها ، فلا شيء كالتشجيع يشد من أزر الرجال .

إن فكرة إبراز منظمة تحرير فلسطين الى الوجود ، فكرة تستحق التقدير والإعجاب ، وفي رأيي أن ما أنجزته حتى اليوم يدعو الى التقدير والإعجاب أيضاً .

ولست أشك أنها ستعمل جاهدة على إكمال ما تعانيه من نواقص ، وستجاهد لتحقيق أهدافها ، وستعمل على جمع الكفايات الممتازة من الفلسطينيين الذين هم خارج صفوفها الآن ، إذ كلما حشدت بين صفوفها العناصر القوية الأمينة المؤمنة من الفلسطينيين ، كلما استطاعت أن تتغلب بسهولة على مشاكلها ، وكلما استطاعت أن تحقق أهدافها بسهولة ويسر .

إن العناصر القوية الأمينة المؤمنة ، قوة لهذه المنظمة

وسند لها ، فحرام أن يبقى قسم من هؤلاء خارجها ، في الوقت الذي تحتاج هذه المنظمة في مثل هذه الظروف الى حشد كل قوة حقيقية الى صفوفها .

إن إنقاذ الأرض المغتصبة من أرض فلسطين ، أمانة ما أثقلها في عنق كل فلسطيني أولاً وعنق كل عربي ثانياً ، وعنق كل مسلم ثالثاً ، وعنق كل إنسان يستشعر معنى الإنسانية أخيراً .

وهذا الوقت بالذات ليس وقت تناحر على المناصب ، بل هو وقت تضحية بالقضايا الشخصية من أجل هدف سام رفيع هو : القضاء على إسرائيل .

ورضي الله عن خالد بن الوليد ، الذي لم تظهر عظمته في جهاده الطويل ولا في فتوحاته التي امتدت من اليمن جنوباً الى العراق وأرض الشام شمالاً ، بقدر ما ظهرت في قولته المشهورة عندما عزله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن القيادة العامة في أرض الشام وولىّ مكانه أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، فقال خالد : « لا أقاتل من أجل عمر ، بل أقاتل لتكون كلمة الله هي العليا » .

وأصبح جندياً بسيطاً بين جنود المسلمين ، ولكنه بنكرانه ذاته وإعراضه عن متاع الدنيا ، أصبح أعظم من

أي قائد في التاريخ .

أيها الفلسطينيون ... خذوا درسكم من خالد بن الوليد ، ليكون لكم مثل أجره وقدره ، وما عند الناس لا يبقى ، وما عند الله خير وأبقى .

والخلاصة

- ٦ -

إن حكومة فلسطين يجب أن ترتفع أعلامها ، لتنهض بواجباتها ، ولتعمل على تحقيق أهدافها ، ولتقود أهل فلسطين الى النصر .

وإن جيش فلسطين ، يجب أن يتكامل في تدريبه وتسليحه وتنظيمه وتجهيزه وقيادته ، ليكون رأس رمح الجيوش العربية في معركة الثأر .

وإن منظمة تحرير فلسطين ، هي من أثمن وأغلى ما حققته مؤتمرات القمة العربية ، وكل فلسطيني ، وكل عربي ، مسؤول عن تأييدها ومعونتها وشد أزرها وتشجيعها والفخر بها وإعلاء شأنها ورفع قيمتها وتسديد خطاها ،

لتكون القاعدة الأمينة الرصينة التي يشيَّد فوقها حاضر ومستقبل قضية فلسطين .

إنها آمال تحققت أو في طريقها الى التحقيق بعد كثير من الآلام ، وإنها لفرصة العمر لكل فلسطيني ولكل عربي ولكل مسلم أن يستقتل في سبيل إسنادها مادياً ومعنوياً .

إن النور قد بزغ بعد ليل طويل ، فمن الظلم أن نحجبه عن البصيرة والأبصار .

أسبابٌ للدُوَل العَربيّة

القيادة العربية الموحدة

- ١ -

أهم ما حققته مؤتمرات القمة للعرب ، هو القيادة العربية الموحدة .

إن كل عسكري - خاصة إذا كان قد شهد حرب فلسطين عام ١٩٤٨ م ، وكان مع الجيوش العربية التي دخلت فلسطين فعلاً ، كان ينادي بأعلى صوته مطالباً بالقيادة العربية الموحدة ، ولكن صوته المدوي كان يتلاشى ثم يعود إليه صدى خافتاً ، لا يجد له أثراً ولا استجابة ، ولا يلمس له تأثيراً ولا تجاوباً وكأنه هشيم تذروه الرياح .

ومن المذهل حقاً ، أن القيادة العربية الموحدة ضرورة من ضرورات خوض معركة الثأر في أرض فلسطين ، وهذه

الضرورة يقر بهـــا كل عربي في كل مكان ويعرف قيمتها وأهميتها ، بل يقر كل عربي في كل مكان أن الجيوش العربية لا يمكن أن تحارب على أرض فلسطين بقيادات عربية كثيرة ، ولا يمكن أن تنتصر على إسرائيل بدون قيادة عربية موحدة ، لأن الجيوش العربية ولو أصبحت مائـة جيش قوي إذا قاتلت بقياداتها الخاصة بها عدواً مشتركاً، فإنما يقاتل كل جيش من تلك الجيوش وحـــده ويتحمل الصدمة وحده ، فيكون مثل الجيوش العربية كمثل حزمة من الغصون إذا تفرقت غصونها سهل على الصبي كسر كل غصن منها على انفراد ، وإذا اجتمعت في حزمـة صعب كسرها على العصبة أولي القوة .

والقيادة العربية الموحـــدة ، هي التي تجمع الجيوش العربية ، فتجعل منها حزمة قوية لا يمكن كسرها وهي مجتمعة أبداً ، والله مع الجماعة ، ولا جماعة بدون قيادة .

لقد مر بنا في بحث : أسباب الهزيمـة ، أن من أهم أسباب تلك الهزيمة في حرب فلسطين هو عدم وجود قيادة عربية موحدة منبثقة منذ السلم ، وقبـل فترة مناسبة ، لإعداد الخطط العسكرية المدبرة ، والعمل على توحيـــد الجيوش العربيـة وتدريبها وتجهيزهـا وتسليحها وتنظيمها وقيادتها ، وإجراء التمارين (المنـاورات) المشتركة بينها نظرياً وعملياً لإبراز أهمية تعاونها ، وجمع المعلومات عن

قوات الصهاينة مبكراً ، وتزويد الجيوش العربية بالخرائط اللازمة ، وعمل خطط إدارية لإمدادهـــا بالسلاح والعتاد والأرزاق والنقلية ، واستكمال استحضاراتها الدقيقة منذ السلم لخوض معركة قد تطول .

وفي الحرب ، تكون هـــذه القيادة جاهزة لتطبيق خططها العسكرية المدبرة في المكان والزمـان المناسبين ، وتكون حاضرة فعلاً لقيادة الجيوش العربيـة ، بعـد أن عرفت منذ السلم مزاياها وقياداتها والواجبات التي يمكن أن تنجزها في ميادين القتال [1] .

ذلك هو مجمل واجبات هذه القيادة ، وهذا هو مبلغ أهميتها ، وحرمان الجيوش العربية منها في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ م ، كان من أسباب الهزيمة إن لم يكن من أهم أسبابها على الإطلاق .

وعلى الرغم من كل ذلك ، تلكـّأ العرب في العمل الجدي على بعث هذه القيادة الى حيز الوجود منذ عام ١٩٤٨ م حتى عام ١٩٦٤ م ، وكان يجب أن يكون تحقيق هـذا الهدف الحيوي من أهداف الشعب العربي ، فوق المهاترات والتناقضات .

---

(١) أنظر ص(٣٢ ـــ ٣٣) من هذا الكتاب .

على كل ، فالحمد لله الذي جعل القيادة العربية حقيقة من الحقائق ، فظهر الى مجال العمل للعرب هدف كبير من أكبر وأهم أهدافهم العسكرية .

واذا كانت هذه القيادة قد خسرت من عمرها الثمين ست عشرة سنة ، وهي الفترة ما بين عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٦٤ ، فهذا مما يجعل هـــذه القيادة تنطلق لتحقيق أهدافها ولإنجاز واجباتها وثبـاً وحضراً [١] ، لأن السير الرتيب على مهل رويداً رويداً يفوّت عليها فرصة التعويض عما مضى من سنين طويلة دون جدوى من عمرها المديد .

لقد شعرت وشعر معي كل عسكري شهد حرب فلسطين ، بل شعر معنا كل عربي مخلص لقضية فلسطين ، حين علمنا بنبأ مولد القيادة العربية الموحدة ، بفيض غامر من الفرح يجل عن الوصف والتقدير ، لأن العرب شعروا بحق أن أملاً من أغلى آمالهم ، وأمنية من أعز أمانيهم ، قـــد أصبحا فكراً يخطط وإرادة تنفذ ورجالاً يعملون في مجال إنقاذ حق العرب في أرض فلسطين .

هذه الثقة العربية التي لا حدود لها بهذه القيادة العربية

---

(١) الحضر : عدو ذو وثب . انظر مادة : (حضر) في باب الحاء من كتابنا : المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم .

الموحدة ، يضاعف مسؤولياتها الجسام ، حتى تجعل تلك الثقة في محلها بما تفكر فيه وتخططه وتنفذه تجسيداً للأمل العربي المنشود .

من هنا ، يشعر العرب المخلصون ، بمرارة ما بعدها من مرارة ، حين يجدون بعض العرب ينهشون بإذاعاتهم ، ويدسون بأقلامهم ، تشكيكاً بهذه القيادة وبمقدرتها على النهوض بواجباتها ، لأن هذا التشكيك لا يخدم غير إسرائيل ومَن وراء إسرائيل .

وإذا كان لإسرائيل ومن وراء اسرائيل عذر واضح معروف ، هو الذود عن مصالحهم في المنطقة العربية وإطالة عمر إسرائيل ، فيبذلون ما يبذلونه من جهد ومال للتشكيك بأهمية القيادة العربية الموحدة وجدواها ، فما هو عذر أولئك العرب الذين يتطوعون لخدمة اسرائيل ومن وراء إسرائيل ، بالتشكيك في أهمية هذه القيادة وجدواها ، فيطعنون بعملهم هذا أمتهم العربية من الخلف ظلماً وعدواناً ؟

إن العدو يستثمر الخيانة ، ولكنه لا يشرّف الخونة أبداً .

إن العسكريين يرثون لحال هذه القيادة ، ذلك لأن

عليها واجبات ثقيلة جداً ، ولهـــا أهداف ذات علاقة مباشرة بحياة كل عربي ومصيره ، فهي محط أنظار العرب ومعقد آمالهم وموضع ثقتهم : يتسمّعون أخبارها ، ويراقبون حركاتها ، ويستعجلون إنجازاتها .

هذه القيادة من أجل ذلك كله ولأجل ذلك كله ، لا يستطيع أن يعمل بهـــا إلا طراز نادر فذ من الضبـــاط ذوي الكفاية العـــالية والخلق الكريم والاستقامة المثالية والمقدرة على العمل الدائب الشاق والمـاضي المجيد ، ومن ذوي الصبر الجميل ايضاً .

ولست أتصور ضباط هذه القيادة في مقرهـا الرابض في القاهرة إلا خلية من خـــلايا النحل تعمل ليلاً ونهاراً لتحقيق هدفها العظيم .

والعسكريون وحدهم هم الذين يقدّرون ما على هذه القيادة من واجبات تنوء بحملها الجبال الراسيات .

وقد كنت في حديث طويل مع سياسي لا أشك في إخلاصه عن واجبات هذه القيادة ، فلمـا اطّلع على مجمل واجباتها هتف من أعماق قلبه : ساعدها الله !

وكان من قبل يظن أن واجباتهـا لا تمتاز بشيء عن

واجبات أية دائرة حكومية في عملها الاعتيادي الرتيب .

ولعلّ من المفيد أن أتطرق بايجـــاز شديد الى بعض واجبات القيادة العربية ، دعماً لها وإسناداً لجهودهـــا وترسيخاً لثقة الذين لا يعرفون عن واجباتها شيئاً من المدنيين سياسيين وغير سياسيين .

أ ــ إن واجباتها في السلم يمكن إجمالها بما يلي :

أولاً : توحيد التدريب العسكري في الجيوش العربية :
إن لكل سلاح خفيف أو ثقيل كتابـــاً خاصاً من كتب التدريب الرسمية التي تصدرها مديريات التدريب العسكري في هيئة الأركان العامة للجيوش العربية .

والأسلحـــة كثيرة متنوعة ، لذلك فالكتب التدريبية عليها كثيرة متنوعة ، وهذه الكتب عرضـــة للتحوير والتبديل تبعاً لأساليب استخدام هذه الأسلحة ولتطويرها بين حين وآخر ، مما يؤدي الى تغيير سياق التدريب على استخدامها .

ولا تقتصر الكتب العسكرية على كتب تدريب الأسلحة فحسب ، بـــل إن كتب التدريب هي جزء من الكتب العسكرية ، فهناك كتب التعبيـــة وكتب السوق وكتب واجبات الأركـــان ، وكتب القضايا الإدارية في الميدان من إعاشة ونقلية وطبابة وبيطرة وهندسة آلية كهربائية وعينة

ومستودعـــات ومذاخر .

وهناك كتب التاريخ العسكري وكتب الجغرافيا العسكرية وكتب التخطيط (طبغرافيا) العسكرية ... الخ .

إن العلوم العسكرية ، أصبحت علوماً متطورة كثيرة، مصادرها كتب لا تعدّ ولا تحصى ، وهي متيسرة على نطاق واسع في بعض الجيوش العربية ، ومتيسرة بنطاق محدود في جيوش عربية أخرى ، ولكن المتيسر منها على كل حال مختلف أشد الاختلاف في مصطلحاتها العسكرية وفي أساليبها وحتى في معانيها في الجيوش العربية المختلفة ، إلى درجة أن الضابط في جيش عربي ما قد يعجز عن فهم كتاب عن سلاح مثلاً من الأسلحة يعمل بموجبه جيش عربي آخر شقيق !!

خذ مثلاً كتاب تدريب الغدارة[1] المعمول به في الجيش العراقي ، وكتاب تدريب الغدارة المعمول به في جيش عربي آخر ، فستجد إختلافاً جذرياً في المصطلحات العسكرية وفي التعابير وفي سياق التدريب .

والذين اطلعوا على المعجمات العسكرية العربية ، وهي :

---

(١) الغدارة : سلاح صغير من الأسلحة الخفيفة ، يستعمل للدفاع الشخصي .

المعجم العراقي والمعجم السوري والمعجم اللبناني مثلاً ، يجدون اختلافات جذرية في ما احتوت عليه تلك المعجمات من مصطلحات [1] .

إن الجيوش العربية تتكلم لغات تكاد تكون مختلفة نتيجة لتباين مصطلحاتها العسكرية ، وتتدرب بأساليب مختلفة ، وهذا يحول حتماً دون تعاونها كما يرام في السلم والحرب .

إن القيادة العربية مسؤولة عن توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية وأساليب تدريبها على الأسلحة المختلفة وفي مجالات التعبية والسوق وواجبات الأركان ، وفي نطاق التدريب الإداري والفني .

إنها بكلمات مختصرة ، مسؤولة عن توحيد الكتب العسكرية العربية ، وهذا الواجب وحده تنوء به العُصْبَة أولو القوة ويستغرق إنجازه بالعمل الدائب المستمر وقتاً طويلاً .

---

(١) أنظر التفاصيل في بحث أهمية توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية ، وهو مقدمة لكتاب : المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم . وقد ألقي هذا البحث في مؤتمر مجمع اللغة العربية والمجمع العلمي العراقي في الفترة بين ٢٠ و ٣٠ /١١/ ١٩٦٥ . أنظر : المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم (٧ - ٢٣) .

ولكن هذا الواجب - على الرغم من صعوبته - يستحق تضافر الجهود وبذل أعظم طاقات القيادة العربية الموحدة، لأنه يسهل أمر تعاون الجيوش تعاوناً وثيقاً - خاصة في الحرب - ، هذا التعاون الذي لا يمكن النجاح بدونه ، وهو من بعد ذلك مبدأ من مبادىء الحرب .

إن المنطلق لتوحيد الكتب العسكرية وأساليب التدريب العسكري المختلفة ، هو توحيد المصطلحات العسكرية ، فليس من المعقول ولا من المنطق أن تبقى هذه المصطلحات مختلفة إلى درجة التناقض في كثير من الأحيان ، كما أن توحيدها هو الخطوة العملية الرصينة لتوحيد الجيوش العربية وخلق الإنسجام الفكري بين صفوفها ، وهذا يؤدي حتماً إلى وحدة العرب . كما أن بعض الجيوش العربية لا تزال تستعمل مصطلحات عسكرية أجنبية ، وهذا نوع من أنواع الاستعمار الفكري البغيض ، فمن أحرى من القيادة العربية الموحدة لتخليص تلك الجيوش من هذا الاستعمار الفكري البغيض .

وقد استجاب القائد العام للقيادة العربية الموحدة مشكوراً لاقتراحي الذي عرضته عليه في أواخر عام ١٩٦٥ م حول توحيد المصطلحات العسكرية العربية .

وحينذاك ستكون القيادة العربية الموحّدة قيادة عربية

موحّدة حقاً .

وسيكون لها في تاريخ العرب وفي مصيرهم ، شأن أي شأن !!

ثانياً : الكتب العسكرية وحدها – على أهميتها الكبرى – ليست كافية للتدريب على صنوف القتال .

إنها تغذي العقول بالمعلومات العسكرية النظرية ، وبشيء غير قليل من المعلومات العسكرية العملية ، ولكن التمارين العسكرية (المناورات) هي التي تمدّ العقول بتجارب عملية لا يستغني عنها أي جيش من الجيوش .

هناك تمارين [١] نظرية على الورق ، وتمارين هيكلية باستخدام المقرّات فقط ، وهناك تمارين عملية باشتراك المقرّات والقطعات ، وهناك تمارين عملية ايضاً باستخدام العتاد الحقيقي [٢] وبالعتاد الخُلّب .

إن هذه التمارين وحدها هي التي تنمي التجربة العملية وتساعد على تذليل تعاون الجيوش في الحرب ، وتجعل لقياداتها خبرة عملية بمزايا الجيوش كافة ومزايا قياداتها وإمكاناتها ونواقصها في كل ذلك ، لإمكان تلافي تلك

---

(١) مشاريع .
(٢) الذخيرة الحية .

النواقص قبل وقت مناسب من أيام القتال .

كما أن هذه التمارين ، هي تجربة عملية للقيادة العربية الموحّدة ، تنمي بها قابلياتها القيادية وتزيد من تفاصيل معرفتها بمزايا الجيوش العربية ومزايا قياداتها وإمكاناتها ونواقصها في كل ذلك ، لإمكان العمل على تلافي تلك النواقص مبكراً قبل أن تنشب الحرب .

إن إعداد تمرين مفيد دقيق لفوج من أفواج المشاة ، يحتاج الى جهد طويل متواصل قد يستغرق شهراً كاملاً ، فكم يستغرق إعداد تمرين متكامل مفيد للجيوش العربية أو لقياداتها على أقل تقدير [1] ؟ !

مرة ثانية ، كان الله في عون القيادة العربية على النهوض بأعباء واجباتها الجسيمة .

ثالثاً : العمل على توحيد تسليح الجيوش العربية جهد الإمكان ، لأن اختلاف التسليح يؤدي الى محاذير معروفة، لعلّ من أهمها اختلاف أنواع العتاد الذي تحتاجه للرمي ، مما يؤدي الى صعوبات تحول دون تأمينه في الوقت المناسب

---

(١) إذا كان من الصعوبة إجراء تمارين مشتركة في الظروف الراهنة ، فلا بد من إجراء تمارين بدون قطعات للمقرات.

بالكمية المناسبة ، خاصة اذا كان العتاد مستورداً وليس مما تنتجه محلياً معامل عتاد الجيوش .

وليس معنى ذلك أن تقتصر الدول العربية على استيراد الأسلحة من دولة واحدة أو من دول معينة ، فقد ذكرنا محاذير ذلك من قبل [1] ، فقد كانت خطوة كسر احتكار السلاح خطوة موفقة .

ولكن معنى توحيد التسليح ، أن تكون عيارات عتاد الأسلحة متشابهة ، فمثلاً عتاد ٣٠٣و٠ يمكن استخدامه في الرشاشات الخفيفة الغربية والرشاشات الخفيفة الشرقية ، وهذا يجعل هذين السلاحين نوعاً واحداً فيما عدا اختلاف الأسماء وسياق التدريب على استخدامها .

أما أهمية إنتاج السلاح والعتاد محلياً في البلاد العربية ، وأهمية تنسيق هذا الإنتاج العربي ، فسيرد موجزاً عند الحديث عن : التنسيق الصناعي ، والقيادة العربية الموحدة يجب أن تكون طرفاً في التخطيط لهذا الإنتاج .

رابعاً : ومن واجبات هذه القيادة توحيد تنظيم الجيوش العربية ، لأن هناك اختلافات كثيرة في التنظيم ، كما أن تنظيم بعض الجيوش العربية متخلف كثيراً دون مبرر معقول .

---

(١) أنظر (٣٤ - ٣٥) من هذا الكتاب .

إن اختلاف التنظيم يؤدي إلى اختلاف العمل العسكري ، وهذا يؤدي إلى صعوبة التعاون في التدريب الإجمالي وفي الميدان .

خامساً : ومن واجبات القيادة العربية الموحدة توحيد التجهيز في الجيوش العربية ، ليكون الجيش العربي جيشاً واحداً في مظهره ومخبره لا أن يكون (قوس قزح) في تجهيزاته وقيافة ضباطه ومراتبه وجنوده كما هو الحال اليوم .

وقد يظن بعض الناس ، أن التجهيزات لا أثر لها على النفوس ، ولكن علماء النفس أثبتوا بما لا يقبل الشك ، أن قيافة العسكري – وغير العسكري أيضاً – لها أثر كبير على نفسيته ، وتوحيد التجهيزات العسكرية في الجيوش العربية عامل من عوامل إشاعة الإنسجام النظري والعملي في صفوفها .

وإنتاج التجهيزات العسكرية محلياً مهم جداً كأهمية إنتاج السلاح والعتاد محلياً ، فلا مكانة مرموقة لجيش من الجيوش يستورد كل تجهيزاته من الخارج .

سادساً : ومن واجبات هذه القيادة جمع المعلومات المفصلة عن العدو : قواته ، وقياداتها ، وتنظيمها وتسليحها وتجهيزها ومعاملها العسكرية وإنتاجها العسكري وحالتها

المعنوية والأرض التي سيجري عليها القتال .

ولتحقيق هذا الهدف ، لا بد أن يكون هناك تعاون وثيق بين أجهزة استخبارات [1] القيادة العربية الموحدة وبين أجهزة استخبارات الدول العربية دون قيد أو شرط .

إنه لا خطة سليمة رصينة ، بدون معلومـات مفصلة موثوق بها .

ولست بحاجة إلى أن اذكر وسائط جمع المعلومات عن العدو ، فهي معروفة عند المسؤولين من عسكريين وغـير عسكريين .

إن نقص المعلومات التي كانت متيسرة عند العرب عن يهود فلسطين عام ١٩٤٨ م ، كان سبباً من أسباب الهزيمة ، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

سابعاً : ومن واجب القيادة العربية الموحدة إعداد الخطط المفصلة الدقيقة التي يدخل في حسابها كل الاحتمالات المتوقعة التي يمكن أن تفعلها قوات إسرائيل مع حساب أسوأ الاحتمالات.

ما هي خطط العرب إذا هجم يهود من اتجاه معين ؟ كيف يمكن صد هذا الهجوم ؟

---

(١) مباحث ، أو المكتب الثاني ... إلخ .

ماذا يفعل العرب إذا هاجم يهود بلداً عربياً ؟

ما هي خطة العرب في إنقاذ فلسطين ؟

ما هي الخطة الإدارية الواجب تطبيقها ؟

ما هي خطة النفير العربية ؟[1]

وكما أن هناك احتمالات متوقعة لهجوم إسرائيل بأي اتجاه وفي أي وقت ، فلا بد أن تكون هناك خطة مفصلة جاهزة لتطبيقها فوراً لمواجهة كل احتمال متوقع .

هذا الواجب هو من أهم واجبات القيادة العربية الموحدة ، بل هو أهم واجباتها على الإطلاق .

وقد تعمدتُ إدراجه في مؤخرة الواجبات ، حتى يبقى عالقاً في الأذهان تأكيداً لأهميته وضرورة أسبقية إنجازه بحرص وأمانة وإتقان .

وهذا الواجب وحده يقتضي عملاً شاقاً متواصلاً ، واستطلاعاً مفصلاً شاملاً ، ويقظة وانتباهاً ودقة متناهية كما يحتاج إنجازه إلى وقت طويل .

---

(١) إذا كان نفوس العرب مائة مليون نسمة فإن عشرة ملايين جندي يمكن أن ينفروا خفافاً وثقالاً منهم ، لأن نسبة القادرين على حمل السلاح ١٠٪ من مجموع السكان .

تُرى ! هل استطعتُ أن أسلّط الأضواء على مجمل واجبات القيادة العربية الموحدة بشكل يجعل غير العسكريين يقدّرون أهميتها الكبرى ، فلا يقولن قائل منهم بعد اليوم ، وهو مرتاح في مكتبه على كرسيّه الوثير : ما هي واجبات هذه القيادة ، وما جدواها للعرب وفلسطين ؟!

ولكن ، هل ذكرت مجمل هـذه الواجبات من أجل المسؤولين من المدنيين وغير المسؤولين ؟

إنها بالإضافة إلى ذلك تذكير وذكرى للمسؤولين من العسكريين العرب ، ليعرفوا أي وزن ثقيل من الضباط يجب أن يختاروا لهذه القيادة ، وأن لا يرسلوا إليها غير الكفايات العالية الممتازة علماً وخلقاً ودأباً واستقامة وكتماناً من الضباط .

وإنها لتذكير وذكرى للقيادة العربية الموحدة أيضاً ، لتثبت وجودها عملياً بشكل يدعو إلى التقدير والإعجاب .

آوى نابليون إلى سريره ليلاً وجيشه كان يخوض معركة طاحنة في النمسا .

وقام النمساويون وحلفاؤهم بهجوم مقابل على الفرنسيين في وقت غير متوقع ومن اتجاه غير متوقع ، فهرع معاون نابليون إلى غرفة نومه وأيقظه من نومه العميق .

وقال معاونـــه : « سيدي ! هجوم مقابل يتغلغل بسرعة في صفوفنا ، وقواتنا مهددة بالتطويق » .

قال نابليون : « إفتح الدرج الأعلى من المكتب الذي أمامك ، وخذ الملف الأحمر ، ففيه خطة مفصلة لمعـالجة هجوم الأعداء » .

وعاد نابليون إلى نومه العميق .

وأسرع معـــاون نابليون إلى الدرج ، والتقط الملف وقلب صفحاته ، ثم أسرع في تنفيذ الخطة الجاهزة ، فصد الهجوم الكاسح بسهولة ويسر .

وانتصر الفرنسيون على أعدائهم نتيجـة لتطبيق الخطة المعدة سلفاً من نابليون ، وتخلصوا من هزيمة نكراء .

وفي غمرة الفرح بالنصر ، عـاد معاون نابليون يقلب ما في درج مكتبه من ملفات ، فوجد خططاً كثيرة سهر نابليون وهيئة ركنه على إعدادها مبكراً قبل المعركة بوقت طويل ، وكانت تلك الخطط حاوية على مقابلة كل ما يمكن أن يقوم به العدو من حركات .

وتعلم معاون نابليون درساً عملياً من نابليون .

لقد كان يظن أن نابليون قائداً عبقرياً بالفطرة ، وهذا

صحيح ... ولكن الفطرة لا تكفي بدون علم وتعلم وجهد وعرق ودموع .

إن نابليون أصبح قائداً فذاً ، لأنه بذل كل طاقاته ليتعلم ويعلم غيره الفنون العسكرية ، كما كان يعد العدة لمواجهة كل ما يمكن أن يتصوره العقل البشري من احتمالات .

كان قائداً بالفطرة ، وأضاف إلى الفطرة العلم العسكري ثم أضاف إلى الفطرة والعلم : الجهد الجهيد .

لقد جمع الطبع الموهوب والعلم المكتسب والمقدرة على العمل المتواصل الطويل .

وبذلك أصبح نابليون قائداً حقاً ، لا قائداً من قوارير ...

وقد وصف مؤرخو العرب خالد بن الوليد رضي الله عنه بصفات منها : « أنه كان لا ينام ولا ينيم ، وأنه كان لا يسير إلا على تعبية » .

وما وصفوا به خالداً وصفوا به المثنى بن حارثة الشيباني وغيره من قادة الفتح الإسلامي العظيم .

وأولى الناس بالتأسي بمزايا قادة العرب المسلمين الأولين هم قادة العرب المسلمين من أبنائهم الذين كتب عليهم القدر

أن يتولوا أهم وأقدس واجب عسكري في القرن العشرين هو : إنقاذ فلسطين .

والتاريخ قد فتح صفحاته الناصعة البيضاء ، وسيكتب للمجيدين من القادة أنقى وأروع وأنصع الصفحات .

فلمن ستكتب بأحرف من نور هذه الصفحات ؟
بقي علي أن أقول كلمة للمسؤولين العرب :
إنهم مطالبون بالمزيد من التأييد والإسناد لهذه القيادة .

إن العرب لا يطيقون أن توضع العراقيل والعقبات في سبيل أهدافهم العليا ، ولعل القيادة العربية الموحدة من هذه الأهداف .

وتقدير العرب للمسؤولين العرب يتناسب تناسباً طردياً مع ما يقدمونه من خدمات وما يبذلونه من جهود وما يقدمونه من المال من أجل فلسطين وأجهزة فلسطين .

وإن ربك لبالمرصاد .
وإن العرب لبالمرصاد .
وإن التاريخ لبالمرصاد .

مؤتمرات القمة

- ٢ -

شهد عام ١٩٦٤ م تطوراً محسوساً في العلاقات بين الدول العربية ، إذ انعقد فيه مؤتمران للقمة جمعا شمل ملوك ورؤساء الدول العربية لأول مرة بعد كارثة فلسطين ، تناول البحث فيهما : المؤتمر الأول في القاهرة والمؤتمر الثاني في الإسكندرية .

كما شهد عام ١٩٦٥ م انعقاد مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء .

وقد كان من المقرر عقد مؤتمر القمة الرابع في الجزائر عام ١٩٦٦ م ، ولكن انعقاده تأجل إلى موعد غير محدود .

إن مجرد اجتماع ملوك ورؤساء الدول العربية في بلد

واحد ، وتداولهم في المصالح العربية ومصير العرب ، هو مكسب عظيم للأمة العربية ، ذلك لأن الاتصال الشخصي بين الرؤوس الكبيرة للعرب يزيد من تعارفهم ومن تعاونهم ومن معرفة كل واحد منهم لزملائه معرفة شخصية ، كما يسرع في حل المشاكل العربيـــة ويقلل من الرد والبدل بالوسائل السياسية الرتيبة وبالمخابرات الرسمية التي تحتاج إلى وقت طويل .

وما حققته مؤتمرات القمة الثلاثـــة ليس قليلاً ، فقد كان كل عربي يشعر شعوراً عميقاً بأهمية الكيان الفلسطيني والقيادة العربية الموحدة ، ولكن مولد هذين الحدثين تأخر طويلاً من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٦٤ يوم انعقد مؤتمر القمة الأول في القاهرة .

إن مجمل حصيلة هذه المؤتمرات الخاصة بفلسطين هي ثلاثة مكاسب لا ينتقص من قيمتها أحد من ناحية المبدأ ، وقد ينتقص من قيمتها كثيرون من حيث التفاصيل .

هذه المكاسب هي : منظمة تحرير فلسطين ، والقيادة العربية الموحدة ، وتحويل روافد الأردن .

والذين يحبون أن يستمر انعقاد هذه المؤتمرات — وأنا منهم — يريـــدون مزيداً من المكاسب للقضايا العربية ،

ويحرصون على استمرارية المكاسب الفلسطينية وتذليل ما يصادفها من عقبات .

والذين لا يحبون انقطاع مؤتمرات القمة عن الاجتماعات الدورية المستمرة — وأنا منهم أيضاً — يخشون أول ما يخشون على المكاسب الفلسطينية من الضياع .

لقد كانت هناك قرارات مالية لدعم مكاسب فلسطين التي أُقرت في مؤتمرات القمة .

وهذا الدعم المالي يجب أن يكون أرفع من الاختلافات العربية التي أخرت انعقاد مؤتمر القمة الرابع .

إن الاختلافات العربية يجب أن تتوقف على باب قضية فلسطين ، وعند دخول هذا الباب يجب أن يشيع الانسجام والوفاق .

والعرب في كل مكان لا يغفرون للدولة العربية التي تتأخر عن دفع ما عليها من مال وفي الوقت المعين لتحقيق مكاسب فلسطين .

وعسى أن يكون المسؤولون العرب على مستوى مسؤولياتهم التاريخية تجاه قضية فلسطين .

الجامعة العربية

- ٣ -

الجامعـــة العربية بالنسبة للعرب ، هي شعرة معاوية بالنسبة للعرب وللقضايا العربية .

وشعرة معاوية هي التي كان يقول عنها معاوية بن أبي سفيان : « لو كان بيني وبين الناس شعرة لمـا قطعتها : إذا أرخوا شددت ، وإذا شدوا أرخيت » .

فقد كانت الجامعة العربية موضع نقد كثير من العرب وغيرهم منذ كانت عام ١٩٤٧ م حتى اليوم .

والذين يوجهون إليها النقد ، لا يستطيعون أن يفعلوا أكثر مما فعلته لو كانوا المسؤولين عن تدوير شؤونها .

أقول ذلك إنصافاً للجامعة العربية وإنصافاً لأمينهـــا

السابق والحالي ، لأن تناقضات الدول العربية تنعكس في الجامعة العربية ، ولو كان الوفاق سائداً في الدول العربية لتبدل الحال غير الحال .

فماذا يستطيع أمين الجامعة ، وماذا يستطيع غيره ، أن يفعل تجاه تناقضات الدول العربية ؟

وهل بإمكانه أو بإمكان غيره أن يكون إنتاجه متكاملاً مع وجود تلك التناقضات ؟

ومع ذلك فإن بقاء هذه الجامعة ضروري للعرب ، لكي تقوم بواجب شعرة معاوية بالضبط .

وبالنسبة لقضية فلسطين ، فإن الجامعة سترعى هيئة تحرير فلسطين وتذلل العقبات أمامها ، وترعى مشروع تحويل روافد نهر الأردن بمعاونة الممثلين الشخصيين للملوك والرؤساء العرب .

وستقوم بواجبها في تنفيذ الإلتزامات المالية نحو قضية فلسطين .

يجب الإبقاء على شعرة معاوية وتقويتها ، فهي ضرورية للعرب – وخاصة لقضية فلسطين .

وإذا كانت الجامعة ضرورية للعرب في كل وقت ، فهي ضرورية جداً في أيام تجميد مؤتمرات القمة إلى حين .

وكل قول يخالف ذلك ينقصه العمق ويناقض المصلحة العربية العليا ويجمّد كثيراً من وسائل إنقاذ فلسطين .

التضامن العربي

- ٤ -

من جملة مكاسب مؤتمرات القمـة - في نظري - هو ميثاق التضامن العربي الذي أقره مؤتمر القمة العربي الثالث في الدار البيضاء بتاريخ ١٣ أيلول عام ١٩٦٥ م .

لقد نُفـّذ هذا الميثاق شهرين فقط بعـــد إقراره ، ثم عادت أجهزة إعلام بعض الدول العربية إلى سيرتها الأولى حرباً لا هوادة فيها وتنابزاً بالألقاب وإثارة للأحقاد وكشفاً للعورات ، وإذاعة لما يقال وما لا يقال ...!!.

إن التناقضات بين الدول العربية موجودة لا ينكرها إلا غبي أو جاهل ، والشعب العربي عامـة يعرف مداها وأبعادها وعمقهـــا ، ولكن لمصلحة من نكشف أنفسنا

ونفضحها على نطاق عالمي في أجهزة الإعلام العربية صحافة وكتباً وإذاعات ؟

إن بعض أجهزة الإعلام العربية ، وفّرت على إذاعة إسرائيل مهمة استجلاء الأسرار واكتناه عوامل الاختلافات بين العرب ، فجعلت إذاعة إسرائيل تقتصر على نقل ما تقوله بعض الإذاعات والصحف العربية ... وكفى ..

إن أجهزة إعلام العرب يجب أن تكون للعرب لا عليهم ، ومن المفروض أن تكون عاملاً من عوامل تحسين سمعة العرب والذبّ عنهم والدفاع عن حقوقهم ، لا أن تكون عاملاً من عوامل كشف عوراتهم وفضح اختلافاتهم بأساليب أقلّ ما يقال فيها بأنها بعيدة عن المنطق السليم .

وأنا أعلم أنني أسير على الشوك حين أؤيد ميثاق التضامن العربي بكل قوة وصراحة ، لأنني أعرف أن هناك من لا يؤمن بهذا الميثاق بادعاء أن نقضه هو من أجل كشف الحقائق للشعب العربي ...

ولكنني أؤمن بأن مصلحة العرب العليا ، هي أهم من مصلحة حزب معين أو كتلة معينة وحتى مصلحة دولة معينة ...!

إن (الكل) أهم من (الجزء) ، فإذا اصطدمت مصالح (المجموع) بمصالح (الفرد) أو (الجماعات) ،

فإن الأفضلية للكثيرين لا للأقلين .

ومرة ثانية ، فإن العرب يعرفون كل شيء ، وهم يقرأون (المحي) كما يقول المثل العراقي ، فلمصلحة من نفضح أنفسنا في العالم ولنا في أرجائه أعداء متربصون ؟

وقد يمكن حلّ بعض التناقضات باللقاءات الشخصية أو بالوسائل السياسية أو بإشراف الجامعة العربية ، ثم تبقى مشاكلنا مكتومة عن أعدائنا ، معروفة للعرب وللمسؤولين .

أما بعد إذاعة تلك التناقضات بأسلوب غالباً ما يكون استفزازياً ، فإن تلك التناقضات تزداد عمقاً ويتعقد حلها بالمضاعفات التي تحيق بها ، فنكون بذلك كالذي رفض إعطاء (جِزّة) [1] لخصمه فأجبر على إعطاء جزة وخروف .

هكذا فإننا لا نرضى بالتناقضات وحدها ، ولكننا نرضى بالتناقضات ومضاعفاتها ، وقد تكون المضاعفات أشدّ خطراً من التناقضات .

والأمر الذي لا يكاد يختلف فيه اثنان ، أن قضية فلسطين لا يمكن حلها بدون تضامن الدول العربية وتعاونها قلباً وقالباً أو بالوحدة العربية الشاملة .

---

(١) الجزة : الصوف الذي يقص من خروف واحد .

وما دامت الوحدة العربية تحتاج إلى وقت لا يعرف أحد مداه ، فإن التضامن العربي هو السبيل المتيسر الآن لحل قضية فلسطين .

والعرب بدون شك لهم أعداء كثيرون ، فلا بد لهم من تصنيف هؤلاء الأعداء ووضع أسبقية لهم .

ولعلّ هناك آراء متضاربة للعرب في أسبقية أعدائهم وأشدّهم خطراً عليهم .

ولكن الذي لا تضارب فيه هو أن إسرائيل على رأس قائمة أعداء الأمة العربية .

حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، كان أمامه أعداء كثيرون هم : قريش ويهود ومن حول المدينة من الأعراب ، والروم وحلفاءهم ... الخ .

وصنّف الرسول القائد أعداءه بالنسبة لخطرهم على المسلمين، فكان على رأس قائمة أعدائه قريش .

فماذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

عقد معاهدة بين المسلمين من جهة ويهود والمشركين من أهل المدينة من جهة ، وادعهم فيها وأقرّهم على دينهم وأموالهم [١] .

---

(١) أنظر التفاصيل ونص المعاهدة في : الرسول القائد (٥٧ - ٦٠) .

وبهذه المعاهدة استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل أهل المدينة المنورة كلهم على اختلاف أديانهم يــــداً واحدة على أعدائهم .

وبذلك تفرغ لمصاولة أعدى أعداء المسلمين : قريش .

ولما تكاملت قوات المسلمين وأصبح لا يخشى قريشاً ، بدأ يصفي حسابه مع أعدائه الآخرين .

وليس بين الدول العربية اليوم من تناقضات مثل مــا كان بين المسلمين وبين يهود والمشركين .

والاتحاد السوفياتي اليوم يرفع شعار : التعايش السلمي ، فيعيش مع الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الغربية تحت لواء هذا الشعار .

وليس بين الدول العربية اليوم من تناقضات مثل ما بين الإتحاد السوفياتي وغيره من دول المعسكر الشيوعي ، وبين الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من دول المعسكر الرأسمالي.

والذي جعل هــــذين المعسكرين ينضويان تحت لواء : التعايش السلمي ، هو خوفهما من حرب ذريـــــة لا تبقي ولا تذر .

والذي يجعل الدول العربية ، وفيها من نقاط الإلتقاء أكثر بكثير من نقاط الإبتعاد، تعيش تحت لواء : ميثاق التضامن

العربي ، هو تحقيق هدف الأمة العربية الحيوي : القضاء على إسرائيل .

ومثل هذا الهدف يستحق كلّ تضحية من العرب ، ويستحق أن تنسى دول العرب اختلافاتها ولو إلى حين .

والدولة العربية التي تخرج عن ميثاق التضامن العربي نصاً وروحاً يكشفها شعبها أولاً ويكشفها الشعب العربي ثانياً ، وهذه الدولة بدون شك عرضة للزوال .

ذلك لأن الشعب لا يسكت أبداً ، وقد صفّى حسابه مع الذين فرّطوا بأمر فلسطين عام ١٩٤٨ م ، فهل يسكت عمن يفرّط بأمر فلسطين اليوم وغداً وبعد غد ؟...

بالتضامن العربي هناك أمل بإنقاذ فلسطين ...

وبالتناحر العربي لا يبقى أمل بإنقاذ فلسطين ..

والشدائد تجمع ، والنكبات توحّد ، والمصائب ترص الصفوف ...

فأيّ شدة وأيّ نكبة وأيّ مصيبة هي أعظم من نكبة فلسطين ...

فلماذا لا تجمع هذه النكبة العرب وتوحدهم وترص صفوفهم؟

إذا هاجمت إسرائيل دولة عربية ، فهل تستطيع دولة عربية أخرى حجب إسنادها الفوري عن الدولة العربية المهاجَمة ؟

وإذا فعلت ، فهل يسكت عنها شعبها ؟

ولكن تعاون العرب في ساعة الخطر لا يكفي ليضمنوا النصر لهم ، بل يجب أن يتعاونوا قبل ساعة الخطر لإكمال كثـــير من الاستحضارات الضرورية للحرب حتى يضمنوا النصر لهم .

وإلاّ فستبقى أمور العرب عاطفية ، والعاطفة وحدها لا تكفي لإحراز النصر .

إن التضامن العربي ضروري للعرب في ظروفهم الراهنة ، وهذا التضامن وحده يحطم معنويات إسرائيل .

وتناحر العرب هدف من أهداف إسرائيل ، فلمصلحة من نحقق لإسرائيل هذا الهدف ؟

ولمصلحة من نأكل بعضنا ، ونشعل النار في حقولنا ، وندّمر بيوتنا بأيدينا ؟؟.

تحويل روافد الأردن

- ٥ -

كانت محاولات إسرائيل لاغتصاب مياه الأردن ونقلها إلى صحراء (النقب) لإعمار هذه الصحراء ، معروفة للدول العربية . فقد كان مشروع إسرائيل لنقل هذه المياه بالأنابيب الضخمة ، قائماً على قدم وساق ، وكان العمل لإنجازه مستمراً ، حتى استطاعت إسرائيل إنجازه ، فتم لها اغتصاب المياه العربية ونقلها الى (النقب) في شهر أيار من عام ١٩٦٤ م .

ومن الواضح أن العرب لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً قبل مؤتمرات القمة لعرقلة مشروع إسرائيل ، أو منعهم من تنفيذه ، لأنهم كانوا مختلفين فيما بينهم ، فمضى الوقت عليهم

سدى ، واستطاعت إسرائيل إنجاز مشروعها ، فتدفقت مياه الأردن الى (النقب) .

وكان من فضل مؤتمرات القمة ، أن قرّرت الحكومات العربية تحويل روافد الأردن في كل من لبنان وسورية والأردن .

وهذا القرار – على الرغم من تأخر إقراره – فيه فوائد كثيرة للعرب ، وفيه أضرار كثيرة لإسرائيل .

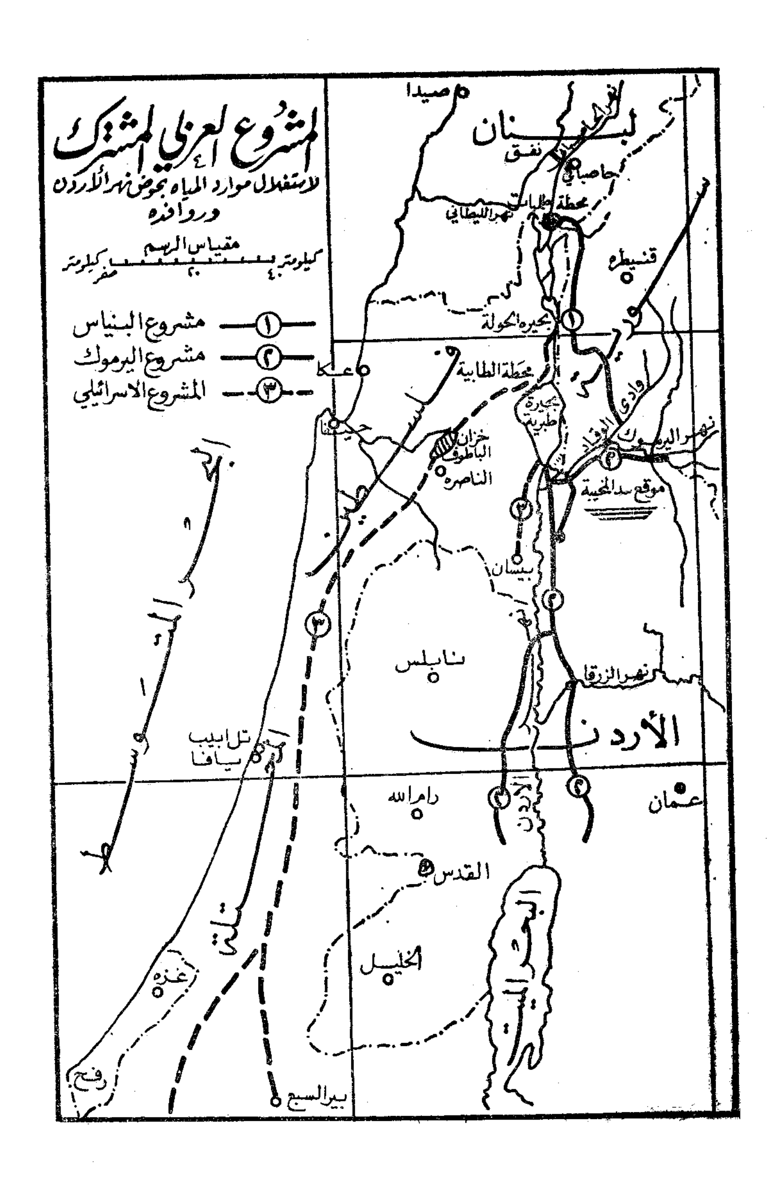
ولعلّ من فوائد تحويل روافد نهر الأردن للعرب ، هو تعمير المناطق العربية والاستفادة من تلك المياه للمشاريع الزراعية ولتوليد القوى الكهربية وللأغراض الأخرى .

ولعل من أضرار تحويل تلك الروافد على إسرائيل ، أن مشروعها لنقل المياه الى النقب قد كلفها مبالغ ضخمة ووقتاً طويلاً ، كما أن ذلك يفوّت عليها مشروعها في إسكان مليوني يهودي من المهاجرين الجُدد إلى إسرائيل .

والذي يهمنا هنا ، معالجة الناحية العسكرية من تحويل روافد نهر الأردن .

إن العرب لا بدّ لهم أن ينفذوا مشروعهم في تحويل روافد نهر الأردن ، فلهم كل الحق أن يفعلوا في مياه بلادهم ما يشاءون .

كما أن نجاحهم في التحويل ، سيثبت للعالم أنهم أصبحوا



المشروع العربي المشترك
لاستغلال موارد المياه بحوض نهر الأردن وروافده
مقياس الرسم
كيلومتر
كيلومتر
صفر
مشروع البنياس
مشروع اليرموك
المشروع الاسرائيلي
صيدا
لبنان
نفق
حاصبيا
محطة طلبات
نهر الليطاني
قنيطرة
بحيرة الحولة
عكا
محطة الطابية
بحيرة طبرية
خزان الباطوف
الناصره
نهر اليرموك
موقع سد المخيبة
بيسان
نابلس
نهر الزرقا
الأردن
تل ابيب
يافا
رام الله
عمان
القدس
الخليل
غزه
رفح
بير السبع

ينفذون ما يقولون ، ولم يبقوا كما كانوا من قبل يقولون ولا يفعلون .

كما أن نجاحهم في التحويل له أثر بالغ على الناحية المعنوية للعرب ، فذلك يرفع معنوياتهم ويزعزع معنويات إسرائيل .

والعكس هو الصحيح في حالة فشلهم في هذا التحويل ، إذ سيقول قائل : إن إسرائيل نجحت في تهديداتها للعرب ، وأن العرب غير جادّين في إنقاذ فلسطين ، ليس على أرض فلسطين فحسب ، بل في بلادهم أيضاً ، وأن المبادأة ليست بيد العرب ، بل هي بيد إسرائيل ، فهي تفرض إرادتها على البلاد العربية ، وإرادتها هي النافذة .

والأهم من ذلك ، أن إسرائيل تهدف من إعمار (النقب) ، نقل مليوني مهاجر إسرائيلي من شتى أنحاء العالم ، وإسكانهم في المناطق المستصلحة من صحراء النقب .

ومعنى ذلك ، أن نفوس إسرائيل خلال فترة وجيزة ستبلغ ضعف نفوسها الحالي ، وهذا يؤدي إلى مضاعفة جيشها ليحقق لها نياتها التوسعية على حساب البلاد العربية .

ومعنى ذلك أيضاً ، أنّ إنتاج إسرائيل الصناعي ـ خاصة العسكري منه ـ سيتضاعف أيضاً ، بعد إعمار مساحات شاسعة من (النقب) بتأمين المياه لها ، هذه

المياه الضرورية للمشاريع الزراعية والصناعية ومشاريع الإسكان الخاصة بإسرائيل .

وإذا علمنا أن في (النقب) كثيراً من معامل إسرائيل الحربية ، وعلى رأسها الفرن الذري في (ديمونا) بمنطقة (بئر السبع) في النقب، وأن تدفق المياه بغزارة إليها منذ عام ١٩٦٤ م كان عاملاً حاسماً من عوامل تسهيل مهمة هذه المعامل الإنتاجية وتسهيل مهمة القائمين عليها من إداريين وعمال وغيرهم.

إذا علمنا كلّ ذلك ، وأخذناه بنظر الإعتبار ، ظهر لنا بوضوح أهمية إصرار العرب على تنفيذ مشروع تحويل روافد نهر الأردن ، وإنجاز أعمال التحويل بأسرع وقت ممكن مهما تكن نتائج هذا التحويل عليهم .

إن إسرائيل تدرك تماماً أهمية مشروع تحويل روافد نهر الأردن لحرمانها من مياهه ، إذ أن تنفيذ العرب لهذا المشروع سيحطم كثيراً من خطط إسرائيل الصناعية والزراعية والتوسعية ومضاعفة سكانها .

لذلك فهي تبذل كل جهودها لتحول بين العرب وبين تنفيذ مشروعهم الحيوي ، إلى درجة أنها هددت بالحرب لكي تمنع العرب من تنفيذ هذا المشروع ، وقد قصفت فعلاً آلات التحويل السورية يوم ١٩٦٦/٧/١٤ م .

ومن المنتظر أن تقصف مناطق التحويل الأخرى .

والرد العربي الوحيد على قصف إسرائيل لمناطق تحويل روافد الأردن بما فيها من بشر وآلات ، هو قصف العرب لمنشآت إسرائيل الخاصة بنقل مياه الأردن إلى (النقب) .

وهذا سيعطي لإسرائيل درساً قاسياً ، يجعلهم يفكرون ألف مرة قبل الإقدام على التحرش بالمناطق العربية لتحويل روافد نهر الأردن .

ولو علمت إسرائيل أن العرب يكيلون لها بالصاع صاعين ، بل لو علمت أنهم يكيلون لها بالصاع صاعاً ، لوقفت عند حدها ، ولما تجرأت عن التهديد والوعيد .

ولكنها تعلم بأن العرب ، أصبحوا يحبون الحياة ويكرهون الموت ، على العكس من أجدادهم الذين كانوا يحبون الموت ويكرهون الحياة .

وأن لها الغُنم دائماً ، وعلى العرب يقع الغُرم .

مرة ثانية ، إن الرد الوحيد لتحرشات إسرائيل بمناطق تحويل روافد نهر الأردن العربية هو قصف منطقة ضخ المياه الإسرائيلية الى النقب وتدميرها تدميراً كاملاً .

ولست أشك أن العالم سيعطي الحق للعرب في تدمير المنشآت الإسرائيلية ، وسيكبر هذا العمل ، وسيكون

للدول العربية مكانة غير مكانتها اليوم بين الأمم .

وعلى العرب أن ينذروا علناً إسرائيل بذلك ، في مناقشات هيئة الامم المتحدة في الحالات المماثلة لاعتداءات إسرائيل المتكررة .

وإلا ّ فماذا أفادت الشكاوى العرب غير الذل والهوان ؟ [1]

---

(١) قدمت الأردن ومالي إلى مجلس الأمن مشروعاً للوم إسرائيل على اعتدائها يوم ١٩٦٦/٧/١٤ على سورية ، ولكن مجلس الأمن بعد مناقشات طويلة رفض يوم ١٩٦٦/٨/٣ لوم إسرائيل !!!

المـال

- ٦ -

المال هو عصب الحرب كما ذكرنا سابقـاً ، لأنّ كل عمل عسكري يحتاج الى المال الوفير .

إنّ منظمة تحرير فلسطين وجيش فلسطين وتحويـل مجرى نهر الأردن كلها تحتاج الى المال .

وقد اتفقت الدول العربية مشكورة على تقديم المـال اللازم من ميزانيّاتها لدعم قضية فلسطين ومنظمتها وجيشها وتحويل مجرى الأردن .

ولا بدّ أن تنفذ الدول العربية التزاماتها الماليـة نحو فلسطين بحضور مؤتمر القمة أو بغيـابه ، إذ لا علاقة لمؤتمر القمة بتلك الإلتزامات .

إن قضية فلسطين فوق التناقضات وفوق المهاترات ، وهي القضية التي لا يختلف عليها عربي واحد يضم بين جنبيه ذرة من الإخلاص .

وما دامت إسرائيل على قيد الحياة ، فلا بدّ للعرب من التضحية بالمال الكثير للقضاء في النهاية على إسرائيل . وقد رأينا أن من جملة أهداف الإستعمار في خلق إسرائيل ، هو تبديد أموال العرب باستمرار لتحقيق هدفهم المنشود .

إنّ منظمة تحرير فلسطين وجيش فلسطين وتحويل روافد الأردن في الوقت الحاضر ، ومشاريع كثيرة قد تظهر في المستقبل تخص فلسطين ، ليست وحدها تحتاج الى المال ، بل هناك كثير من الأمور تخص الدول العربية مجتمعة وتخص الدول العربية منفردة تحتاج هي أيضاً الى المال الوفير .

تقوية الجيوش العربية وزيادة عددها ، وإقامة المصانع الحربية ، وإنشاء المدارس والكليات العسكرية ، وتجهيز الجيوش وتسليحها ، وإنتاج السلاح الذري العربي رداً على تحديات إسرائيل الذرية ، كل ذلك يحتاج الى كثير من المال وكثير من التخطيط السليم وكثير من الجهود المنظمة .

وهذا كله يرهق ميزانيات الدول العربية ، في الوقت

الذي تعاني فيه هذه الدول ما تعاني من نفقات التصنيع والإنشاء والبناء .

هنا تبرز أهمية الدول العربية الصغيرة ذات المساحة القليلة والسكان القليلين والموارد الضخمة ، فعلى هذه الدول واجب مضاعف ، هو : التضحية بما يفيض عن حاجتها من مال ، وإمداد المنظمات الفلسطينية به ، وهذا واجب عليها إذا تحملته اليوم فسيكتب لها التاريخ أنصع الصفحات غداً .

إن القضايا العسكرية ، تحتاج الى نفقات باهظة ، فلا بدّ من تعاون الدول العربية على تحمل أعباء هذه النفقات .

عندما تزعزع موقف الجنيه الإسترليني في إنكلترا ، اتخذت الحكومة البريطانية في تموز (يوليو) عام ١٩٦٦ تدابير مالية لدعم مركز الجنيه ، وكان أول هذه التدابير تقليص نفقات جيوشها في الخارج .

ولبريطانيا جيش في ألمانيا الغربية هو من جملة قوات حلف الأطلسي ، فهددت بسحبه من ألمانيا الى بريطانيا إذا لم تشترك ألمانيا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية في نفقات هذا الجيش .

وما يقال عن بريطانيا ، يقال عن فرنسا ، إذ لم تكن تهديدات ديغول الخاصة بحلف الأطلسي ، وإقدامه

على سحب جيش فرنسا من ألمانيا الغربية ، إلا للتخفيف من نفقات تلك القوات .

وما يقال عن الحلف الأطلسي ، يقـــال عن حلف (وارسو) ، إذ عرضت رومانيا تجميد هذا الحلف ولو الى حين ، اقتصاداً بالنفقات .

وقد أذاعت محطات الإذاعة العالمية يوم ١٩٦٦/٧/٣١ ، أن الإتحاد السوفياتي يعاني من انخفاض نسبة الإنتاج الصناعي والزراعي ، لأنه خصص مبالغ جسيمة من ميزانيته لأغراض تطوير الصواريخ والأسلحة الذرية والأقمار الصناعية .

وليس أمام الإتحاد السوفياتي مسلك غير هذا المسلك : يقتطع اللقمة من فم شعبه ، ويحرمه المسكن والملبس والعيش الرغيد ، حتى لا يكون متأخراً عن الولايات المتحـــدة الامريكية في مجال الذرة والصواريخ والاقمار .

إن المعسكر الشرقي ، والمعسكر الغربي ، في سباق مذهل من أجل التسلح ، وفي سبيل ذلك تذهب ملايين الملايين .

وإذا كانت ميزانيات الدول الكبرى مثقـــلة بأفدح الاثقال من جرّاء نفقات التسلح ، فكيف لا تكون ميزانيات الدول العربية مثقـــلة من جرّاء نفقات التسلح دفاعاً عن حقها السليب ؟

وهنا يبرز سؤال منطقي معقول وهو : وماذا عن إسرائيل ؟

إن ميزانية إسرائيل مثقلة بنفقات التسلح ، ولكن يهوداً – كما هو معروف – مسيطرون على المال في العالم [1] .

كما أن ميزانية إسرائيل تغذى بوسائل شتى لا تعدّ ولا تحصى ، كلها مدروسة يسيطر عليها النظام الدقيق .

ولو ذهبنا نستقصي وسائل إسرائيل في جمع المال لدعم ميزانيتها ولتوفير نفقات التسلح ، لاستغرق الحديث عن ذلك وقتاً طويلاً وجهوداً قد تخرج هذا الكتاب عن نطاق هدفه المعلوم .

ولكنني أقتصر على ذكر مثالين فقط عن إسرائيل : الأول جديد قديم ، جديد لأنه يعيش اليوم ويعمل عمله تنظيماً وتخطيطاً ، وقديم لأنه موجود منذ أمد بعيد . والمثال الثاني ، قديم ، كان منذ عزمت إسرائيل على إقامة دولة لها في أرض فلسطين .

أما المثال الأول ، فهو المؤتمر اليهودي العالمي الذي عقد في مدينة (بروكسل) يوم ١٩٦٦/٧/٣١ واستمر عشرة أيام ، وحضره خمسمائة مندوب يمثلون خمسين دولة ، وكان وزير خارجية إسرائيل على رأس ممثلي دولته في هذا المؤتمر .

---

(١) أنظر التفاصيل في (١١٩ - ١٢٢) من هذا الكتاب .

وقد أوفدت رومانيا والمجر ويوغسلافيا ، وهي دول شيوعية ، ممثليها الى المؤتمر ، وكانت الدول الشيوعية من قبل تتحاشى حضور مثل هذه المؤتمرات[1] .

إن من أبرز أهداف هذا المؤتمر ، هو تأمين المال الوفير لدعم ميزانية إسرائيل ، وتسهيل مهمة تسليحها خاصة بالسلاح الذري .

وأهداف هذا المؤتمر كثيرة ، لعلّ منها دعم سياسة إسرائيل على نطاق عالمي من الدول الذي أرسلت ممثليها ليشهدوا هذا المؤتمر .

ولا تقتصر أهداف المؤتمر اليهودي ، على الدعم الرسمي للحكومات ، بل يتعدى الدعم إلى النطاق الشعبي أيضاً .

أما المثال الثاني ، فهو جباية المال من كل يهودي في العالم على مقدار دخله وقابلياته المالية بشكل منظم دقيق .

كل يهودي في العالم ، عليه أن يدفع مقداراً معلوماً من المال كل شهر ، لا يستطيع أن يتخلف عن دفعه لحظة من الوقت ولا يقدر أن ينقص من كميته فلساً واحداً ، وبإمكانه مضاعفة المبلغ تبرعاً وتطوعاً ، أما المال الواجب

---

(١) ظهر في اليوم الثاني من انعقاد المؤتمر على جدران محل إنعقاده الصليب المعقوف شعار النازي وشعارات أخرى معادية لليهودية .

عليه دفعه شهرياً فهو يتناسب مع دخله ومع إمكاناته المالية بحيث لا يرهقه ولا يكلفه من الأمر ما لا يطيق .

هذا التنظيم الدقيق في جباية الأموال بأسلوب منظم وبكميات معلومة ، جعل لميزانية إسرائيل رصيداً ثابتاً من المال ، ولكنه رصيد ضخم متين مكين لا يمكن أن تؤثر عليه الأزمات والأحداث في أي حال من الأحوال .

وقد كنا نلاحظ في مدينة بغداد مثلاً قبل عام ١٩٤٨ ، أن فقراء يهود موزعون على أصحاب المصالح من يهود ، وكل صاحب مصلحة يعرف الفقير اليهودي الذي يدفع له المال .

هؤلاء الفقراء يخرجون من دورهم صباح يوم الجمعة من كل أُسبوع ،ويتوجه كل فقير منهم الى منطقة معينة من الأسواق التي فيها أصحاب المصالح المخصصين له ، فيقف الواحد منهم على رأس صاحب المصلحة ، وبدون كلام يسلمه صاحب المصلحة المقدار المحدد له بالضبط من المال .

وهكذا ينتقل الفقراء من يهود ضمن مناطق (نفوذهم) لا يتجاوزونها ، وخلال ساعتين من صباح يوم الجمعة يكونون قد جمعوا ما يكفي لمعيشتهم خلال الأسبوع وأكثر ...

إن حاخام يهود هو الذي وزّع فقراءهم على أصحاب المصالح ، وبلّغ كل فقير بالأسواق التي يستطيع أن يتناول

من أصحابها الصدقات ، كما بلـّغ أصحاب المصالح بالفقراء الذين سيقصدونهم وبمقدار المال الواجب دفعه لهم .

بهذا التنظيم الدقيق ، وفـّر يهود على فقرائهم كثيراً من التعب ، إذ لا يتجولون في الأسبوع أكثر من ساعتين ، ووفـّر لهم المال الكافي لإعاشتهم وإعاشة من يعيلون .

إن التنظيم ضروري للتغلب على كثير من مشاكل الحياة ، فلا نجاح بدون تنظيم ، خاصة في القضايا الكبرى كقضية إنقاذ فلسطين .

إن النيات الطيبة موجودة عند العرب تجاه فلسطين ، فهي جزء لا يتجزأ من حياتهم ومن كيانهم ومن حاضرهم ومستقبلهم ، ولكن هذه النيات الطيبة تحتاج الى التنظيم الدقيق لتصبح عملاً ومالاً وسلاحاً في خدمة قضية فلسطين .

وقد رأينا آلاف الإجتماعات الحاشدة من أجل جمع المال لفلسطين ، فأقبل المتبرعون والمتبرعات لتقديم ما يستطيعون من مال ، ولكن كل تلك الاجتماعات لم تأت ثمرتها اليانعة ، إذ كانت كنار في الهشيم تلتهب بسرعة ثم تخبو بسرعة أيضاً ولا تترك وراءها غير الرماد .

تلك الإجتماعات جمعت كميات من المال ، وقدّم هذا المال إلى منظمات فلسطين ، ولكن ذلك ليس كافياً لأنه وقتي لا دائم ، والذي تحتاجه منظمات فلسطين هو إدامتها بالمال بشكل

منظم دائم معلوم ، لا أن يقدم إليها المال في شهر ثم تصوم شهوراً أخرى .

فما هي عبرة المثالين اللذين أوردتهما عن إسرائيل ؟

إن العرب يريدون من حكوماتهم أن تفعل كل شيء ، وهذا ليس إنصافاً ولا عدلاً ، بل يجب أن تعاون الشعوب حكوماتها في القضايا العامة ومنها قضية فلسطين .

إن عبء قضية فلسطين ثقيل ثقيل ، فإذا لم تعاون الشعوب العربية حكوماتها في تحمل قسط من هذا العبء الثقيل ، فإن الحكومات العربية ستنوء بحمله ، أو ستحمله وهي ليست قوية عليه .

لماذا لا يعقد العرب مؤتمرات عالمية على النطاق الشعبي وبإشراف الحكومات العربية ، يدعون إليها كل الشعوب التي تعطف أو يمكن أن تعطف على قضية فلسطين ؟

في هذه المؤتمرات ، يجمع المال لقضية فلسطين ، وتدعم سياسة الدول العربية على نطاق عالمي تجاه قضية فلسطين .

أما تنظيم جمع المال ، فلا بد من التفكير في تفاصيل طرق جمعه من العرب خاصة ، بحيث لا يفلت منهم إنسان واحد ، بل يؤدي كل عربي قسطه الشهري حسب طاقته المالية بدون تكليف ولا صعوبة .

قد يدفع الفقير من العرب فلساً واحـــداً في الشهر ، وقد يدفع غيره ديناراً واحداً في الشهر ، وقد يدفع الغني أكثر من ذلك . المهم أن يكون لفلسطين مورد ثابت ، يشارك فيه العرب فقيرهم وغنيهم دون تفريق .

وهذا التنظيم قد يكون من الشعب بإشراف الحكومة ، وقد يكون من الحكومة بمشاركة الشعب ، فذلك سيان .

والحكومـات تستطيع أن تفرض ضرائب معقولة على الموظفين وغيرهم بإسم فلسطين ، وكأمثلة على ذلك ، يمكن أن تتقاضى الدولة نصفاً بالمائة من راتب كل موظف ، وتضع فلساً واحداً على كل بطاقة سينما أو ملهى ، وتضع فلساً واحداً على كل قنينة من المـــبردات ... الخ ... وهذا يجمع مالاً عظيماً .

والمال الذي تجمعه الحكومات من الموظفين ومن الضرائب الأخرى بإسم فلسطين ، والمال الذي تجمعه لجان جمع المال لفلسطين من الشعوب العربية ، كلها ستخفف الضغط عن كاهل ميزانيات الدول العربيـــة أولاً ، وستؤمن مورداً ثابتاً مستداماً لمنظمات فلسطين ثانياً ، وستخرج قضية فلسطين (عملياً) من نطاق مسؤولية الحكومات العربية عنها الى نطاق مسؤولية الحكومات العربية والشعوب العربية عنها على حد سواء .

كما أن المـــال الذي يجمع بانتظام من الشعوب العربية خاصة ومن المسلمين عامة ، سيكون ضخماً بدرجة يضاعف من قوة منظمات فلسطين ورصانتها ، ولا يجعلهـا عرضة للهزات عند نشوب الاختلافات بين الدول العربية بين حين وآخر ، فيؤدي اختلاف تلك الدول الى حرمان منظمات فلسطين من مخصصاتها أو من بعض تلك المخصصات .

والحق أن الإمكانات العربية من الناحية المالية ، هي إمكانات ضخمة ، ولكن ينقصها التنظيم مع الأسف الشديد .

وقـد أصبح التنظيم الدقيق من أول الأسس التي تقوم عليها الدول الراقية ومن مبادىء أساليبها الحياتية .

فما أحرانا أن نتعلم النظام والتنظيم من الدول الأخرى لنستريح ونريح ، ولتبرز نتائج جهودنا متكاملة رصينة ، فإن من أعدى أعداء العرب في حـــاضرهم ومستقبلهم التسرّع والإرتجال .

سألني صديق حين كنت أدرس في الغرب : « ما هو الفرق بين الغرب وبلادنا ؟ » .

وأجبت الصديق : « الغرب نظام بلا خـــيرات ، وبلادنا خيرات بلا نظام » .

إن طاقات العرب المالية طاقات لا حدود لها ، وهذه

الطاقات هي التي جعلتها مطمح أنظار الغزاة منذ أقدم العصور .

وبعد اكتشاف البترول فيها أصبحت طاقاتها المالية لا تجارى .

ولكن التنظيم فيها متخلّف غاية التخلّف ، لذلك تذهب أكثر هذه الطاقات هدراً ، كما تذهب مياه دجلة والفرات الى البحر ، بينما ضفافه القريبة من مجراه تشكو الظمأ الشديد .

بعد ثورة الشهيد الشواف في أيام عبد الكريم قاسم ، جرى تنظيم جمع المال لتوزيعه على المعوزين من عوائل الشهداء والمسجونين والمعتقلين والذين لجأوا الى البلاد العربية المجاورة .

وكان هذا التنظيم على نطاق فردي ، وكان يعيش في خوف مقيم خشية انكشاف أمره لجواسيس قاسم ، الذي كان يعتبر مثل هذا العمل خيانة كبرى ، يستحق من يمارسه السجن والتشريد والتعذيب ... وحتى الإعدام .

ومع ذلك نجح هذا التنظيم الفردي في إعاشة عشرات العوائل بل مئات العوائل التي فقدت من يعيلها وكانت في عوز شديد .

لم يكن أحد غير الله يعرف كيف كان يمكن أن تعيش تلك العوائل لولا ذلك التنظيم الفردي البسيط .

إن نجاح أي تنظيم شعبي برعاية الدولة ومراقبتها لجمع المال بشكل دائمي منظم ، سيكتب له النجاح الأكيد .

وحينذاك سينهض العرب شعوباً بمعاونة حكوماتهم في أقدس قضية من قضايا العرب في القرن العشرين : قضية فلسطين .

ولعل هذا الإقتراح سيأخذ طريقه الى النور ، فيؤدي هذا الكتاب قسطاً ضئيلاً من واجبه نحو بلد الآباء والأجداد ، وأرض الرسالات والأنبياء : فلسطين .

إنه من العار ، أن تكون آلاف الملايين من الجنيهات للدول العربية في مصارف الغرب ، ومنظمات فلسطين تشكو الطوى[١] .

إنه من العار أن يبذل بعض العرب عشرات الألوف من الجنيهات خارج بلادهم على ما حرّم الله ، ثم يبخلون على منظمات فلسطين ببعض هذا المال .

إنه ليس من العرب من لا يهمه أمر العرب .

وإنه ليس مسلماً من لا يهمه أمر المسلمين .

والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه .

---

(١) الجوع .

التنسيق الاقتصادي

- ٧ -

بلاد العرب من المحيط الى الخليج ، وحدة اقتصادية متكاملة ، يكمل كل قطر من أقطارها نقص الأقطار الأخرى في ناحية من النواحي الاقتصادية .

والذي أُريد من تعبير : التنسيق الاقتصادي للدول العربية ، بالنسبة لقضية فلسطين ، هو :

أولاً : حرمان إسرائيل من موارد العرب الاقتصادية ، ومقاطعة إسرائيل مقاطعة إقتصادية حاسمة .

ثانياً : أن يكون لدى العرب الإكتفاء الذاتي من الناحية الاقتصادية ، لحرمان من وراء إسرائيل من تهديد العرب إقتصادياً .

ثالثاً : الإفادة من الاقتصاد العربي سلاحاً في حرب إسرائيل ومَن وراء إسرائيل إقتصادياً .

هذه الأهداف الثلاثة ، يمكن التعبير عنها من الناحية العسكرية بتعبير : الحرب الاقتصادية .

والحرب الاقتصادية ، هي أن يكون الاقتصاد سلاحاً لنا لا علينا ، وعلى أعدائنا لا معهم .

ولتحقيق ذلك لا بد من تخطيط دقيق يتولاه الخبراء الاقتصاديون الذين لا غبار على علمهم وإخلاصهم وماضيهم واستقامتهم بالتعاون مع جماعة من العسكريين .

إن التنسيق الاقتصادي العربي متخلّف جداً دون مبرر ، مما جعل من وراء إسرائيل من دول الاستعمار ينفذون من هذه الثغرة لمصاولة الدول العربية وإشهار الحرب الاقتصادية عليها .

بعض الدول العربية بحاجة الى القمح ـ مثلاً ـ لسد متطلبات سكانها فهي تستورد هذا القمح بأموالها من الولايات المتحدة .

ولكن الولايات المتحدة الأمريكية تجعل من هذا القمح سلاحاً ، تهدد به الدول العربية المحتاجة إليه .

ولو كان هناك تنسيقاً إقتصادياً بين الدول العربية ،

ومخططات عملية لتنفيذ هـذا التنسيق ، لاستطاع العرب حرمان الولايات المتحدة الأمريكية من هذا السلاح الرهيب .

إن في البلاد العربية إمكانات زراعية ضخمة ولكنها معطلة لا تفيد صديقاً ولا تضر عدواً .

والأمثلة على هذه الطاقات الزراعية المعطلة كثيرة .

العراق مثلاً ، سمّـــاه (هيرودوتس) أبو التاريخ : مستودع الحبوب في العالم .

وحين فتح العرب المسلمون العراق في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنـــه ، سموه : أرض السواد ، لأن الأرض المزروعة تبدو من بعيد سوداء ، وكانت الزروع فيـــه كثيفة ، وكانت حاصلاته من الحبوب وغيرها كالجبال .

وقد وصفه بعض الجغرافيين العرب القدمـــاء بقوله : « إذا تزوج موصلي من البصرة ، وأراد أهل الزوجـــة زيارتها ، فإنهم يسيرون من البصرة الى الموصل في ذهابهم ومن الموصل الى البصرة في عودتهم ، لا يصلهم مطر في أيام الشتاء ، ولا تصلهم الشمس في أيام الصيف لكثافة الأشجار وكثرة البساتين وغزارة الزروع » .

وفي العالم كله ثلاثون نهراً كبيراً ، منها نهران كبيران

في العراق وحده[1] ...!

ومع ذلك يستورد العراق القمح من الخارج .

لماذا لا تعود الى العراق سيرته الزراعية الأولى ، فيغنى أهله بالقمح وغيره من الخضروات والأثمار ، ويغنى العرب كلهم بذلك ، ويصدر الى العالم من ثمراته ، فتكون تلك الثمرات سلاحاً له وللعرب على أعدائه وأعدائهم ، ويحرم أعداء العرب من سلاح خطير ؟

وهل يعجز العرب في القرن العشرين ، عما فعله أجدادهم من إعمار العراق في القرن السابع ؟

إن الإستعمار الجديد يتستر وراء المعونات الاقتصادية ، ومن أشنع أسلحته سلاح الحصار الاقتصادي ، هذا الحصار الذي مارسه الإستعمار الجديد على قسم من الدول العربية ، لترضخ الى رغباته التي هي رغبات ربيبته إسرائيل .

والتخطيط السليم للاقتصاد العربي ، هو الهجوم المقابل على الاستعمار الجديد في معوناته الاقتصادية ، وعلى أساليب الضغط التي يمارسها بفرض الحصار الاقتصادي أو التهديد به .

---

(١) هذا بالإضافة إلى أنهره الأخرى الكثيرة : الخازر ، والزاب الصغير ، والزاب الكبير وديالى وأنهر شط العرب . واليوم مدينة الحضر التاريخية في صحراء قاحلة ، بينما يذكر عنها ياقوت الحموي في معجم البلدان : أنها كانت على نهر تمخر فيه السفن .... وهو النهروان ، فأين هو النهروان اليوم ؟!!

وتعاون العرب بما لديهم من خبراء وكفايات ، هو السبيل الوحيد لتنفيذ التخطيط السليم . وإلا فلا فائدة من تخطيط سليم ، بدون تنفيذ سليم .

هذا التنسيق الإقتصادي بالنسبة لقضية فلسطين ، يجعل المبادأة الإقتصادية بيـــد العرب على إسرائيل ومن وراء إسرائيل من دول الإستعمار القديم والحديث .

وهذا التنسيق الإقتصادي بالنسبة لقضية فلسطين ، له ثلاثة أهداف حيوية كما ذكرنا .

فكيف يستطيع العرب تحقيق تلك الأهداف ؟

أولاً : حرمان إسرائيل من موارد العرب الاقتصادية ، ومقاطعة إسرائيل مقاطعة إقتصادية حاسمة .

إنه ما من عربي ولا مسلم مؤمن بعقيدته مخلص لبلاده ، يمكن أن يتعامل مع إسرائيل أو مع عمـــلاء إسرائيل بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة .

وما من عربي ولا مسلم ، يعلم ثم يتستر على من يتعامل مع إسرائيل أو عملاء إسرائيل بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة .

والذين يعاملون إسرائيل أو عمـلاء إسرائيل يجب أن يحاكموا متهمين بالخيانة العظمى ويحكم عليهم بالموت .

ذلك لأن كل درهم تربحه إسرائيل من العرب أو المسلمين ، تجعل منه رصاصة تصيب قلب عربي أو مسلم ، أو تجعل منه قنبلة تصيب مدينة عربية أو إسلامية فتدمّرها وتدمّر من فيها من السكان .

وعلى العرب أن يتأكدوا من أن بترول بلادهم لا يصل إلى إسرائيل بوساطة شركات البترول البريطانية أو الأمريكية أو الفرنسية التي تستثمر بترول البلاد العربية .

وعلى مكتب مقاطعة إسرائيل العربي ، أن يزيد من يقظته وانتباهه ، فيفضح كل باخرة لها علاقة بإسرائيل ، وكل شركة لها علاقة بإسرائيل ، وكل بضاعة تصدّر من إسرائيل أو من بلاد أُخرى وهي تعود الى إسرائيل ، ثم يضع هذا المكتب كل أولئك في قوائم سوداء ينشرها في البلاد العربية كلها ليتجنب العرب معاملتها ويدأبوا على مقاطعتها .

الخزي والعار لكل من يتعامل مع إسرائيل وعملائها من العرب والمسلمين .

والخزي والعار لكل من يتستر على من يتعامل مع إسرائيل وعملائها من العرب والمسلمين .

عثرت دورية عراقية في ليلة من ليالي شتاء عام ١٩٤٨ على قطيع من الغنم في المنطقة الواقعة شمال غربي (جنين) ، يحاول صاحبه — وهو عربي — أن يجتاز به الحدود بين

العرب وإسرائيل .

وعادت الدورية العراقية بالقطيع وصاحبه ، فأعدم صاحبه وبيع القطيع ووُزّع ثمنه على اللاجئين الذين كانوا يقطنون مدينة (جنين) .

فإذا كان هناك من يحاول التعامل مع إسرائيل في أيام الحرب ، فلا بد أن يكون هناك من يحاول التعامل معها في أيام السلام .

إن إسرائيل لكي تجعل مقاطعة العرب الاقتصادية لها غير ذات فائدة للعرب ولا ذات ضرر على إسرائيل ، استطاعت أن تنشىء المعامل بأموالها في دول كثيرة وتصدرها من تلك البلاد الى البلاد العربية .

وإسرائيل قد اشترت كثيراً من البواخر وسجلتها باسم عملائها في بعض الأقطار الأوروبية أو الأمريكية ، وهذه البواخر تروح وتغدو باسم تلك الأقطار لا باسم إسرائيل .

إن العرب مدعوون الى اليقظة والحذر الشديدين .

ومكتب مقاطعة إسرائيل ، وهو مكتب ثمين لا بد من شدّ أزره ودعمه مادياً ومعنوياً ، مدعو هو أيضاً الى الحذر واليقظة الشديدين .

بل إن كل عربي وكل مسلم مدعو أن يعاون الحكومات العربية في كشف من يعامل إسرائيل وعملاءها اقتصادياً ،

وألاّ يبتاع بضاعة إسرائيلية حتى ولو كانت حياته على ابتياعها .

إن تشديد المقاطعة الاقتصادية على إسرائيل ، سيلحق أبلغ الضرر بمستقبلها الاقتصادي ، وهذا ما تخشاه إسرائيل وتحاول التخلص منه بشتى الوسائل والأحابيل .

ثانياً : أن يكون لدى العرب الإكتفاء الذاتي من الناحية الاقتصادية ، لحرمان من وراء إسرائيل من تهديد العرب إقتصادياً .

لا يمكن تحقيق هذا الهدف بدون تخطيط دقيق يستند على إحصاءات دقيقة : إمكانات العرب الاقتصادية ، وكيفية استثمار الزراعة والصناعة والمنابع الطبيعية في البلاد العربية ، وماذا يستورد كل قطر عربي من الأقطار العربية الأخرى ...

لماذا لا تستثمر أرض العراق استثماراً يناسب خصبها ويناسب القرن العشرين ، لتغمر حاصلاتها من الحبوب الأقطار العربية ، فتخلّص تلك الأقطار من ضغوط الاستعمار الحديث تحت ستار المساعدات الاقتصادية ؟

لماذا لا تشكل شركات عربية لاستثمار بترول المناطق غير المستثمرة ؟

لماذا لا يستثمر الكبريت المتيسر في البلاد العربية ؟

لماذا لا يستثمر الحديد واليورانيوم وغيرها من المعادن المتيسرة في البلاد العربية ؟

ولمـــاذا يستورد قطر عربي الأقمشة القطنية مثلاً إذا كانت هذة الأقمشة متيسرة في قطر عربي آخر ؟

ولماذا لا نقيم سوقاً عربية مشتركة تجمع شمل الاقتصاد العربي ؟

إن الإستعمار الاقتصادي ، هو من أخطر أنواع الاستعمار ، وسيبقى العرب مهددين بهذا الاستعمار البغيض ما لم يكتفوا ذاتياً بمواردهم العربية . لتكون المبادأة الاقتصادية بأيديهم سلاحاً لهم ، ولا تبقى المبادأة الاقتصادية بأيدي اسرائيل ومن وراء إسرائيل سلاحاً على العرب .

ثالثاً : الإفادة من الاقتصاد العربي سلاحـــاً في حرب إسرائيل ومن وراء إسرائيل إقتصادياً .

إن هذا السلاح موجود عند العرب بكل ما في الكلمة من معنى ، ولكن السلاح وحده لا يكفي ، إذا لم يكن هناك يد قوية تحسن استعماله .

أذاعت محطة لندن مساء يوم ١٩٦٦/٧/٣١ : « أن سبعين بالمائة من البترول الذي استوردتـه بريطانيا خلال الفترة من ١٩٦٦/١/١ لغاية ١٩٦٦/٦/٣٠ ـ أي خلال النصف الأول من العام الحالي ـ هو بـترول عربي . وأن أرباح

بريطانيا خلال هذه الفترة من البترول العربي هي (١٩٠) مليون جنيه استرليني .

هذا هو مقدار ما استوردته بريطانيا وحدها ومقدار ما ربحته من بترول العرب ، فما مقدار ما استوردته أوربا الغربية وهي تعتمد كلياً على بترول العرب وما مقدار ما استوردته الدول الأخرى ، وكم ربحته من هذا البترول ؟

إن البترول هو سلاحنا الفتاك الذي لم نستعمله حتى اليوم ، وما أصدق المتنبي إذ يقول :

إنَّ السلاح جميع الناس تحمله
وليس كلّ ذوات المخلب السبع

قال وزير دفاع أمريكي سابق : « إذا لم تكن مستودعات نفط الشرق الأوسط في متناول يدنا ، فلا مشروع مارشال يمكنه أن ينجح ، ولا نحن يمكننا أن نقوم بأية حرب ولا أن نحتفظ حتى بمستوى اقتصادنا في السلم » [١] .

وجاء في مذكرات أنتوني إيدن رئيس وزراء بريطانيا الأسبق : « قلت لخروشوف : إنني أعتقد أنه يجب عليّ

---

(١) من مذكرات فورستول وزير الدفاع الأمريكي .

أن أكون صريحاً حتى الفظاظة فيما يتعلق بالنفط ، لأننا سنقاتل من أجله » . وقال : « نحن لا نستطيع العيش بدون نفط ، ولن نسمح لأحدٍ أن يميتنا خنقاً »[1] .

وقال جورج كليمنصو رئيس الحكومة الفرنسية في الحرب العالمية الأولى « إنّ كلّ نقطة من النفط تعادل في أهميتها وقيمتها نقطة من الدم البشري الثمين »[2] .

ونشرت جريدة (ساندي اكسبريس[3]) معلقة على أزمة الكويت والعراق فقالت : « إن مستقبل البريطانيين كلهم متوقف على الكويت ... فبدون نفط الكويت تتوقف سيارتان من كل ثلاث سيارات تكون هذا الصباح في طريقها الى الشواطىء .

« والمعامل تتعطل ، والطائرات تلتصق بالأرض ، والسفن الحربية والتجارية توثق الى جانب الأرصفة البحرية .

« وإذا اقتضى الأمر الاستغناء عن هذا النفط بنفط دولاري من الولايات المتحدة أو فنزويلا ، فإن بريطانيا لا تتعرض فقط الى نزيف رهيب في ميزان مدفوعاتها ، بل إنها الى جانب ذلك تفقد استقلالها .

---

(١) مذكرات إيدن .
(٢) أنظر : هكذا ضاعت (١٦٢) .
(٣) في عددها الصادر بتاريخ ١٩٦١/٧/٢ .

« فبدون مورد مضمون من النفط خـاص ببريطانيا ، فإن مقدرة بريطانيا على الحياة ، اقتصادياً وحربياً ، تعتمد عندئذ على حسن نية الحكومات البريطانية .

« هذه هي أهمية الكويت ، وهـذا يفسّر لماذا لا تكون أية ضربة تضرب بها هذه البلاد (ويقصد بريطانيا) أشد فتكاً من اقتطاع تلك الدولة الصغيرة [١] » .

إن العرب يسيطرون على أربعة أخماس النفط المخزون في العالم كله ، فالعالم العربي يطفو على بحـيرات من النفط لم يعرف مداها حتى الآن ، وهي بحيرات جعلت من بلاد العرب أعظم مستودع طبيعي للنفط في الدنيـا . وهناك بحيرات أُخرى لم تكتشف بعـد ، فإذا اكتشفت زاد المخزون الذي يسيطر عليه العرب [٢] .

ولنفرض أن الذرة استطاعت في يوم من الأيام منافسة النفط أو الحلول محله مصدراً رئيساً من مصادر الطاقـة ، فإن هذا لن يضعضع مركز النفط في صرح الحضارة العالمية ، لأن النفط ليس طاقة فقط ولكنه إلى جانب ذلك مصدر من أغنى المصادر التي تقوم عليها الصناعة البتروكيمية [٣] .

---

(١) أنظر هكذا ضاعت (١٧٥) .
(٢) » » » (١٦٥) .
(٣) » » » (١٦٤) .

وإذا توقف النفط اليـــوم توقفت الأساطيل الحربية والتجارية في البحار ، وتوقفت الأساطيل الجوية في السماء ، وتوقفت القاطرات والسيارات والدراجات البخارية والمعامل ومولدات الكهرباء والمدافىء النفطية ... الخ .

لذلك يمكن القول : إن الحضارة هي النفط ، والنفط هو الحضارة ، وإنه بدون هـــذا النفط لا يبقى هناك حضارة بالشكل الذي هي عليه الآن .

إن في بلاد العرب من مصادر الثروة الطبيعية ما يعادل في غناه جميـع مصادر الثروة الطبيعية في أوربا كلها .

وفي بلاد العرب أغزر مصدر للنفط في العالم .

وعندما نسفت أنابيب النفط في سورية بسبب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ على الجمهورية العربية المتحدة ، تأثر من ذلك اقتصاد أوربا الغربيـــة وأمنها ، كما تأثر من ذلك بصورة غير مباشرة اقتصاد المعسكر الغربي وأمنه قاطبة [١] .

ولو استعملنا النفط وسيلة للضغط على من وراء إسرائيل لتبدل الحال غير الحال .

ولو لوّحنا بهذا السلاح الرهيب عام ١٩٤٨ ، لتراجـع

---

(١) What Price Israel 326 .

المستعمرون وحلفاؤهم خائفين مذعورين .

بدون نفط العرب تتضعضع الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، وتختنق بريطانيا ، وتشل الحركة في أقطار أوربا شللاً يودي بها الى الموت .

ولكن هل النفط وحدههوالسلاح الفتّاك الذي بيد العرب؟

إن بلاد العرب هي حلقة الوصل بين القارات الثلاث : آسيا وأوربا وإفريقية .

وبلاد العرب تحتل أعظم موقع سوقي (استراتيجي) في العالم كله .

إن في بلاد العرب الممرات البرية والبحرية والجوية ، والمراكز السوقية الممتازة التي يستطيع أصحابها أن يتحكموا في قارات ثلاث .

عندنا قناة السويس ، شريان الاتصال بين الشرق والغرب .

وعندنا المطارات ...

إن النفط والممرات السوقية في بلاد العرب هي أمضى أسلحتهم التي يمكن بها – إذا صدقوا ما عاهدوا الله عليه – أن يجبروا من وراء إسرائيل أن يتخلوا عن إسرائيل الى الأبد .

إن السياسة هي (مصالح) ، فإذا تهددت المصالح فلا يمكن للعاطفة أن تثبت وجودها .

يجب أن يقول العرب لمن وراء إسرائيل كلمتهم الحاسمة : « إذا أردتم أن تكونوا مع إسرائيل ، فلا نفط لكم عندنا ولا ممرات جوية وبحرية وبرية » .

ثم نردف القول بالعمل ...

وسنرى كيف ينجلي السِّحْرُ وتلقف أسلحة العرب ما يأفكون .

أليس من المحزن المؤسف أن يستخدم الاستعمار خيراتنا سلاحاً له يهددنا به آناء الليل وأطراف النهار ؟

في لبنان مثلاً مصفيان للبترول كلاهما لشركات النفط الأجنبية وبإمكان هذه الشركات أن تقطع النفط عن لبنان ، فلماذا لا يكون للحكومة مصفى للبترول يمد لبنان بالنفط دون التقيد بأسعار نفط الشركات المفروضة ولا بشروطها .

وهذا مثال واحد عن بلد عربي ، يُستعمل النفط العربي سلاحاً عليه ، وكان يجب أن يكون هذا السلاح له لا عليه .

والإنهزاميون الإمّعات الذين يزعمون أن قطع النفط عن الغرب سيلحق أضراراً فادحة بالاقتصاد الوطني ، يجب أن تخرس الحقائق ألسنتهم وتسكتهم إلى الأبد .

إن العرب المخلصين المؤمنين بحق أُمتهم في الحيـــاة ، يستطيعون أن يتحملوا أقسى الظروف والأحوال من أجل مُثُلِهم العليا .

وصبر ساعة بعز وشرف ، خير من رفاه ألف ساعـة بذل وخنوع .

وأي ذل وخنوع أشد على النفوس من وجود إسرائيل في الوطن العربي ؟

إن الذين يفكرون بجيوبهم وبطونهم وفروجهم من العرب يجب ألاّ ينتسبوا للعرب أُمة الشرف الرفيـع والمجد الأصيل .. أُمة لغـة القرآن الكريم ، وكفى بذلك مجداً وفخاراً .

إن العرب لا يستعيدون مجدهم وحقوقهم بأمثال هؤلاء ، بل يستيعدون مجدهم وحقوقهم بالعرب المؤمنين حقاً الصابرين المحتسبين الذين ينسون أنفسهم وأهليهم ومـالهم في سبيل عقيدتهم ومثلهم العليا .

ومتى باع العربي الأصيل مثله العليا بالمال ؟

إن السلاح الاقتصادي سلاح رهيب ، وبالتخطيط السليم والتنسيق السليم والتنفيذ الحازم ، يكون هذا السلاح لنـا لا علينا .

وهو حتى اليوم علينا لا لنا .

فلينظرِ العرب ماذا يفعلون ...!

التنسيق الصناعي

- ٨ -

التنسيق الصناعي يعاون على الإكتفاء الذاتي للعرب بما تنتجه بلادهم ، ويحرم الإستعمار الحديث من سلاح الضغط الاقتصادي .

والتنسيق الصناعي ، هو جزء من التنسيق الاقتصادي ، وإنما أوردناه هنا منفرداً لنركّز على الناحية العسكرية منه ، إبرازاً لأهميتها ، وإظهاراً لتأثيرها الحاسم على حاضر ومستقبل الجيوش العربية عمادنا في إنقاذ فلسطين .

لقد ذكرنا سابقاً ، أن الجيش الذي لا يكتفي ذاتياً بما يصنعه في معامله الخاصة من سلاح وعتاد وتجهيزات ، لا يستطيع أن يصمد طويلاً في الحرب . وبمعنى آخر ، أنه لا يستطيع أن يخوض غمار حرب طويلة ، لأن الحرب تأكل السلاح ، فإذا نفد سلاح جيش ، فبماذا يقاتل ؟

وإذا نفد عتاد جيش فبماذا يقاتل أيضاً .

وما يقال عن السلاح والعتاد ، يقال عن التجهيزات العسكرية : تجهيزات العسكريين ، وتجهيزات نقليتهم ، ونقليتهم بالذات أيضاً ، والمواد السلكية واللاسلكية ، والمواد الاحتياطية للعجلات والطائرات والبواخر وكل وسائط النقل البرية والبحرية والجوية ...

إن التسليح والتجهيز لهما أثر كبير على الناحيتين المادية والمعنوية للجيوش ، إذ أن التسليح الجيد بالإضافة الى كونه قوة مادية للجيش ، فهو بالوقت نفسه يزيد من معنويات ذلك الجيش ، لأنه لا معنويات لجيش لا يثق بسلاحه ولا يعتمد عليه .

وما يقال عن التسليح الجيد ، يقال عن التجهيز الجيد أيضاً ...

وليس سراً ، أن بعض البلاد العربية سلكت الطريق السليم في محاولة انتاج ما يحتاج اليه جيشها من تسليح وتجهيز في بلادها ، وهي في طريقها الى الإكتفاء الذاتي بما تنتجه محلياً .

هذه المحاولة لجيش عربي ، أو لجيوش عربية ، محاولة صائبة تستحق كل تقدير وتشجيع .

ولعلّ حرب فلسطين عام ١٩٤٨ م بالذات ، أعطت درساً لا ينسى أبداً للجيوش العربية ، وهو الإعتماد على نفسها بالدرجة الأولى وقبل كل شيء في تسليحها وتجهيزها وإدامتها بالسلاح والعتاد والتجهيزات .

إن استيراد السلاح والعتاد والتجهيزات من الخارج ، له محاذير كثيرة يعرفها العسكريون ؛ وقد لا تغيب عن المدنيين أيضاً .

ومن أهم هذه المحاذير ، أن سياسة الدول تتبدل من حين الى آخر ، خضوعاً لمصالحها أولاً ولتيارات خارجية قد لا تكون في الحسبان .

فإذا كانت الدولة أو الدول التي تستورد منها السلاح والعتاد والتجهيزات اليوم معك ، فقد تكون غداً مع عدوك كما حدث ذلك فعلاً .

كما أن ظروف الحرب ظروف متغيرة متبدلة ، فقد تكون الطرق التي تمر بها ما تستورده من سلاح وعتاد وتجهيزات مفتوحة اليوم ، وقد تكون مقفلة غداً .

وقد تمنع الدول الذي يمر بها الطريق أو الطرق التي تمر بها ما تستورده من سلاح وعتاد وتجهيزات مرور كل ذلك عبر بلادها إرضاء لعدوك أو تطبيقاً لمبادىء القانون الدولي في الحياد أو لأسباب أُخرى .

تلك أمثلة قليلة عما يمكن أن يحـــدث في الحرب ، وحينذاك يبقى الجيش الذي يعتمد على استيراد ما يحتاج اليه من سلاح وعتاد وتجهيزات من الخارج مهدّداً بالإستسلام لنفاد سلاحه وعتاده وتجهيزاته .

وحتى في أيام السلام ، يعاني الجيش ما يعاني من اعتماده على الاستيراد الخارجي في التسليح والتجهيز .

المصالح لهـــا أثر على استيراد السلاح والتجهيزات ، والتيارات السياسية لها أثر أيضاً ... الخ .

وقد كانت الدول العربية تستورد السلاح والتجهيزات من الغرب قبل عام ١٩٤٨ م ، فكانت العراقيـــل التي توضع أمامها أقل بكثير مما أصبحت الدول الغربية تضعه أمام العرب من عراقيل بعد مولد اسرائيل عام ١٩٤٨ .

وقد ذكرت بعض ما كانت الدول الإستعمارية تضعه أمام العرب من عراقيل وما تظهره من مماحكات [1] قبل عـــام ١٩٤٨ م لعرقلة استيراد العرب للسلاح والتجهيزات ، وقـــد تضاعفت بالطبع تلك العراقيل والمماحكات بعد عام ١٩٤٨م ، فظهرت الى الوجود قصة توازن القوى بين العرب واسرائيل ، وقصة شروط الإستعمار بعدم استعمال السلاح والعتاد في غـير

---

(١) أنظر (٣٣ - ٣٥) من هذا الكتاب .

الأغراض الدفاعية عن الكيان ، وعدم استعمال السلاح والعتاد لأغراض هجومية على اسرائيل !!

واذا كان العرب يبذلون من مال وجهد ودموع لاستيراد الأسلحة والعتاد ، ثم لا يستعملونه ضد إسرائيل ، فضد من ترى يستعملونه ؟

وأقولها عن تجربة ، إنّ الدول العربيـــة التي كانت تستورد سلاحهـــا من الغرب قبل عام ١٩٤٨ م ، كانت تحتاج الى صبر أيوب عليه السلام لتستلم كميات محدودة من السلاح والعتاد والتجهيزات بأثمان غالية وأسعار خيالية .

أما الدول العربية التي كانت تستورد السلاح من الغرب بعد عام ١٩٤٨ م ، فكانت تحتاج الى صبر أيوب ، وذلّ الأيتام في مأدبة اللئام لتستلم كميات محـــدودة من السلاح والعتاد والتجهيزات مقابل ثمن لا بموجب مساعدات ...!

وهذا القول لا غبار عليه حتى كُسر احتكار السلاح ، وبدأ العرب يستوردون سلاحهم من الشرق ، فحينذاك فقط أخذت عروض الغرب تصل الى العرب في محـــاولة إبعادهم عن الشرق وإعادتهم الى الطوق الذي كانوا فيه من قبل والخاص باحتكار السلاح .

وعلى كلٍ ، فإن قرار كسر احتكار السلاح ، كان قراراً صائباً وفي محله تماماً ومفيداً للعرب غـاية الفائدة .

ولكن كسر احتكار السلاح ، على الرغم من أنه سهّل على العرب أمر استيراد السلاح بالكميات التي يريدونها في الوقت الذي يريدونه ، من الأنواع التي يريدونها ، ولكنه مع ذلك علاج وقتي ليس إلاّ .

أما العلاج الجذري لمشكلة تسليح وتجهيز العرب – خاصة في ظروف وجود إسرائيل – فهو انتاج السلاح العربي بالمعامل العربية وبالسواعد العربية .

إنّ السلاح والتجهيزات المستوردة تكون غالية التكاليف بالنسبة لتكاليفها اذا أُنتجت محلياً .

والدول التي تصدّر السلاح والتجهيزات ، تستأثر بالجيد منها ، اذ لا يمكن أن تؤثر بالأنواع الممتازة منها غير جيشها الوطني .

كما أن السلاح والتجهيزات التي تستورد ، تكون – اعتيادياً – من الأنواع المعروفة ، أما الأسلحة السرية أو المخترعات الجديدة ، فلا تعرض في الأسواق حتى لا ينكشف أمرها .

ولو ذهبنا نستقصي ونعدّد محاذير استيراد السلاح والتجهيزات من الخارج ، لطال بنا المقال وتشعب ، هذا بالإضافة الى المحاذير التي سبق ذكرها في أيام السلام والحرب معاً عن استيراد السلاح والتجهيزات .

وما دامت قسم من الدول العربية قد خطت خطوات

موفقة لإنتاج السلاح والتجهيزات محليـــاً ، فلا بدّ من تنسيق الصناعة الحربية بين الدول العربية لتؤتي هـــذه الصناعات أُكلها مرتين .

يهدف هذا التنسيق الى عدم إقامة معامل متشابهة تنتج سلاحاً أو عتاداً متشابهاً دون جدوى .

فإذا كان هناك مصنعاً ينتج سلاحاً خفيفاً ما ، وكان بإمكان هذا المعمل تسليح الجيوش العربية بهذا السلاح ، فليس من الإقتصاد أن يتكرر مثل هذا المعمل في بلد عربي آخر ، بل يمكن إنشاء معمل ينتج سلاحاً آخر ، فيتم للعرب انتاج سلاحين بدلاً عن سلاح واحد .

كما أن توسيع معمل ما ، أقل نفقات من انشاء معمل جديد ؛ فإذا كان معمل من المعامل عاجزاً عن تأمـين احتياجات الدول العربية من سلاح ما ، فبالإمكان العمل على توسيعه بدلاً عن انشاء معمل جديد .

وهذا التنسيق يهدف أيضاً ، الى زيادة التعاون بين البلاد العربية من ناحية التسليح والتجهيز ، فيكون معروفاً ما هي متطلبات الدول العربية من السلاح والتجهيزات ، ومن أين تؤمّن تلك المتطلبات .

ويهدف هذا التنسيق الى عمـــل مخطط دقيق لإنشاء المعامل الحربية ، بحيث تؤمن في المـدى البعيد وبمراحل

كل حاجات العرب من السلاح والتجهيزات . اذ لا يمكن انشاء المعامل الحربية بين ليلة وضحاها ، نظراً لما تحتاجه تلك المعامل من نفقات ضخمة وجهود جبارة وخبرة طويلة .

ويهدف هذا التنسيق الى الإفادة من المعامل الحربية للأغراض غير العسكرية ، والإفادة من المعامل غير الحربية للأغراض الحربية .

مثلاً ، المعامل الحربية التي تنتج التجهيزات اللاسلكية كالمرسلات والآخذات لصنف المخابرة (سلاح الإشارة) ، يمكن أن تنتج المذياعات [1] من الأنواع التي تعمل على التيار الكهربائي ومن الأنواع التي تعمل بالنضائد [2] . وهذا المعمل كما يسد حاجات الجيش للأجهزة اللاسلكية في أيام الحرب ، يسد حاجات المدنيين الى المذياعات ونحوها في أيام السلام .

ومعامل العجلات التي تنتج السيارات المختلفة ، يمكن تحويرها وجعلها معامل تنتج المدرعات والدبابات وسيارات النقل العسكري [3] ... الخ .

---

(١) الراديوات : جمع راديو . (٢) البطاريات : جمع بطارية .

(٣) معامل سيارات همبر في بريطانيا أنتجت مدرعات همبر في الحرب ، وكذلك معامل سيارات دملر أنتجت مدرعات دملر . وحورت معامل ألمانيا المدنية إلى معامل حربية في أيام الحرب كما هو معروف ، وما يقال عن ألمانيا يقال عن كل الدول التي خاضت غمار الحرب العالمية الثانية .

وكل ذلك يحتاج الى تنسيق وتخطيط للمـدى القريب والبعيـــد .

ويهدف التنسيق الى توزيـع المعامل على البلاد العربية ، واختيار المواضع اللازمة لها . إن المعامل المدنية يسيطر عليها العامـــل الإقتصادي الذي يحبذ أن يكون المعمل قريباً من المواد الخام ، قريباً من وسائط النقل في منطقة مأهولة تساعد على بيـع الإنتاج وتصريفه ... الخ .

العامل الإقتصادي أولاً بالنسبة للمعامل المدنية ، وعامل الأمن أولاً بالنسبة للمعامل الحربية .

المعمل الحربي يجب أن يكون في موضع أمـين بعيداً عن متناول العدو ، بعيداً عن تأثير نيرانه ، خاصة تأثير القصف الجوي .

بل يجب أن يدخل في الحساب - بالنسبة للمعامـــل المهمة – كمعامل الطائرات مثلاً ، خطر القصف بالقنابـل الذرية أو الهيدروجينية .

ومن الطبيعي أن المعمل الحربي الذي ينفق عليه ملايين الجنيهات ، يجب ألا يكون تحت رحمة العدو .

وما يقال عن المعامل الحربية ، يقال عن المستودعات الحربية أيضاً ، إذ يجب أن تكون في مواضع أمينة وألا تكون عرضة للضياع .

تلك هي بعض أهـداف التنسيق الصناعي الحربي من الناحية العسكرية ، التي تنقذ العرب من محاذير استيراد السلاح والتجهيزات من الشرق أو الغرب .

وقد كنت في الجيش ، وشاركت في السياسة أيضاً ، وعرفت بما لا مجال للشك فيه ، أنه لا سلاح ولا تجهيزات بدون شروط .

والتفاضل بين الشرق والغرب هو في نوع الشروط فقط . وربَّ تلميح أبلغ من تصريح ....

بقي عليّ أن أُنبّه الى أن المعامل الحربية : مواضعها ، عددها ، ما تنتجه من أنواع الأسلحة أو العتاد ، طاقاتها الإنتاجية ، عدد عمالها ، تطويرها ، مشاكلها ... الخ .. كل ذلك يعتبر قمة في السرية ، لا يجوز أن يبوح بهـا أحد ، ولا يتكلم عنها إنسان تلميحاً أو تصريحاً .

إن العدو يحرص غاية الحرص على الحصول على المعلومات عن المعامل الحربية ، وعدم كتمان ذلك عن العدو ، وحتى عن الصديق ، يلحق أفدح الضرر بالأمن الوطني .

وقد حرصت على ذكر ذلك ، لأنني قرأت في يوم ما مقالاً في صحيفة عربية ، فيه معلومات مذهلة عن معمل حربي عربي : مكانه ، وما ينتجه من سلاح ، وطاقاتـه الإنتاجية ، وعدد عماله ، وخطط تطويره ... الخ .

ويومها صعقت من هـــذا المقال ، فالعدو يترصد كل كلمة نقولها ، وله عيون وأرصاد لا تنام .

وقد راجعت المسؤولين في تلك الدولة العربية عن ذلك ، فصعقوا هم أيضاً بعد أن بسطت لهم محاذير مثل هذا الكلام .

حتى إذا كان نشر مثل تلك المعلومات مبالغاً فيـه لغرض الدعاية وتقوية معنوياتنا من جهة ، وتحطيم معنويات العدو من جهة أُخرى .

إن مثل هذه المحاولات ، يفيد منها العدو أيضاً ، لأنه يذهب بها الى مَن وراءه من دول الاستعمار القديم والحديث ، ويأخذ عوضها أسلحة وعتاداً ومعونات أُخرى بحجة توازن القوى بين الطرفين ، تلك الحجة التي أصبحت مثل قميص عثمان : تبرزه اسرائيل ، وتبرزه مَن وراء اسرائيل لتبرير تزويد اسرائيل بالسلاح والعتاد ...!

إنّ الدعاية لمعامل السلاح وللسلاح والعتاد ، له ميدان واحد لا ثاني له : هو ميدان القتال .

فلمصلحة من نعين العدو على أنفسنا ؟

والى متى نبقى في تسيّب وفي حـــالة من اللامسئولية بغير حدود ؟

التنسيق الإعلامي

- ٩ -

إن اسرائيل بأجهزة إعلامها الضخمة قد فضحت العرب ونشرتهم على الحبال .

ذلك هو الواقع المرير ، وكل قول يخالفه هو تخدير للعرب وبضاعة مُزْجَاة [١] للاستهلاك المحلي فحسب .

وقد ذكرنا عن أجهزة إعلام إسرائيل لمحات فيها الكفاية [٢] ، والمهم هنا أن نذكر لمحات عن : تنسيق أجهزة الإعلام العربي .

---

(١) المُزْجَى : الشيء القليل وهي مُزْجَاةٌ ، وفي التنزيل العزيز : (وجئنا ببضاعة مزجاة) : أي رديئة مردودة .

(٢) أنظر (٤٩ - ٥٠) من هذا الكتاب .

ومن الإنصاف أن نذكر ، أن أجهزة الإعلام العربية تطورت تطوراً سريعاً بعد عام ١٩٤٨ م ، فبعد أن كانت بدائية حينذاك لا يكاد صوت إذاعة كل قطر من أقطارها يغطي ذلك القطر – ولا أزال أذكر أن اذاعة العراق من بغداد لم تكن تسمع في الموصل ... تطورت تلك الإذاعات وأصبح قسم من الدول العربية يمتلك أجهزة إعـلام قوية جداً تفوقت فواقاً ساحقاً حتى على أجهزة إعلام بعض الدول الكبرى ، وأصبحت تنافس أجهزة إعلام الإتحاد السوفياتي وهي أقوى أجهزة إعلام في العالم كله .

ولكن المهم ليس هـذا ، بل المهم أن تنسّق أجهزة الإعلام العربية جهودها لإبراز حق العرب ودحض مفتريات إسرائيل .

المهم أن تعيد أجهزة الإعلام العربية الحقائق الى أذهان الشعوب عن العرب ، وأن تكشف للشعوب أباطيل إسرائيل .

وهذا ليس سهلاً ، وقد لا تستطيع دولة عربية واحدة النهوض به لوحدها ، بدون تعاون الدول العربية الأخرى مادياً ومعنوياً .

حاول أحد سفراء الدول العربية الرد على مقال كاذب في صحيفة ما من صحف الدول الغربية ، فيه كذب على العرب ودعاية مضللة للقراء بقلب الحقائق رأساً على عقب .

وقصد السفير بنفسه رئيس تحرير تلك الصحيفة ، وخاطبه بأمر المقال المنشور في جريدته ، وأظهر له ما فيه من أكاذيب وبهتان .

ووعد رئيس التحرير أن ينشر مقالاً باسم السفارة العربية رداً على ذلك المقال ، وفعلاً كتب السفير مقالاً ممتازاً نسف فيه المقال المعادي ، وأرسله الى الصحيفة مع أمين عام السفارة .

وانتظرت السفارة نشر المقال دون جدوى .

وأخيراً ، علم السفير أن المقال الصهيوني الأول نشر بمبلغ ضخم من المال .

وأن رد السفارة لم ينشر ، لأن أحد محرري الصحيفة صهيوني ، وقد نقل الخبر الى الصهاينة الذين دبجوا المقال الأول ، فدفعوا مبلغاً آخر الى الصحيفة لتطوي مقال السفارة وتضرب به عرض الحائط .

إن السفير كان يريد أن ينشر مقال السفارة حسبة لله ، بينما ينشر الصهاينة ما ينشرونه بالمال .

إن أخطبوط أجهزة إعلام إسرائيل واليهودية العالمية تغلغلت في الإذاعات والصحف والمسارح والملاهي والسينمات

وفي الإذاعات المصورة[1] ليس في بلادها فحسب ، بل في أجهزة الإعـــلام العالمية ، تنفيذاً لبروتوكولات حكماء صهيون [2] .

وقد بدأ الصهاينة محاولاتهم هـــذه بالتغلغل عميقاً في أجهزة الإعلام العالمية منذ أمد بعيد بموجب تخطيط دقيق ، فلما كان عام ١٩٤٨ وولدت إسرائيل ، رددت تلك الأجهزة الإعلامية التي يملكها الصهاينة أو يسيطرون عليها في كلّ أرجاء العالم نغم مولد إسرائيل النشاز بتأييد إجمـاعي ، يبدو لمن لا يعرف بواطن الأمور طبيعياً دون تأثير الصهاينة ، وهو في حقيقته من نظم الصهاينـــة وتلحينهم خرج من معملهم تنفيذاً لمخططاتهم المدروسة .

ما الذي يجب أن يفعله العرب ؟

لقد كان هناك مؤتمر لوزراء الإعلام في دمشق عقد في أوائل هذا العام ، وكانت مقرراته في ضرورة تنسيق نشاط أجهزة الإعلام العربية والتعاون الإعلامي العربي ، جيـدة مفيدة ولكنها تحتاج الى شيء واحد فقط ، هو التنفيذ !

فهل نفذّت تلك المقررات والى أي مدى ؟

---

(١) التلفزيون . (٢) أنظر نص الفقرة الخاصة بوسائل الإعلام في (١٢٢) من هذا الكتاب .

سيبقى هذا السؤال من غير جواب ، لأن جوابه نسمعه في كل يوم من أجهزة الإعلام العربية : كل حزب بما لديهم فرحون ...!

إن الذي يؤمله العرب المخلصون الذين يستمدون مبادئهم من شريعة الله ومن تربتهم الطيبة – هؤلاء يؤملون من أجهزة إعلامهم آمالاً عريضة ، ويؤملون لها كل خير وتوفيق .

يؤملون أولاً ، أن يجري اختيار رجال الإعلام من المؤمنين بعقيدتهم المخلصين لوطنهم ، العلماء بتفاصيل واجباتهم الإعلامية .

ويؤملون ثانياً ، أن تكون أجهزة الإعلام العربية للعرب لا عليهم : تدافع عن حقوقهم وترصّ صفوفهم ، وتجمع كلمتهم ، وتهذب أفكارهم ، وتصون مقدساتهم ، وتذود عن معتقداتهم .

ويؤملون ثالثاً ، أن تتوقف أجهزة الإعلام العربية عن التطاحن فيما بينها ، ناسية إسرائيل ومن وراء إسرائيل ، مركّزة كل همها على العرب وحدهم وعلى أصدقاء العرب المخلصين لهم أيضاً .

وكم يحزّ في نفس كل عربي مخلص حقاً ، أن يسمع حديثاً من إذاعة عربية فيه هجاء وتقريع لحكومة عربية

أُخرى ، ثم يسمع نفس الكلام تنقله محطة إذاعة إسرائيل بعد وقت قليل من إذاعته في محطة الإذاعة العربية ، أو يسمع نفس الكلام تنقله محطات الإذاعة الإستعمارية .

تُرى ! هل أعداؤها قليلون ، حتى يكون بعضنا أعداء بعض ؟

إن الإختلافات الطارئة ، يجب ألا تؤدي الى فضح الأخ أخاه والشقيق شقيقه ...

والذين شجعوا أو يشجعون المسؤولين لسلوك مثل هذا الطريق لا يخسرون شيئاً ، إذ لا يملكون شيئاً يخسرونه ، وهم عرب بالإسم على الرغم من انتحالهم كل نعوت عدنان وقحطان وفي حقيقتهم لا يحبون غير أنفسهم وغير ما في الدنيا من متاع الغرور .

ويؤملون رابعاً ، أن تكون أجهزة الإعلام العربية قوية بوحدة صفوفها المتراصة ، لتكون قادرة على اقتلاع الأفكار الخاطئة والدعايات الكاذبة المتغلغلة في أذهان الشعوب عن العرب والمسلمين .

ويؤملون خامساً ، أن تكون أجهزة الإعلام العربية قوة جسيمة يحسب حسابها أعداء العرب في كل مكان .

ويؤملون سادساً ، أن تتفوق أجهزة الإعلام العربية على أجهزة إعلام إسرائيل ومن وراء إسرائيل ، فتخرس

أصواتها الى الأبد .

إن العرب يؤملون من أجهزة إعـلامهم كثيراً ، ولن تحقق تلك الأجهزة للعرب أملهم أو بعض أملهم فيهـــا بغير التنسيق والتعاون الوثيق .

أقولها صريحة للمسؤولين عن أجهزة الإعلام العربية .

إن أجهزة الإعلام العربية قد خيبت آمال العرب بها في وضعها الراهن ، وهذا الكلام يقوله الذين يريدون الخير للأمة العربية ويرجون لها المجد والسؤدد ، أما الذين يظهرون ما لا يبطنون ويقولون ما لا يفعلون ، فهم الذين خربوا وسيخربون الضمائر وهم الذين شجعوا وسيشجعون على الإنحراف.

إنهم لا يفكرون بغير أنفسهم ، وما دامت رغباتهم الشخصية مؤمّنة ، فليكن الطوفان .

ولعلّ المسؤولين عن أجهزة الإعلام العربية ، من الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه .

وحسبي أن أطلعهم على الحق وأدلهم على الطريق السوي ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

أما ما يخص قضية فلسطين من أجهزة الإعلام العربية، فقد خصصت أكثر الإذاعات العربيـــة وقتاً من منهاجها الإذاعي اليومي ، أطلقت عليه اسم : إذاعة فلسطين ، يذاع في ذلك الوقت بعض الخطب والقصائد عن فلسطين

وعن قضية فلسطين وعن العائدين .

ولست أشك أن بعض ما يذاع في إذاعة فلسطين قيّم وأصيل ولكن الغالب على ما يذاع فيها هو حديث معاد يعرفه العرب وقد سمعوه آلاف المرات .

وما أنصتّ الى إذاعة فلسطين إلاّ وتذكرت قصة خطيب أحد الجوامع الذي سمعت خطابه قبل سنين .

كان جامعه في حي فقير ، وكان المصلون كلهم فقراء ، وكان خطابه عن الزكاة ، وقد دخل في تفاصيل هذه الفريضة حتى استغرق خطابه حوالي ساعتين .

وكنت ألاحظ الناس ينصتون الى خطابه المتدفق وهم في حيرة من أمرهم ، وكأنهم يقولون : لمن يخطب هذا الإمام ؟

وحين قضيت الصلاة ، سألت الخطيب : هل بين سامعيك من عليه فريضة الزكاة ؟

وضحك الإمام ، وليته تعلم درسه ...

إذاعة فلسطين تعيد وتصقل ما قالته أمس وقبل أمس .

والمهم أن يكون فيها للعرب جديد .

وأكثر أهمية أن يصل كلامها الى غير العرب من الذين تسممت أفكارهم بدعايات إسرائيل .

وما دامت في عواصم البلاد العربيـــة ممثليات لمنظمة تحرير فلسطين ، فلا بد أن يكون لممثّـل المنظمة القول الفصل في سياسة إذاعة فلسطين وفي الإعداد لبرامجها .

يجب أن تتعاون أجهزة الإعلام العربية مع منظمة تحرير فلسطين لإخراج مناهج فلسطينية تستحق الإذاعة والسماع .

ولعلّ أهم ما يجب أن تحتوي عليه مناهج إذاعة فلسطين هو : قضية فلسطين ، وألا تشغل نفسها بالخلافات العربية ، فهذه الخلافات هي التي ضيعت فلسطين من قبل و (ستحافظ) على ضياعها اليوم .

وأهل فلسطين أولى الناس بمكافحة الخلافات العربية خدمة لفلسطين ، والذي يكون منهم طرفاً في هذه الخلافات فإنـه طرف ظالم لنفسه عن عمـد وسبق إصرار ، وذلك لمعاونته هو أيضاً في ضياع فلسطين .

إن الذين يريدون النجاح من كل قلوبهم لمناهج إذاعـة فلسطين في الاذاعات العربية ، يودون أن تضم هذه المناهج أموراً جديدة عن قضية فلسطين وعن اسرائيل .

ما هي حقيقة اسرائيل ؟ ما عوامل القوة فيها ؟ ما عوامل الضعف فيها ؟ ما هي نياتها العدوانية ؟ مـاذا عن صفقات الأسلحة التي استوردتها والتي تستوردها ؟ ماذا عن

معامل أسلحتها وعتادها ؟ ما هي المشاكل التي تعانيها اسرائيل ؟.. الخ .

وكما تفعل إذاعة إسرائيل ، في التقاف أسباب الخلافات العربية وأبعادها وصورها المختلفة ، ثم تذيع ذلك على العالم بشكل استفزازي ، فلا بدّ للإذاعات العربية أن تتلقف خلافات أحزاب إسرائيل وتناقض السياسة فيها وغير ذلك وتذيعه للعالم أيضاً .

ولا بدّ أن يعاون إذاعة فلسطين قادة الفكر العربي وقادة السياسة وقادة الجيش ، وتغذيتها ببحوثهم الأصيلة وأفكارهم النيّرة ، فذلك يعطي تلك الإذاعة قوة وحيوية ويجعل الناس يهوون بأسماعهم إليها .

ولا بد أن نفكر في أمرين في اذاعة فلسطين : الأول أن تستثير حماسة العرب لإنقاذ فلسطين ، وأن نثير فيهم الحقد المقدس ضد اسرائيل . والثاني ، أن نفهم الشعوب في العالم حقيقة قضية فلسطين ونكشف لهم أباطيل اسرائيل .

ولكي ننجح في تحقيق هذين الأمرين ، لا بدّ أن تكون المواضيع التي تطرح في اذاعة فلسطين ذات قيمة جديدة مفيدة أصيلة نابعة من الواقع ، تفيد السامع ، ولا تدعو الى إعراضه وملله ، بل تجعله في غاية الشوق لسماعها ينتظر وقتها بفارغ الصبر .

فهل إذاعة فلسطين ناجحة الى هذا الحد ؟

اللهم حقق الآمال .

وما يقال عن اذاعة فلسطين ، يقال عن كل أجهزة الإعلام العربية الخاصة بفلسطين .

إن تنسيق أجهزة الإعلام العربية ، هو الذي يزيد قوتها ويعمق تأثيرها ويؤمّن تعاونها المجدي المفيد .

وهناك في البلاد الأجنبية بعوث كثيرة من الطلاب ، وهم بحكم تلقيهم العلم يختلطون بالطلاب من مختلف الأمم والعقائد ، فلا بد أن تكون هذه البعوث مفيدة لقضايا الوطن العربي عامة ولقضية فلسطين خاصة .

وقد سألت أحد المبعوثين : « ما هو نشاطكم من أجل فلسطين ؟ » فقال : « لا شيء على الإطلاق » .

فلماذا تضيع هذه الطاقات بدداً ، ولماذا لا يفيد العرب منها وينسقون جهودها لمصلحة قضية فلسطين ومصلحة القضايا العربية العليا ؟

تنسيق التعاون الخارجي

- ١٠ -

ذكرنا في فصل : أسباب الهزيمة ، من هذا الكتاب ، أن أول أسباب الهزيمة في فلسطين عام ١٩٤٨ م ، هو : فشل السياسة العربية في إفهام العالم بأجهزة إعلامها وبوسائلها الدبلوماسية ومن خلال المنظمات الدولية ، بحق العرب التاريخي والواقعي في أرض فلسطين [١] .

كما ذكرنا في فصل : حقيقة إسرائيل ، أنّ من جملة عوامل قوتها الدعم السياسي الذي تحظى به من الدول التي وراء إسرائيل ومن الصهيونية العالمية ومن يهود العالم الذين يتسنمون مناصب قيادية في مجلس الشيوخ الأمريكي ومجلسي

---

(١) أنظر التفاصيل في (٢٩ - ٣٠) من هذا الكتاب .

النواب الأمريكي والبريطاني وفي مراكز سياسية أخرى في هاتين الدولتين وفي دول كثيرة أخرى [١] .

كما ذكرنا بإيجاز التدابير السياسية للدول العربية تجاه نشاط إسرائيل لإنتاج السلاح الذري [٢] : القيام بحملة واسعة في جميع أنحاء العالم لإظهار نيات إسرائيل العدوانية ، واستغلال نيات إسرائيل العدوانية لإقناع الدول بالكفّ عن التعامل مع إسرائيل ، والقيام بحملة ضد جمع التبرعات وتقديم المعونات لإسرائيل ، ومضاعفة الدول العربية نشاطها للدعوة الى نزع السلاح الذري وتحريمه ، والسعي لاكتساب تأييد الدول الإسلامية خاصة ودول عدم الإنحياز عامة ، وليكن شعار الدول العربية : كل يوم صديق جديد من الدول الأجنبية لدعم القضايا العربية .

وبالطبع يجب أن تعلم الدول ، أن صداقة الدول العربية هي للدول التي تكون مع العرب على إسرائيل . أما أن تكون الدولة مع إسرائيل على العرب ، فلا صداقة للعرب معها في حال من الأحوال .

هذا المبدأ يجب أن تؤمن به الدول العربية إيماناً

---

(١) أنظر التفاصيل في (٤٣ - ٤٩) ، وانظر أيضاً بحث : لماذا خلقت إسرائيل (١٥٧ - ١٦٦) من هذا الكتاب .

(٢) أنظر التفاصيل في (١٤١ — ١٤٦) من هذا الكتاب .

قاطعاً ، وألا تحيد عن تطبيقه قيد أنملة . أما أن تمارس الدول العربية مبدأ الصيف والشتاء في آن واحد على سطح واحد ، فتعادي بعض الدول لأنهـــا صديقة لإسرائيل ، وتصادق دولاً أخرى وهي صديقة لإسرائيل ، فذلك نشاز في السياسة وانحراف عن جادة الصواب .

يجب أن نعادي من يعادينا ، ونصادق من يصادقنا ، فـإذا علمت الدول الأجنبية أن العرب صمموا على تطبيق هذا المبدأ بأمانة وإخلاص ودون تحيُّز أو تمييز ، فإن تلك الدول ستفكر في مصالحها أولاً ، ثم تختـــار الطريق الذي يؤمن لها تلك المصالح .

والحق أن تنسيق السياسة العربية ، كان يجب أن يظهر للوجود عملياً بعد أن أخذت الدول العربية حريتها وأصبحت دولاً ذات كيان .

ولكن هـــذا التنسيق تأخر كثيراً ، حتى حلَّت سنة ١٩٦٤ ، حيث اجتمع وزراء خارجية الدول العربية ، بعد مؤتمر القمة ، وكان من جملة مقرراتهم تقسيم الدول الأجنبية على وزراء الخارجية العرب لـيزور كل وزير منهم الدول الأجنبية التي عهد إليه أمر زيارتها ضمن مدة معينة ووقت محدد ، وذلك لغرض عرض قضية فلسطـــين على تلك الدول من وزراء الخارجيـــة العرب بشكل يظهر حق العرب وباطل إسرائيل .

وفعلاً ، سافر بعض وزراء خارجية الدول العربية الى بعض الدول الأجنبية ، ولم ينفذ بعض وزراء خارجية العرب ما أوكل إليهم من واجبات !!

لقد اجتمع وزراء خارجية العرب كثيراً بعد عام ١٩٤٨ ، وكانوا في كل مرة يناقشون قضية فلسطين ، ولكنهم لم يقرروا السفر الى الأقطار الأجنبية على نطاق واسع من أجل قضية فلسطين كما فعلوا عام ١٩٦٤ ، إلا أنّ مقرراتهم في ذلك العام لم تنفذ نصاً وروحاً ، فضاع على العرب من جرّاء عدم تنفيذها خير كثير .

ما الذي يريده العرب لسياستهم الخارجية ؟

إنهم يتمنّون على الله أن يجتمع وزراء الخارجية العرب ويتدارسوا قضية فلسطين بوعيٍ وشمول ، ويتفقوا على قرارات واقعية ينفذونها بأنفسهم أو بوساطة السلك الدبلوماسي العربي .

ولعلّ القرارات الخاصة بجولة وزراء خارجية العرب في الدول الأجنبية لاطلاعها على حقيقة قضية فلسطين ، تستحق البعث والنشور ، إذ لا تخلو تلك الجولات من نتائج تظهر فوائدها فوراً أو بعد حين .

إن العرب يتمنون أن يجدوا وزارات الخارجية العربية يجمعها وحدة الهدف فتعمل وكأنها وزارة واحدة تجنّد

نفسها لتحقيق هدف واضح معلوم .

وإذا كان العرب يبدون أسفهم من اختلافات الدول العربية - خاصة في وقت يحيق بها الخطر من كل مكان - فإنهم يبدون اشمئزازهم من اختلافاتهم التي تضر بقضية فلسطين .

ومن المؤسف حقاً ، أن اختلافاتهم تضر أول ما تضر قضية فلسطين .

من أجل ذلك ، يضع العرب أيديهم على قلوبهم حين تنشب الخلافات بين الدول العربية ، لأن العرب يعلمون حق العلم أن هذه الخلافات لا تفيد غير إسرائيل ومن وراء إسرائيل .

ومن أجل ذلك أيضاً ، يريد العرب أن تكون سياسة العرب الخارجية واحدة ، وسواء كانت تلك السياسة في نطاق المؤتمرات والمنظمات والهيئات الدولية ، أو في نطاق العلاقات مع الدول الأجنبية .

ما هي خطط السلك الدبلوماسي العربي في الدول الأجنبية لإظهار حقائق قضية فلسطين ؟

كيف يشنون هجوماً مقابلاً لإحباط هجوم إسرائيل على المصالح العربية في فلسطين ؟

كيف يردّون سهام إسرائيل الى نحرها ؟

ما هي خططهم لمكافحة نشاط السلك الدبلوماسي الإسرائيلي ؟

كيف يكشفون نيات إسرائيل العدوانية في العالم ؟

كل ذلك وغيره يحتاج الى تنسيق للسياسة الخارجية العربية ، ويستحق كثيراً من الجهود وكثيراً من الجهاد .

إن إسرائيل قد قطعت مراحل طويلة موفقة في سياستها الخارجية ، فهل يكون ذلك حافزاً للسياسة العربية الخارجية أن تنسّق جهودها وجهادها من أجل أهداف العرب الخارجية الكبرى وعلى رأسها قضية فلسطين ؟

إن العرب يؤملون من ساستهم أن يفعلوا ذلك إن لم يكن خدمة لمصالحهم وصيانة لكرامتهم وتقوية لمكانتهم ، فمن أجل فلسطين .

إن العرب يؤملون أن تكون سياسة العرب نابعة من عقيدتهم ومبادئهم : لا شرقية ولا غربية ، ولا تنحاز ولا تتلون ، تسالم من يسالم العرب والمسلمين ولا يمسّ أهدافهم العليا وعلى رأسها إنقاذ فلسطين ، وتعادي من يعادي العرب والمسلمين ويوادّ أعداءهم وأولهم إسرائيل .

فهل يحقق ساسة العرب للعرب الآمال ؟

تنسيق التعليم

- ١١ -

جرت محاولات كثيرة لتنسيق مناهج التعليم في الوطن العربي ، ولعل تلك المحاولات هي أقــدم من غيرها في المجالات الأخرى ، ولكن تلك المحاولات كانت ولا تزال بعيدة عن تحقيق أهدافها ، إذ بقيت مناهج التعليم مختلفة إن لم نقل متناقضة في البلاد العربية .

والسبب في فشل تلك المحاولات ، هو الإختلاف على الأسس بين رجال التربية العرب : قسم يريــد أن تبقى المناهج كما كانت منذ قرون ، وقسم يريد أن ينسف المناهج القديمة من قواعدها غير معترف لها بأي فضل أو فائدة .

هكذا تضيع الحقائق بين الإفراط والتفريط ، كما هو شأن العرب في كل أُمورهم ، وتقتلع الجسور بين الطرفين ،

فيبقى كل واحد منهما في ضفة من ضفتي النهر يفصل بينهما تيار الماء المتدفق الى البحر عبثاً .

إن تنسيق مناهج التعليم العربي ، يؤدي الى توحيد المناهج ، وهذا يؤدي الى الإنسجام الفكري بين الجيل الصاعد من أبناء العرب ، وهذا الانسجام الفكري هو الذي يجعل التعاون أمراً ميسوراً ويقضي على التناقضات في مهدها .

أما أن تسير مناهج التعليم في دولة عربية مشرِّقة ، وتسير في دولة عربية أخرى مغرِّبة ، فكيف يتحقق الانسجام الفكري بين أبناء هاتين الدولتين ؟

ليس كل قديم لا فائدة فيه ، وليس كل جديد فيه فائدة ، وعلينا أن نقتبس من القديم ما يفيد ، ومن الجديد ما يفيد ، فنكون قد أثبتنا المفيد فقط دون النظر الى القديم أو الجديد .

حضرت الوفاة حكيماً من الحكماء ، فجمع أولاده الثلاثة ، وقال لهم : « أوصيكم بهذه البطيخة فاحفظوها ».

ومات الحكيم ، فقال الشقيق الأكبر : « يجب أن نحتفظ بالبطيخة في مكان أمين » . وقال الأصغر : « كيف نحتفظ بها وهي عرضة للتعفن ؟ ... يجب قذفها الى الشارع » . وقال الأوسط : « نكسر البطيخة ونزرع

بذرها ، فنجني منها وننتفع بها ، ونكون قد حافظنا على بطيخة والدنا حسب وصيته » .. وهكذا كان .

والذي أراد الاحتفاظ بالبطيخة نفسها ، يرمز الى الذين يحبون الاحتفاظ بالقديم على علاته دون النظر الى تطور الزمن ومتطلبات الحياة .

والذي أراد قذف البطيخة الى الشارع ، يرمز الى الذين يريدون أن ينخلعوا من ماضيهم مرة واحدة ، ومن لا ماض له فلا حاضر له ولا مستقبلاً .

والذي أراد أن يزرع بذورها ويجني منها أُكلها ، يرمز الى الإفادة من الماضي التليد والحاضر الجديد .

وقد يكون في ذكر هذه القصة الرمزية وتوضيحها ، ما يفيد في تعميق معناها في العقول والنفوس معاً ، فليست القضية قضية قديم أو جديد ، ولكن القضية قضية مفيد أو أو غير مفيد .

يجب أن تكون مناهج التعليم نابعة من عقيدتنا ، منسجمة مع تراثنا ، نقتبس من الجديد العلوم النظرية والعملية والأدب والفن الرفيعين ولا نستورد العقائد والمبادىء ولا ما يناقض تراثنا العريق .

هذه المناهج يجب أن تنشىء نشأً مؤمناً بعقيدته ،

مخلصاً لأمته ، مدافعاً عن وطنه ، حريصاً على واجبه ، سليماً في أخلاقه ، مستقيماً في سيرته ، له مثـــل عليا يؤمن بها ويدافع عنها ويضحي من أجلها .

وهذه المناهج ، إذا أردنا أن تعمل عملهـــا في بناء العقول والأجسام ، لا بد أن تهدف الى هدم أثرين من آثار الاستعمار ، هما : الاستعمار الفكري ، والانهيار الخلقي .

فماذا عن الاستعمار الفكري ؟

إن الاستعمار شر كله ، ولكن أشد أنواع الاستعمار خطراً هو الاستعمار الفكري .

وإذا كان أمر معالجـــة الاستعمار العسكري يقع على القادة العسكريين بالدرجة الأولى .

وإذا كان أمر معالجة الاستعمار السياسي يقع على القادة السياسيين بالدرجة الأولى .

وإذا كان أمر معالجة الاستعمار الاقتصادي يقـــع على القادة الاقتصاديين بالدرجة الأولى .

فإن معالجة أمر الاستعمار الفكري يقع على عاتق قادة الفكر بالدرجة الأولى .

والذي نلاحظه أن كثيراً من بـــلاد العرب وأقطار المسلمين ، قد تخلصت نهـــائيـــاً من الاستعمار العسكري

والسياسي والاقتصادي ، ولكنهـــا لم تتخلص مطلقاً من الاستعمار الفكري ، فهي لا تزال تحت وطأته حتى اليوم .

إن الاستعمار الفكري إذا بقي في أمة ، سهل على كل أنواع الاستعمار أن يعود بيسر وسهولة الى تلك الأمـة ، ذلك لأن الاستعمار الفكري هو الأصل ، وكل ما عـــداه فروع .

لقد آمن الاستعمار بأن القوة لن تدوم أبداً ، وأن الفكر هو الذي يـــدوم ، فكان وراء جيوشه المحاربة جيوش من نوع آخر : من المبشرين بالعقيدة غربيـــة أو شرقية ، يدعون إليها ، ويغرسون في عقول الأمم تقاليدها وعاداتها .

ودار الزمن دورتـه ، فإذا بالعرب والمسلمين يتعشقون أساليب أعدائهم الحياتية والفكرية : يأكلون كما يأكلون ، ويلبسون كما يلبسون ، ويفكرون كما يفكرون ، ويتصرفون كما يتصرفون .

قال المستر نبروز رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت : « إن المبشرين يمكن أن يكونوا قد خابوا في هدفهم المباشر وهو تنصير المسلمين جماعات جماعات ، إلا أنهم قد أحدثوا بينهم آثار نهضـــة . لقد برهن التعليم على أنـــه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها في سعيهم

لتنصير سورية ولبنان » . وقال الجنرال الفرنسي جورج كاترو : « المدارس الفرنسية إنما هي الأساس العريق القدم لسيطرتنا على المشرق » .

هؤلاء المستعمرون وطليعتهم من المبشرين يرون القوة الكامنة في الإسلام ، هي التهديد المخيف للاستعمار ، فبذلوا جهودهم الجبارة لتشويه الاسلام والحضارة الاسلامية والحطّ من شأنها في نفوس العرب والمسلمين [1] .

ولولا القرآن الكريم الذي لا بدّ أن يقرأه المسلم صباح مساء في صلاته ، لاقتلع الاستعمار لغة القرآن وتعاليم القرآن من جذورها .

لقد انهارت كل أسلحة الغرب والشرق ، وكل محاولات رجالهم وجهودهم ، أمام سلاح العرب والمسلمين الأوحد : القرآن ، وصدق الله العظيم : (إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون) [2] .

ولكن الاستعمار الفكري إذا كان نجاحه محدوداً في

---

(١) اقرأ تفصيل ذلك بما لا مزيد عليه في خاتمة كتابنا : قادة فتح المغرب العربي ، الجزء الثاني ، تحت عنوان : دروس من التاريخ لحاضر المغرب العربي ومستقبله .

(٢) الآية الكريمة من سورة الحجر (١٥ : ٩) .

زعزعة المسلمين عن دينهم بفضل القرآن الكريم ، فإن هذا الاستعمار كان نجاحه ساحقاً في مجالات أخرى .

استقدم المستعمرون معهم لغتهم ، وزعموا أنها خير اللغات ، وأنها اللغة الحيّة التي ترفع وتضع ، وتصل وتقطع ، وتعطي وتمنع ...

واستقدموا معهم تاريخهم ، وزعموا أنه أنصع التواريخ وأصدقها ...

واستقدموا معهم تقاليدهم ، وزعموا أنها أحسن التقاليد وأحراها بالبقاء .

واستقدموا معهم مناهج تعليمهم ، وزعموا أنها أكثر المناهج فائدة وأقربها الى روح العصر .

واستقدموا معهم المبشرين يزعمون أن دينهم المنزل أو الوضعي هو دين الحياة .

ونسي بعض العرب وبعض المسلمين ، أو تناسوا أمام البذل والإغراء ، وأمام الوعد والوعيد ، لغة القرآن ومبادىء القرآن ، وتاريخ الاسلام ، وتقاليد العرب والمسلمين ، ومناهج تعليمهم لمختلف الآداب والعلوم والفنون .

نسوا أو تناسوا أن لغة القرآن هي اللغة الحية حقاً ، ولولا ذلك لما كانت لغة العلم والحضارة عشرات القرون ،

ولما غزت كل لغات العالم في عقر دارها [1] ، فلا تجد لغة عالمية إلا وفيها من كلمات اللغة العربية لا تزال مستعملة حتى اليوم ، وقد كان من أعظم ما يفخر به أحد البابوات أنه يتكلم العربية ، وأنه خريج جامعة قرطبة .

ونسوا أو تناسوا ، أن تاريخ الاسلام هو أنصع التواريخ وأصدقها ، وأن أسلوب تدوينه وروايته أسلوب فذ فريد كان ولا يزال مثار إعجاب المنصفين من الأمم الأخرى دقة وتدويناً ورواية ونقلاً لحوادث وقعت ولكنها أغرب من الأساطير .

ونسوا أو تناسوا أن تقاليد العرب والمسلمين : فضائل وعزة وشهامة وكرماً ووفاء وعطفاً وإباء ومساندة للمظلوم ومقارعة للظالم ومؤاساة للفقير ، ومؤاساة للمريض ، وتعليماً للجاهل وترفعاً عن الدنايا ...

ونسوا أو تناسوا أن مناهج التعليم العربية الاسلامية ، هي التي خرّجت علماء أفذاذاً كان لهم ولا يزال أثر عظيم في الحضارة الانسانية ... تلك المناهج التي كان يعتبرها المعلمون والمتعلمون عبادة يتقرّب بها الى الله سبحانه وتعالى ... ولا أزيد .

---

(١) صدر في موسكو معجم عن : اللغة العربية في اللغة الروسية ، ألفه أحد المستشرقين الروس .

واستمرت معاول الهدم الاستعمارية تعمل عملها : تدعمها القوة الغاشمة من جهة والمال الحرام من جهة أخرى ، حتى أصبح بعض الشباب يعتبرون التفرنج حضارة ، والإلحاد مدنية ، والتمسك بالدين رجعية ، واعتناق المبادىء الوافدة تقدمية ، وحتى أصبح الذين يزعمون أنهم مثقفون يتنكرون للغتهم فيؤثرون لفكرتهم في الصياغة والعرض القالب الأجنبي ، فيقولون بتباهٍ وترفُّع : « يعبِّر عنها الأجانب بلغتهم بكذا ... ولا أعرف كيف يعبَّر عنها بالعربية ».. كأن من المفاخر أن يعجزوا عن التعبير بلغتهم الأصلية ، مع أن هذه اللغة كانت لقرون طويلة كل شيء حين كانت اللغات التي يفاخرون بها لا شيء !!...

وسيطر المتعلمون في الغرب أو الشرق على مدارس وجامعات العرب والمسلمين ، فترجموا كتب الشرق والغرب التعليمية التي قرأوها في الشرق والغرب – إذ أن هذه الكتب كل بضاعتهم ولا يكادون يعرفون غيرها – وزادوا في طينها بلة ليثبتوا تحرّرهم وتسامحهم ، فجعلوا من الكفر الواحد في تلك الكتب أضعافاً مضاعفة ، وسمموا أفكار الناشئة بالمبادىء المستوردة ، وجعلوهم يحتقرون كل ما هو عربي وكل ما هو إسلامي .

وإذا كان من مخططات الاستعمار غرس الاستعمار الفكري في عقول العرب والمسلمين وفي نفوسهم ، وإذا نفَّذ

المبشرون ومنهم بعض المستشرقين تلك المخططات ، فما عذر (المستغربين [1]) من أبناء العرب والإسلام الذين اقتفوا آثار المشبوهين في ترسيخ آثار الاستعمار الفكري البغيض ؟

وأكاد أقول : إن بعض المستغربين بزّوا أساتذتهم المبشرين والمستشرقين ، فقالوا في عقيدتنا ولغتنا وحضارتنا وتاريخنا وتراثنا ، ما لم يقله المستشرقون والمبشرون .

إذ كيف يثبتون تحررهم وتسامحهم وتقدُّميتهم بغير هذا الأسلوب الرخيص ؟

وإذا لم يهاجموا مقوّمات عقيدتهم وأُمتهم ، فمن عساهم يهاجمون ؟

وهكذا دخلت أدمغة الناشئة العربية والإسلامية السموم إلاّ من عصم الله ، فتلقى في بيته من أبويه بعض ما يصحح الأفكار التي تلقاها عن عقيدته وتاريخه وحضارته في المدرسة أو الجامعة .

هذا هو الاستعمار الفكري : مقت شديد واحتقار

---

(١) المستغربون : جمع مستغرب . وضعناها لتقابل كلمة : مستشرق . والمستغرب : عربي أو مسلم يقتفي آثار المستشرقين متنكراً لعقيدته وتراثه وحضارته وتاريخه .

لكل ما هو عربي ولكل ما هو إسلامي ، وإعجاب شديد وتقدير لكل ما هو غربي أو شرقي .

إن من أهم واجبات تنسيق مناهج التعليم ، هو طرد الإستعمار الفكري من عقول ونفوس العرب والمسلمين الى الأبد . وهذا يكون بإبراز حقائق ديننا ومفاخر لغتنا وأمجاد تاريخنا ومزايا حضارتنا .

وحينذاك ستعود الثقة الى نفوس العرب والمسلمين وترتفع معنوياتهم ، ويقولون بفخر واعتزاز : « نتحدى من يدّعي أن هناكَ عقيدة أقوم من عقيدتنا ، وأن هنـــاك تاريخاً أصدق من تاريخنا ، وأن هناك حضارة أسمى من حضارتنا » .

إن الثقة بالنفس والمعنويات العالية ، هما المصلان الواقيان من التهاوي تحت أقدام المبادىء المستوردة .

لقد حمل رسالة الاسلام الخالدة الى العالم أيام الفتـــح الاسلامي العظيم نوعان من القادة : قادة الفتح ، وقادة الفكر .

كان مع قادة الفتح ، قادة الفكر : يبشرون بعقيدة سمحاء ، ويترجمون نظرياتها عملياً على أنفسهم ، فكانوا التطبيق العملي لنظريات الاسلام حيّـــة تمشي على الأرض بأعمالهم ، فكرة وعملاً ، وبذلاً وجهاداً ، وتضحية وفداء .

وانقضت أيام الفتح بعـد أن امتدت دولة الاسلام من الصين شرقاً الى أعماق أوربا غربـاً الى سيبيريا شمالاً الى

المحيط الهندي جنوباً .

وانحسر مدُّ الفتح الاسلامي بعد أن بلغ نهايته وحقّق أهدافه ، ولكن مدّ الفتح الفكري الاسلامي بقي طاغياً حتى بعد ضعف المسلمين .

حتى الذين استطاعوا التغلب عسكرياً من غير المسلمين على المسلمين — وهذا قبل الاستعمار الحديث في القرنين التاسع عشر والعشرين — تضاءلوا أمام العقيدة الاسلامية بعد حين ، فاعتنقها منهم كثيرون [1] وأصبحوا من روّادها وحاملي رسالتها بين الناس .

لماذا ؟

لأن المسلمين الأولين على الرغم من انهيارهم عسكرياً ، كانوا يعتدّون بعقيدتهم كل الاعتداد ، ويؤمنون بأنها عقيدة بنّاءة لا تدانيها ولا تقاربها عقيدة أخرى .

وقوة السيف قد تطغى ساعة ، ولكن قوة العقيدة هي الباقية الى قيام الساعة .

إن المرء ليضحي بماله وروحه في سبيل عقيدته وأمته ووطنه ، فكيف يضحي من يزدري عقيدته ويحتقر أمته

---

(١) أسلم أحفاد هولاكو من بعده ، وأصبحوا يذودون عن الإسلام .

ويمتهن وطنه ؟

هذا هو الاستعمار الفكري ، وهذه هي بعض نتائجه ، فماذا عن الانهيار الخلقي ؟

تعاني البلاد العربية خاصة ، والبلاد الاسلامية عامة ، أزمة أخلاقية خانقة ، لوّثت بأدرانهـا كثيراً من الأفراد والجماعات .

وكثيراً ما نسمع أن هذه البلاد تعاني أزمات شتى : أزمة استعمارية ، وأزمة سياسية ، وأزمة إجتماعية ، وأزمة اقتصادية ، وأزمة ثقافية ... الخ .

وكل ذلك صحيح ، ولكن الأزمة الأخلاقية – وحدها – هي التي جعلت العرب في الوطن العربي ، والمسلمين في دار الاسلام ، يعانون ما يعانون من تلك الأزمات جميعـــاً ، ويدورون في حلقة مفرغة في محـاولة للتخلص منها دون جـــدوى .

والذين يضجون بالشكوى من هذه الأزمات من حكام ومحكومين ، ينسون أو يتناسون ، أن الأزمة الأخلاقية التي قلما يذكرونها أو يشعرون بها أو يفكرون بمعالجتها ، هي أخطر من كل أزمة أخرى ، وأن سبيل التخلص من كل أزمة تعانيها البلاد ، يبدأ بالتخلص من الأزمة الأخلاقية وينتهي بالتخلص من الأزمة الأخلاقية .

إن الاستعمار الذي أناخ بكلكله على الشرق العربي الاسلامي ، قدّر أنه لن ينجح في ترسيخ أركانه وأسسها في المناطق المستَعْمرَة ما لم يقض على الأخلاق ويقتلع جذورها من النفوس .

وبدأ المستعمرُ باختيار الإمعات من أبناء البلاد الذين لا علاقة لهم بعقيدتها وتراثها وتربتها ، إلا أن يكونوا عرباً ومسلمين جغرافياً وبالوراثة فقط ، واتخذ منهم أعواناً وبثّ رجاله ومن ورائه هؤلاء الأذناب لبث التفسخ الخلقي بين الناس .

ومضى الزمن ، فأصبح لرجال الإستعمار ولأذنابهم من الإمعات عدد ضخم من التلاميذ والمريدين ، يقلدون أساتذتهم تقليد القرود ، فذهبوا بعبثهم واستهتارهم الى مدى أبعد مما أراده لهم أسيادهم المستعمرون .

إن الغزو الإستعماري لم يكن ليرسخ أقدامه في بلاد العرب والمسلمين لو لم يدعمه الغزو اللاأخلاقي الذي فسّخ الأخلاق وأشاع الترف ونشر التحلل من القيم واستهتر بالمثل العليا .

وهؤلاء الذين غادروا بلادهم الى الخارج لتلقي العلوم والآداب في المدارس والجامعات ، دأبوا جميعاً — إلاّ من رحم ربك وقليل ما هم — على الإختلاط بأحطّ الطبقات هناك ، فاقتبسوا منها أخسّ أنواع الإستهتار ، واستوردوا

منها كل منكر وفاسد . ثم جاءوا بلادهم لينشروا فيها ذلك الإستهتار والمنكر والفساد بأبشع صوره وأحط أشكاله ، زاعمين أن ذلك من ملامح المدنية الحاضرة ، وأن التمدن معناه السكر والعربدة والخنا والميسر .

والحقيقة ، أن أولئك النفر لم يعاشروا في ديار الغرب أو الشرق إلا الفاسدين من أبنائها ، فانتقل إليهم الفساد والإفساد بالعدوى ، كما ينتقل أي مرض معدٍ من أي إنسان مريض الى أي إنسان سليم ، ولو أنهم خالطوا الطبقة الخيّرة لرأوا عجباً .

إن الذين يذهبون الى الغرب أو الشرق لتحصيل العلم أو للراحة أو الإستجمام أو التجارة وحضور المؤتمرات ، أكثرهم يتصلون بالطبقات الدنيا من شعوب تلك الأمم ... أكثرهم ينحطون الى مستوى الخدم والسفلة ، ولا تجد إلا الأقلين يحاولون الإرتفاع بأنفسهم الى مستوى ذوي الخلق الكريم . فإذا عادوا الى بلادهم تبجّحوا بما لمسوه من تصرفات الخدم والسفلة ظانين أن أهل البلاد التي كانوا في ربوعها كلهم من ذلك المستوى .. وهيهات !!

إن الأمة التي لا تثبت وجودها ، لا تكون حرية بتقدير الأمم واحترامها ، ما لم تتمسك بمبادىء الخلق القويم .

لقد امتد نشاط دعاة التحلل الخلقي الى الصحافة والمجلات

والكتب والمذياع والمذياع المصوّر ، وتغلغل هـذا النشاط الى داخل العوائل والبيوت .

وإذا كان بإمكان الرجل أن يمنع عائلته من قراءة مجلة ما أو كتاب ما أو صحيفة ما ، ويمنعهم من ارتياد السينما ، فما حيلته مع المذياع والمذياع المصور ؟

إن المذياع – وخاصة المذياع المصور ، قد أصبح بدون شك مفسدة في كل دار ، يعمل عمله التخريبي في كل عائلة وفي كل دار ، فلمصلحة من كل ذلك ؟! لمصلحة من ؟!...

إن كثيراً من مفكري الغرب ، يشكون مُرّ الشكوى من تفشي التحلل الخلقي بين شعوبهم ، فلماذا نقتبس منهم هذا الضرب من إشاعة الفوضى الأخلاقية .

ولماذا نستورد من الغرب أو الشرق الأدب اللا أخلاقي أو أدب المخدع كما يجب أن يطلق عليه بحق ، وأدباء المخادع كما يجب أن يطلق على كاتبيه ، ثم لا نعمل على الحدّ من نشاط التفسخ الخلقي ... وأكاد أقول : نعمـل على ازدياد هذا النشاط ؟

إن هذا الذي نعمله بأنفسنا ، وباختيارنا ، هو الذي يريده لنا عدونا ويريده لنا الإستعمار ، وتريده لنا الصهيونية .

فكيف نعاون الإستعمار والصهيونية وكل أعدائنا ، على تنفيذ نيّاتهم السيئة في ربوع بلادنا .

وهل ذلك يجري صدفة ودون قصد مبيت ، أم هناك أيد خبيثة خفيّة تعمل على إشاعة الفحشاء ؟

إن الذين يظنون ، أن التقدم والرقي والتمدن يأتيان عن طريق الفساد الأخلاقي ، واهمون كل الوهم ، أو أغبياء كل الغباء ، أو جهلاء كل الجهل .

وإذا كانت المدنية الغربية أو الشرقية قد حوت الجانبين من جوانب المدنية الحاضرة : جانب الخير الذي يتمثل في المعاهد والمدارس والكليات والجامعات والمختبرات والمصانع والمعامل والمؤلفات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية ذات الفائدة والتوجيه ... الخ .. وجانب الشر الذي يتمثل في الكتب والمجلات والصحف والروايات والتمثيليات الخلاعية الماجنة ، فهل من مصلحتنا ـ بلاداً وشعباً ـ لنا تراثنا وعقائدنا وتاريخنا ، أن نقتبس عن المدنية الغربية أو الشرقية جانب الشر فقط ، دون أن نعمل بجد ومثابرة على اقتباس جانب الخير من تلك المدنية ؟

وهل رأى أحد في حياته كلها ، من يبني الهرم من قمته ، قبل أن يبدأ كما هو مألوف معروف ، بوضع الأساس لبنائه أولاً ، ثم يقيم عليه البناء ؟

إن الذي يبني الهرم من القمة ، لا يفعل شيئاً أكثر من بذل الجهود المضنية ، دون جدوى ، لرفع الأنقاض التي

تتساقط كلما حاول البناء ، ثم تذهب جهوده سدى تذروها الرياح .

وإذا كان من الثابت تاريخياً بما لا مجال لرده أو مناقشته ، أن من أسباب انقراض الدول واندحارها ، هو تردي شعوبها في حمأة الترف والفسق والفجور ، بعد أن نشأت سليمة قوية متمسكة بأهداب خلقها القويم . وتاريخ اليونان والرومان والروم والفرس والعرب بالذات خير دليل على ذلك .

فما مصير الأمة العربية التي بدأت رأساً في عصرنا الراهن ، بالترف والفسق والفجور ؟

ولماذا نستورد التحلل الخلقي ونشيع الفاحشة بين أبنائنا ، ونحن نريد أن نأخذ مكانتنا بين الأمم ونستعيد مجدنا المضاع ؟

وإسرائيل في قلب الأمة العربية ، وهناك الإستعمار الشرقي والغربي ، فهل سنقاوم أعداءنا بالتحلل الخلقي وإشاعة الفحشاء ؟

وهل يقوى المخنثون على القتال ؟

لقد لمست في ثورة المرحوم رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١، وفي حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وفي حياتي العسكرية ، أن الذين يقاتلون بعناد وشرف وشجاعة ، هم أصحاب المثل العليا المتمسكون بالخلق الكريم .

أما المترفون الذين لهم صلات بالغواني ، فقد قضوا أيام القتال في حسرات متصلة على أيامهم الماضية مع الغيد الحسان ...!

يجب أن نوقف التحلل الخلقي عند حدّه ، فقد طغى السيل وأصبح مستقبل الناشئة مهدداً بأفدح الأخطار .

والسبيل الى ذلك هو تعاون المسؤولين وأفراد الشعب كافة ، وقادة الفكر العربي أيضاً .

والمسؤول الذي لا يعمل لإيقاف التحلل الخلقي ، يعمل من حيث يدري أو من حيث لا يدري لمعاونة إسرائيل وأعداء شعبه في هدم وطنه وقومه وعقيدته .

وربُّ البيت الذي لا يعمل لإيقاف التحلل الخلقي ، يعمل من حيث يدري أو من حيث لا يدري ، لمعاونة إسرائيل وأعداء عقيدته وأمته وقومه ... وهو فوق ذلك ليس رجلاً بل هو من أشباه الرجال .

والمفكر الذي لا يجاهد بلسانه وقلمه لإيقاف التحلل الخلقي ، هو الآخر يعمل لمعاونة إسرائيل ومن وراء إسرائيل ، وسيموت هذا المفكر وهو حي دون أن يبقى لفكره أثر ذو قيمة حقيقية في الناس .

يجب الإسراع بتنسيق مناهج التعلم في البلاد العربية على أسس نابعة من عقيدتنا ، منسجمة مع تراثنا ، نقتبس

ما يفيد من علم وأدب وفن ، ولا نستورد العقائد والمبادىء ، فلنا من مبادئنا وعقائدنا ما نفخر به ونعتز .

وهذه المناهج يجب أن تنشىء نشأً قوياً أميناً: يؤمن بدينه ، ويخلص لأمته ، ويذود عن وطنه ، ويحرص على واجبه ، ويحافظ على خلقه ، ويجاهد بماله ونفسه لإنقاذ فلسطين .

هذه المناهج هي التي يريدها العرب لأولادهم وأحفادهم .

وهي التي تشيع الإنسجام الفكري بين الشعب العربي .

وهي التي تحقق لهم أهدافهم العليا ، وعلى رأسها إنقاذ فلسطين .

وهي التي تطرد آثار الإستعمار الفكري البغيض ، وآثار التحلل الخلقي الكريه ، من ديارنا الى الأبد .

فهل نحن فاعلون ؟

القواعد الأجنبية

- ١٢ -

إسرائيل قاعدة من أكبر قواعد الإستعمار في الشرق الأوسط ، ووجودها لا يهدد العرب وحدهم ، بل يهدد كل دولة مستقلة في آسيا وإفريقية .

وهي عدوة العرب التقليدية ، لأنها اغتصبت جزءاً من بلادهم ، بإسناد الدول الكبرى وتحت سمعها وبصرها .

لذلك تخشى إسرائيل العربَ مرتين حين تخشى الدول الآسيوية والإفريقية المستقلة مرة واحدة : مرة لأنها اغتصبت جزءاً من بلاد العرب ، ومرّة لأنها قاعدة استعمارية ، فهي مع الإستعمار دائماً على الدول المستقلة دائماً .

وإذا كانت إسرائيل خطراً على الدول الإفريقية الآسيوية في أيام الحرب ، فإنها خطر على الدول العربية في أيام السلام والحرب .

بل ليس هناك أيام سلام أو هدنة لإسرائيل مع العرب ، لأنها اغتصبت بلادهم فهي معتدية على حقوقهم ، والعدوان والسلام لا يلتقيان .

إن كل قاعدة للإستعمار تهديد مباشر لكل دولة تناهض الإستعمار .

وكما أن العرب يعتبرون القواعد الإستعمارية في (قبرس) وفي جزيرة (مالطة) وغيرها خطراً عليهم وهي ليست في بلادهم ، كذلك يجب أن تعتبر الدول المستقلة في آسيا وإفريقية إسرائيل خطراً عليها لا ينقضي إلا إذا قُضي على إسرائيل وتخلصت تلك الدول من شرورها .

والدول الآسيوية والإفريقية التي يخالجها الشك في نيات إسرائيل العدوانية نحوها وممالأة إسرائيل سراً وعلانية للإستعمار ، عليها أن تراجع مواقف إسرائيل في المؤتمرات والهيئات الدولية ، فقد كانت دائماً مع الإستعمار على الشعوب .

من هنا يجب أن تتعاون الدول الآسيوية والإفريقية في شتى المجالات على اجتثاث سرطان إسرائيل من الرقعة التي احتلتها ظلماً وعدواناً في أرض فلسطين ، إذ أن تعاون هذه الدول سيسهل أمر القضاء على إسرائيل ، لأن إسرائيل ليست وحدها في الميدان .

والدول التي تحب العاجلة من المصالح ، فتقبل أن يكون لها علاقة إقتصادية أو سياسية بإسرائيل ستؤدي الثمن غالياً في المستقبل ، فإسرائيل تخرب ذمم أبنائهم وتفسد أخلاقهم وتتجسس عليهم وتنقل أخبارهم لأعدائهم ، ثم تكون عليهم وبالاً في ساعة محنتهم لأنها تضربهم من الخلف وتكون عوناً للإستعمار عليهم .

هذه الدول الآسيوية والإفريقية المستقلة التي تخلصت بعد جهد جهيد من الإستعمار ، والتي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بإسرائيل ، لم تصنع شيئاً أكثر من إخراج الإستعمار من باب وإعادته إلى بلادهم بإسرائيل من باب آخر .

وإذا كانت إسرائيل أكبر قاعدة للإستعمار في الشرق الأوسط ، فإن الإستعمار يحاول أن تكون له قواعد أخرى في مناطق أخرى ليطوّق الدول المستقلة بطوق محكم من القواعد البرية أو البحرية أو الجوية لتنطلق منها أسلحة التدمير من قوات الإستعمار براً وبحراً وجواً وتلحق الدمار بأهدافها .

والذين يسمحون ببقاء القواعد الأجنبية في بلادهم ، أو الذين يوافقون على إقامة القواعد الأجنبية في بلادهم ، يلحقون أشد الضرر ببلادهم أولاً ، ويلحقون الضرر بجيرانهم ثانياً .

إن القواعد الأجنبية ليست منطقة أجنبية فيها قوات

أجنبية فقط ، بل هي منطقة فيها قيادات القوات الأجنبية ومستودعات أسلحتها وعتادها ، ومراكز تجسسها ومقراتها الإدارية بما في ذلك من مطارات وموانىء .

ولا يمكن أن يعتبر البلد مستقلاً كامل الإستقلال ، إذا كان فيه قواعد أجنبية .

إن السماح للقواعد الأجنبية بالبقاء في الأقطار العربية خطأ فاحش بحق ذلك القطر وبحق الأقطار العربية الأخرى .

والموافقة على إنشاء قواعد أجنبية جديدة في بلد عربي خيانة لا تغتفر بحق ذلك البلد العربي وبحق البلاد العربية الأخرى .

وما لم تنته القواعد الأجنبية وتسلم إلى أصحابها ، فإن الخطر يبقى جاثماً والإستقلال يبقى ناقصاً .

وما دامت إسرائيل أكبر قاعدة للإستعمار في الشرق الأوسط ، وما دامت خطراً داهماً على البلاد العربية ، فإن القواعد الأجنبية الأخرى في البلاد العربية بوجود إسرائيل سيتضاعف خطرها على العرب .

لأن إسرائيل وتلك القواعد ستتعاون في أيام السلام على مجال جمع المعلومات عن الجيوش العربية وعن الحكومات والشعوب العربية .

ولأن إسرائيل وتلك القواعد ستتعاون في أيام الحرب على تحقيق أهداف الإستعمار وإسرائيل في البلاد العربية .

إن البلاد العربية يجب أن تتخلص من القواعد الأجنبية الموجودة حالياً في أرضها .

والبلاد العربية يجب ألاّ تسمح بقواعد أجنبية جديدة في أرضها .

والبلاد العربية يجب أن تتعاون مع الدول الآسيوية والإفريقية للتخلص من القواعد الأجنبية التي تهدد سلامتها والموجودة في غير البلاد العربية .

والعرب والدول الآسيوية والإفريقية يجب أن يعرفوا حقيقة إسرائيل التي هي أكبر قاعدة للإستعمار الجديدفي الشرق الأوسط ، لعلّ تلك الدول تتعاون في القضاء على إسرائيل .

الوحدة

- ١٣ -

ذكرنا في هذا الفصل : (أسباب للدول العربية) ، لمحات عن القيادة العربية الموحدة وأهميتها للجيوش العربية .

كما تحدثنا عن : مؤتمرات القمة وإنجازاتها التي تتلخّص في انبثاق منظمة تحرير فلسطين والقيادة العربية الموحـدة وتحويل روافد الأردن والتضامن العربي وإسناد الجامعـة العربية .

ولم تكن منجزات مؤتمرات القمة إلاّ (مظهراً) من مظاهر التقارب العربي ، وقد ذكرنا لمحات عن أهمية تلك المنجزات .

فإذا استطاعت مؤتمرات القمة العربية أن تحقق للعرب ما عجزوا عن تحقيقه من قبل بفضل هذا التقارب العربي ،

فماذا سيحدث لو تطور هذا التقارب فأصبح وحدة شاملة للعرب ؟

إن المـــال والتنسيق الإقتصادي والتنسيق الصناعي والتنسيق الإعلامي وتنسيق التعـــاون الخارجي وتنسيق التعليم كلها دعائم من دعـائم الوحدة ، بل هي المقدمات لنتيجة حتمية واحدة هي : الوحدة .

كما أن التخلص من القواعد الأجنبية في البـلاد العربية ومن ضمنها أكبر قـاعدة أجنبية للإستعمار في بلاد العرب وهي إسرائيل ، والتخلص نهائيـاً من الإستعمار لا يتم إلا بالوحـــدة .

وقد ذكرنا في بحث : إسرائيل والقنبلة الذرية : « إن الوحدة العربية هي الطريق التي توصلنا الى إنتـاج السلاح الذري بأسرع وقت ممكن ، وهي التي تقضي قضاءً مبرماً على إسرائيل [1] » .

كل ذلك يظهر للعرب بوضوح ، أن الوحـدة العربية هي الدواء الناجع لهم وهي الطريق التي يسلكونها لتحقيق أهدافهم ، وهي سبيلهم للحياة بـــين الأمم بعزة وشرف وقوة وشأن .

---

(١) أنظر ص (١٤٦) من هذا الكتاب .

فلا عجب أن يعادي الوحدة أعداء العرب وعلى رأسهم إسرائيل .

إن إسرائيل لا تخشى شيئاً خشيتها من وحدة العرب ، وقد روى أنتوني ناتنك : « أن زعماء وزارة الخارجية الإسرائيلية قالوا له : إن حكومتهم ستلجأ الى كل وسيلة ممكنة من أجل إبقاء جيرانها العرب ممزقين [١] » .

وقال المؤرخ البريطاني توينبي : « إن القضية الفلسطينية لن تحل حلاً نهائياً إلا إذا اتحد العرب [٢] » .

وإذا عادت إسرائيل الوحدة ، وإذا عادى الإستعمار الوحدة ، فليس ذلك غريباً ، بل هو أمر طبيعي متوقع لا يمكن إلاّ أن يحدث في الوقت الحاضر وفي المستقبل .

ولكنّ أعداء الوحدة ليسوا فقط إسرائيل والإستعمار بل هناك أعداء كثيرون للوحدة معروفون للشعب العربي ومصيرهم الى الزوال .

ولعل أخطر أعداء الوحدة ، هم الذين لا يؤمنون بها ولكنهم يتظاهرون بها شعارات يرددونها ثم لا يعملون من أجلها ، أو يعرضونهـــا سلعة للبيع والشراء كأي سلعة

---

(١) كتاب شاهدت بعيني – أنتوني ناتنك (٩٣) .
(٢) أنظر : هكذا ضاعت (٢٥٦) .

أخرى ، وخطورة هؤلاء النفر أنهم يحاولون تحطيم كل وحدوي مؤمن بالوحدة من غير حزبهم أو من غير تكتلهم بالإشاعات وبالأكاذيب والمفتريات ، فيعـــاونون من حيث يدرون أو لا يدرون إسرائيـــل والإستعمار في محاربـــة الوحدويين المخلصين حقاً من العرب .

هؤلاء الفئة من الناس ، ألحقوا بشعار الوحدة أفـدح الأضرار ، وأخَّروا مسيرتها مدة من الزمن ، ولكنَّ أمرهم انكشف وأمر الذين سيسيرون على دربهم سينكشف أيضاً .

إن طريق الوحدة طويل ، والوحدة أمل كلِّ مخلص للعرب وللمسلمين ، ولكن طريقها لا يحتمله غير المؤمن (حقاً) بالوحدة ، ولا يمكن أن يحتمله (العملاء) الذين يتظاهرون بالوحدة من أجل المال أو من أجل المنصب .

إن أعظم خيانة يمكن أن يرتكبها عربي ، هي عرقلة مسيرة الوحدة من أجل متاع الدنيا ، لأن العرب لا يمكن أن يعيدوا سيرتهم الأولى ويقضوا على إسرائيل والإستعمار وأذنابه بدون الوحدة الشاملة .

كيف تتم الوحدة ؟

لا بد أن تسبق الوحدة العربية الوحدة الوطنية [١] ،

---

(١) سنتحدث عنها في بحث : أسباب للدولة العربية التي سترد وشيكاً .

فكلما كانت الدول العربية قوية كلما أصبحت وحدتها قوة حقيقية . أما إذا كانت الدول العربية ضعيفة داخلياً تعاني المشاكل والإنشقاقات ، فإن الوحدة ستكون ضعيفة ، أو تكون كما قال سعد زغلول : « جمع أصفار نتيجته صفر » .

وأن يكون بين العرب إنسجام فكري ، أو بمعنى آخر ، أن تكون لهم عقيدة واحدة تجمعهم .

فما هي العقيدة التي تشيع الإنسجام الفكري في العرب ؟

إن تاريخهم العريق قبل الإسلام وبعده ، هو الذي يعطي الجواب الواضح الصريح على ذلك .

إن الإسلام عقيدة وعملاً وتضحية وفداء ، هو الذي أثرّ في العرب فبدّل حالهم من حال إلى حال [1] .

لقد كان من فضل الإسلام على العرب ، أنه وحّد صفوفهم ، وجمع كلمتهم ، ووجّههم للفتح ، فكان الإسلام بحق ، عقيدة منشئة بناءة ذاد عنها حماة قادرون ، هم العرب الموحدون الذين أصبحوا بفضل وحدتهم قوّة جبارة ، ولن يعيدوا سيرتهم الأولى بغير الوحدة والتوحيد [2] .

---

(١) أنظر التفاصيل في بحث : أثر الإسلام في العرب (٢٦٥ - ٣٥٥) من كتاب : قادة فتح الشام ومصر .
(٢) الرسول القائد (٢٢) .

إن الإسلام كفاح لا يهدأ ، وجهـــاد لا ينقطع ، واستشهاد في سبيل الحق والعدل والمساواة ، فهو يبدأ من ضمير الفرد وينتهي في محيط الجماعـــة ، وهذا هو سر خلوده : مادة وروح ، يسيطر عليـه روح المسجد الذي هو محلٌ للعبادة وثكنة للجهاد ومدرسة للعلم ومحكمة للقضاء .

إنه ما من مسلم يستشعر قلبه روح الإسلام ، يمكن أن يمد للمستعمرين يداً أو يقدّم لهم عوناً أو يهادنهم يوماً أو يكفّ عن حربهم خفية وجهراً .

إنه ما من مسلم يستشعر قلبه روح الإسلام ، يمكن أن يدع الطغيان والمظالم والعسف يدبّ على هـذه الأرض ويستعبد الناس وقد ولدتهم أُمهاتهم أحراراً [١] .

فلماذا يخشى بعض العرب من هذا الدين على مسيرتهم ؟ إن الإسلام يدعم العرب في بـــلاد العرب ويدعم المسلمين في دار الإسلام ، ويجعـــل من العرب قوة هائلة كما جعل منهم قوة هائلة من قبل .

وأيّ معنى للعرب بدون إسلام ؟

إن العرب بالإسلام كل شيء ، والعرب بدون إسلام لا شيء ...

---

(١) قادة فتح الشام ومصر (٣٥١ - ٣٥٢) .

إنّ حاضر العرب ومستقبلهم يدعوهم الى الوحدة الشاملة لخيرهم ولخير المسلمين ولخير الإنسانية كلها .

ولكنّ وحـــدتهم لن تكون قوية رصينة إلا إذا ساد أفكارهم الإنسجام العقيدي ، وإلا فستتناقض العقائد وتصطرع فلا يكون استقرار ولا يبقى اطمئنان .

إنّ الطريق واضحة للسالكين على هدى وبصيرة .... إنها الوحدة تحت لواء الإسلام .

وصدق الله العظيم : (وكذلك أنزلناه حُكماً عربياً ، ولئن اتبعت أهواءهم بعدمـــا جاءك من العلم ، ما لك من الله من وليٍّ ولا واق [١] » .

وربما يقول قائل : وما وضع غير المسلمين من العرب مع العرب المسلمين ؟ ...

إنه لا خوف عليهم ولا بأس ، وهم عرب مثلنـــا ، عاشوا معنا مئات القرون منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم ، في وطن واحد وتحت نظام واحد .

والعرب المسلمون لم يعتــدوا على من يخالفهم في الدين أبداً ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من ظــلم معاهداً أو كلّفه فوق طاقته ، فأنا حجيجه » . وكان فــيما

---

(١) الآية الكريمة من سورة الرعد (١٣ : ٧) .

تكلم به عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبـــل وفاته : « أُوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتــل مَن وراءهم ولا يكـلّفوا فوق طاقتهم[1] ... وقال عـــلي بن أبي طالب رضي الله عنه : « إنما قبلوا عقد الذّمة لتكون أموالهم كأموالنا ، ودماؤهم كدمائنا[2] ... وكان التطبيق العملي أنّ الذين عاشوا بين أظهرنا قروناً طويلة عاشوا مكرّمين معزّزين .

إنّ الإستعمار بكلّ أشكاله شرقيـاً كان أم غربيـاً ، وإسرائيل ومَنْ وراء إسرائيل لا يخشون شيئاً كما يخشون الإسلام ، لذلك فهم لا يتّحدون ويصبحون صفاً واحداً على رغم تناقضاتهم المعروفة بين المعسكرين الشرقي والغربي، إلا ضدّ الإسلام الصحيح خوف انتشاره بين الناس عامـة والعرب خاصـــة ، وحينذاك يقضي الإسلام على مـــا يأفكون[3] .

لقد كان الإسلام هو العامــل الحاسم في إنتصار ثورة

---

(١) انظر : الخراج - لأبي يوسف (١٢٥) .
(٢) أحكام الذميين والمستأمنين (٧٠) وفي سنن الدارقطني (٢ / ٣٥٠) : من كانت له ذمتنا ، فدمه كدمنا . أنظر أحكام أهل الذمة (١ / ٣٤) .
(٣) سترد تفاصيل ذلك في خاتمة كتابنا : قادة فتح المغرب العربي .

المليون شهيد في الجزائر ، وهي آخر ثورات المغرب العربي من أجل الحرية والإستقلال .

ذلك ما يؤمن به المخلصون للعرب حقاً وللمسلمين .

أما الأدعياء والعملاء والمبتلون بالإستعمار الفكري البغيض ، فلا قيمة لآرائهم ، لأن ولاءهم للإستعمار ولأعداء العرب والمسلمين ، ولأنهم يخضعون الى (جيوبهم) لا الى عقولهم ، ولأنهم يجهلون روح الإسلام وتاريخه وحضارته ، ولو كانوا من حاملي أعلى الشهادات العلمية من جامعات الغرب ، فهم قد ملأوا فراغهم الفكري بادّعاءات أعداء العرب والمسلمين .

يقول الوزير الجزائري عمار أوزيغان : « لا يمكن لأية حركة ثورية أن تأمل بالنجاح ما لم تغرس جذورها الثورية في الواقع التاريخي » . ثم يعلق على ذلك بقوله : « إن موقفنا إزاء الإسلام يختلف لأننا ثوريون مرتبطون بالشعب ، ذلك لأن رفض الآيديولوجيا الإسلامية في بلاد مستعمرة يُضطّهد دين أكثرية سكانها الساحقة ، علامة (تجدد) أخرق تنادي به فئة منفصلة عن الشعب ، غريبة الحياة والفكر ، إمتصتها أو شلتها آيديولوجيا العدو المستعمر .

« وما أكثر الذين انتقدوا الإسلام دون أن يعرفوه ! إنهم يشاركون في الجهل (رينان) الذي لم يكن يرى

فيه إلا مذهباً هو ـ على حدّ زعمه ـ أثقل السلاسل التي حملتها الإنسانية في تاريخها [1] .. »

ولكن كان من قبل (رينان) واحد ، هو في صف أعداء العرب والإسلام .

واليوم أصبح (رينـانون) كثيرون ، منهم في صف أعداء العرب والإسلام ، ومنهم من يدّعي العروبة والإسلام .

وصدق الشاعر [2] .

قد كان ثَمّ أبو رغالٍ واحد
واليوم آباء الرُّغـال كِثارُ

إن انتصار ثورة الجزائر واتضاح طابعها العربي الإسلامي تصحيح للخطأ الفـاحش المريب الذي وقع فيه بعض (المفسرين) من المشرق العربي ، في محاولة لستر افتضاح مفاهيمهم ... هذه المفاهيم التي عاشت خلال نصف قرن تبشّر بأنه لا ثورية إلا بنفي الإسلام ومحاربة الإسلام ... ثم فاجأتهم أعظم ثورات العصر بروحها الإسلامية الكاملة ،

---

(١) الجهاد الافضل (٢٢٥ - ٢٥٦) ،وقد بدأ عمار حياته الثورية ماركسياً شيوعياً ، فوصل من خلال الثورة الى روح الإسلام والى الوجود الإسلامي .

(٢) هو الأستاذ الشاعر الكبير محمود الملاح .

فراحوا يعتذرون لثورة الجزائر ، مقسمين بأغلظ الأيمان ، أنها ظاهرة جزائرية سببها رعونة الفرنسيين ، وأنها لا تصلح للنقل ولا للتطبيق ... ولا داعي للمغالاة في أهمية هـذا هذا الحدث الذي يُرْجى زواله بإذن الله !!!

وهكذا أثبتوا أنهم ليسوا فقط عاجزين عن الإكتشاف ، بل وعاجزين حتى عن التعلّم [١] .

إن رسالة الأمة العربية هي الإسلام ، بهـا خرجنا للعالم ، فأسهمنا في تطوير الحضارة البشرية ، وأثرينا تاريخ الإنسان ، ودفعنا بالقيم الفاضلة الى مـدارج أعلى ومفاهيم أنبـل [٢] .

ولقد اعتصم شعب الجزائر بوجوده الإسلامي ، فقهر هذا الوجود محاولات فرنسا لإفناء الوجود العربي الإسلامي . وبذلك بقيت الجزائر بفضل الإسلام للعرب ولإفريقية [٣] .

وما يقال عن الجزائر ، يقال عن المغرب العربي وعن البلاد العربية كلها .

لقد انبعثت ثورات المغرب العربي كلهـا من مفاهيم إسلامية أصيلة : عروبتها في إسلامها ، وإسلامهـا في عروبتها . انبعثت من جامع القرويين في المغرب ومن جامع

---

(١) الغزو الفكري (٧) (٢) الغزو الفكري (١٣)
(٣) » » (١٥) .

الزيتونة في تونس ، ومن جمعية العلماء في الجزائر ، ومن الزوايا السنوسية في ليبيا ، فمن الحق أن نعترف بفضل هذه المعاهد على استقلال المغرب العربي وحرّيته ، لا أن نقابلها بالعقوق ونكران الجميل ونتنكر لها تنكراً لا يفيد غير الإستعمار وإسرائيل ويشفي غيظ المستعمرين منها لأعمالها المجيدة وتاريخها المجيد .

ومما يلاحظ ، أن كل حركة تحررية قامت في العالم الإسلامي ، كان أساسها الدّين ، لا يستثنى من ذلك حركة مصطفى كمال الذي أصدر منشورات تهيب بالمسلمين لنصرته ، وتمسّح بالسيد السنوسي لالتماس بركته ، ولكنه ما فتىء أن تنكر للإسلام والمسلمين بعد انتصاره ، كما يفعل غيره من المتزعمين في الأقطار الإسلامية الأخرى حينما يتمكّنون من أمرهم ، ولا يبقون في حاجة الى تملّق الشعور الديني الذي هو الرابطة الجامعة بين مسلمي المشرق والمغرب .

ونحن إذ ندعو العرب والمسلمين الى التمسك بدينهم ، إنما ندعوهم الى إحياء السنن التي كانت سبب رقيّ أسلافهم ، وإماتة البدع التي أخرّت خلفهم المتخلّف ، وبذلك نحدوهم الى التقدّم المنشود من غير أن ينسلخوا من دينهم الحق كما فعل الغربيون الذين يقتدون بهم[1] .

---

(١) مفاهيم إسلامية (٧ - ٩) .

إن الغرب لا يخشى شيئاً خشيته للإسلام كما ذكرنا :

« ومنذ أن جمع (محمد) أتباعه في مطلع القرن السابع وبدأ أول الانتشار العربي ، أصبح على العالم الغربي أن يحسب حساب الاسلام كقوة دائمة صلبة تواجهه عبر البحر الأبيض . إن قوى الغرب المسيحية كانت تواجه العالم العربي على مدى ثلاثمائة وألف سنة في نهضته وانهياره[1] » ..

وكان التبشير هو التمهيد للغزو المسلح ، ولكن خبرة المبشرين ، أثبتت استحالة تنصير المسلمين ، بل اكتشفت أن الهجوم السافر يستفزّ عناصر المقاومة . كذلك كان يعرف المبشرون أن مصير السيطرة الاستعمارية الى زوال ، وأن القوات المسلحة التي ساندت تصرفاتهم ونشاطهم زائلة ، فأعدوا غزواً من نوع آخر ، هو الغزو الفكري .

بهذا الغزو حاولوا ترتيب عقل المسلم ، بحيث يفكر منطلقاً من مقدمات صليبية دون أن يخلع دينه ، ولا حاجة لتعميده بالماء المقدّس ، فقد عُمدّ بالفكر غير المقدس .

---

(١) من مقدمة كتاب : العرب ـ أنتوني ناتنك ـ لندن ـ ١٩٦٤ ، نقلاً عن : الماركسية والغزو الفكري (٢٣) .

وإذا تشرب المسلم طقوس الحضارة الغربيــة — وهي حضارة مسيحية في سداها ولحمتها — واطمأن إليها ، بــل أيقن بفواقها عليه ، لا مجرد الفواق المادي ، بل أيضاً الفكري والرّوحي ، انهارت مقاومته وأصبح كالمدينة المفتوحة عنوة مستباحة لكلّ ناهب ومقتحم .

إن سبيل إحياء كلّ حضارة ، هي ايمانها بفواقها واعتزازها بخصائصها .

وما أسخف أن نتهم بمعاداة التقدم العلمي والصناعي الغربي ... بالعكس[1] ... إن ما نعنيه بالغزو الفكري أو الاستعمار الفكري هو : أن تؤمن بأن عدوّك الألد هو وليّ نعمتك ... وأن ينشأ جيل يؤمن بأنه يدين حتى بالحرّية لأوربا ... لا أنه فقد الحرّية بسبب أوربا التي احتلت بلاده وقضت على حريتها[2] .

« ولكن الغرب مــازالت له (السيادة) في الميدانين الإقتصادي والثقافي ، فالسيطرة الثقافية المستمرة للغرب هي بقية من بقايا سيطرته السياسية السابقة . أما على الصعيد السياسي ، فإن البلاد التي كانت خاضعة لسيطرة الغرب بطريقة مباشرة ، قد استردت الآن كلها تقريباً استقلالها من

---

(١) الماركسية والغزو الفكري (٤١) .
(٢) الغزو الفكري (١٣٧) .

الغرب . ولكن هذه البلاد التي استقلت سياسياً ، مازالت غير متحرّرة تماماً من الوجهة الثقافيـــة ، فهي لا تزال متأثرة بالأفكار والمثل العليا الغربية دون تمييز ودون أي انتقاد لها [1] » .

« على أن كل هذه البـــلاد التي نجحت في أن تحرر نفسها من سيطرة الغرب السياسية ، قد استغلت حريتها على نحو غير متوقع على الإطلاق . فقد ناضلت هذه البلاد بعنف شديد ضد السيطرة السياسية للغرب ، ويمكن القول بأن كفاحها هذا قد كـُلـِّل بالنجاح في كل الحالات حتى الآن . ولقد كان من المتوقع بعد أن تمكنت من أن تتحرّر سياسياً من الغرب ، أن تستخدم هذه الحرية الجديدة التي اكتسبتها في النضال ضد المدنية الغربية بوجه عـام . أي إنه كان من المتوقع أن تستخدم هذه البلاد حريتها المكتسبة حديثاً لكي ترجع الى أسلوبهـا التقليدي في الحياة ، وهو الأسلوب الذي كان سائداً في حياتها قبل أن يسيطر عليها الغرب . ولكن الذي حدث في جميع الحـالات تقريباً ، كما نعلم ، هو أن البلاد التي تحررت حديثاً قد استخدمت حريتها للغرض العكسي تماماً ، أي أنها قد استخدمتهـــا لتقتبس بمحض اختيارها عناصر من المدنية الغربية ، أعني

---

(١) محاضرات آرنولد توينبي (٣٥) .

من أُسلوب الحياة الحديثة ، وقـــد فعلت ذلك بحماسة ، وبلغت حماستها هذه حداً لم يكن الحكام الغربيون السابقون يجرأون على أن يفرضوا به المدنية الغربية عليهم — ذلك لأن نظام الحكم الأجنبي يتعيّن عليه دائماً أن يكون أكثر حـــذراً من نظام الحكم القومي ، وهناك أُمور لا يجرؤ النظام الأجنبي على فعلها مطلقاً ، ومع ذلك يجرؤ عليهـا النظام القومي [1] » .

« ولكنني أعتقد أنـه سيكون من سوء حظ الجنس البشري كله ، وضمنه الغرب ذاته ، أن يتجـه الجزء غير الغربي من العالم الى قبول المدنية الغربية بكل عناصرهـا دون تمييز ، ودون تفرقة بين ما هو نافع ومـا هو ضار فيها ، وأقول : إن هذا يكون من سوء الحظ ، لأن المدنية الغربية شأنها شأن أي مدنية أُخرى فيها أوجه نافعة وأوجه ضارة [2] » .

« ذلك لأن المستوى المادي للمعيشة ، ليس غـاية في ذاته ، وإنما هو وسيلة لغاية أُخرى ، هي رفع المستوى الروحي [3] » . « وعلى ذلك فمن وراء رأس المال المادي ، يوجد رأس المال الإنساني ، وهو أهمّ رأسمال يملكه البشر [4] » .

(١) محاضرات آرنولد توينبي (٣٦) .
(٢) » » » (٣٧) .
(٣) » » » (٤٠) .
(٤) » » » (٤٢) .

إنّ الإسلام [1] هو القوة التي تخشاهـا الصهيونية ، ويخشاها الإستعمار ، ولا قوة غير الإسلام تقضّ مضاجع الأعداء .

وهناك ظاهرتان جديرتان بالنظر والإعتبار في تحرير الشعوب العربية والإسلامية من الإستعمار الغربي ، منذ ابتدأت حركات التحرر في القرن التاسع عشر حتى الآن .

الظاهرة الأولى : أن المشعل الذي كان يقود هذه الحركات هو مشعل الإسلام ، وأن بذور الثورات ضد الإستعمار كانت المبادىء والتعاليم الإسلامية . ففي مصر والهند ، وفي المغرب العربي وفي اندونوسيا ، وفي تركيا ، والبلاد العربية ، وفي البلاد الإفريقية الإسلامية التي ينتمي أكثر سكانها الى الإسلام ، كان القرآن الكريم والتمسك به مصدر الثورة وباعث حركة التحرر فيها ، وكان العلماء

---

(١) عقد في (كمبردج) - انكلترا ، مؤتمر يهودي مسيحي لتوثيق التعاون بين الدينين ، وقد صدرت مقرراته يوم ٦٦/٨/١٢ التي تتلخص بحث الكنائس المسيحية على عدم مهاجمة يهود والإستغفار عما كان منها في السابق !! طبعاً المصلحة من هذه المقررات ليهود فقط ، قال الكاتب الإنكليزي شسترون (A.K. Chestrion) : « أعرف كثيراً من يهود يعملون على تحطيم يقين الامم بالديانة المسيحية » . وجاء في البروتوكول الرابع عشر لحكماء صهيون : « حينا نمكن لأنفسنا فنكون سادة العالم ، لن نبيح قيام أي دين غير ديننا » .

وطلاب الجمعيات والمعاهد الإسلاميــة هم المضحّين والفدائيين في العمل على طرد الإستعمار .

والظاهرة الثانية : أن الذين تولوا توجيه السياسة بعد الإستقلال ، ونجاح هذه الحركات نجاحاً جزئياً في الشكل السياسي — من الذين تثقفوا على الغرب (المستعْمر) ، ولم تكن لهم صلة قوية بالإسلام وتاريخ دعوته وفهم مبادئه .

كان أرباب (القــديم) محركي الثورات وقادتها ، وأصحاب (الجديد) هم روّاد الدولة وساستها ، وأسباب ذلك عديدة : منها ما يعود الى العلماء أنفسهم ، ومنهــا ما يرجع الى السياسة الإستعمارية منذ أن احتلت بلداً من هذه البلاد .

ولولا الدّعوة الى الإسلام وتعــاليمه ، ولولا حضّ المسلمين على مقاومة الإستعمار باسم الإيمان بالإسلام والجهاد في سبيل الله ، ما أثـّرت حركة تحريرية في هذه البلاد ، ولذاب مجتمع (العبيد) في مجتمع (الأحرار) .

فالإسلام في أي بلد ، واللغة العربية معه في البــلاد العربية ، كان جماع التاريخ لكل بلد ، ووعاء الأمجــاد والكفاح من أجل القيم العليــا لماضي كل شعب من هذه الشعوب ، وبذلك حفظ الإسلام للشعب كيانه وشخصيته ومقومات هذه الشخصية .

وهناك ظاهرة ثالثة تصحب هاتين الظاهرتين : وهي ظاهرة العجز عن تحويل مجتمعات هذه الشعوب بعد استقلالها الى مجتمعات إسلامية ، وجعل القيم الإسلامية فيها أُصولاً وأهدافاً لها .

ولعل ُبعْد صلة رواد السياسة فيها – بعد الإستقلال – بالمبادىء الإسلامية وفهمها فهماً سليماً ، بالإضافة الى صنوف التبعيَّات الإقتصادية والثقافية والسياسية والتعليمية التي أحكم المستعمر شدّ وثاقها باتجاهاته وبجوانب حياته في بلده الأصيل ، من الأسباب التي وقفت في طريق هذا ، التحويل ، إن كانت هناك يوماً ما رغبة فيه .

والذي يبدو في أُفق هذه المجتمعات حتى الآن ... الإكتفاء بالإشارة الى أن الإسلام دين الدولة الرسمي ! وقد تلقى هذه الإشارة أحياناً معارضة يحملها المجدّدون أولياء الإستعمار الماضي ومن الذين يخدعون أنفسهم باسم (العلمانية) .

والإشارة – مع ذلك – الى أن الإسلام دين الدولة الرسمي ليس لها صدق ما أو واقع في حياة المجتمع ، سوى ترك الأفراد يتردّدون على المساجد في أُسلوبها التقليدي وضعف فاعليتها في التوجيه [١] .

---

(١) مقدمة تفسير إبن باديس ـ المقدمة بقلم الدكتور محمد البهي (٥ ـ ٧) .

حين كان العرب متمسكين بالقرآن ، أقاموا (وحدة) رصينة ، وأسسوا (دولة) عظيمة ، وأنشأوا (حضارة) خالدة ، وكوّنوا (قوة) هائلة ، وحملوا (رسالة) سماوية واجبة الأداء للعالم[1] .

واللغة العربية الفصحى هي من مقوّمات الوحدة ، وهي من مقومات حاضر العرب ومستقبلهم ، وهي صلة العرب بتراث آبائهم وأجدادهم .

إن الدعوة الى العامية دعوة مريبة هدفها جعل الشعب العربي شعوباً وجعل الأمة الواحدة أمماً ، وجعل القرآن مهجوراً خلال فترة من الزمن بعد رسوخ أقدام العامية ، لأن لغته تصبح غير مفهومة للعرب أنفسهم إلا بعد ترجمتها الى العامية ، كما أصبحت اللّاتينية غير مفهومة من الفرنسيين والإيطاليين والإسبان .

فلمصلحة من هذه الدعوة المريبة ؟ ولمصلحة من نكسر أقوى أسلحة الوحدة بأيدينا[2] ؟

فكيف تتم الوحدة ؟

---

(١) أنظر التفاصيل في الفاروق القائد (١١ - ١٦) .
(٢) تحية للاستاذ الشاعر عزيز أباظة في قولته عن دعاة العامية : « إنهم قليلو العدد ، ولكنهم كثيرو المدد » .

الذين درسوا تاريخ الوحدات كالوحدة الألمانية والوحدة الإيطالية ، يعرفون أن هذه الوحدات تمت بالقوّة .

وقد كانت تلك الوحدات في القرن التاسع عشر ، فهل تنجح القوة وحدها في تكوين الوحدات اليوم ؟

وقد تكوّنت وحدات – خاصة في إفريقية – بعد استقلال دولها بالقوة أو بما يشبه القوة ، فهل استمرت تلك الوحدات ؟ .

على كل ، فالمتفق عليه ، أن الشعوب هي التي تقيم الوحدات ، فاذا أقامت الشعوب وحدةً فلن تنفصم عراها .

ولكن الشعوب لا تقيم وحدة إلاّ إذا اقتنعت بأن مصلحتها العليا في تلك الوحدة ، فإذا اقتنعت بذلك فلن يحول دون تحقيق الوحدة حائل .

والشعوب إذا شاع بينها انسجام فكري واحد ، يوجهها الى أهداف واحدة ، ويجعلها تؤمن بمثُل عليا واحدة ، فإنها تُقدم على إقامة هذه الوحدة .

وقد تكلمنا عن كيفية إشاعة الإنسجام الفكري بين العرب فيما سبق ، أما أن يعتنق كلُّ فرد أو جماعة عقيدة مبتكرة أو مستوردة ، فإن ذلك يؤدي الى الفرقة

لا الى الوحدة ، ويبقى كل حزب يناحر الحزب الآخر ويسبغ عليه النعوت المعروفة تشنيعاً واتهاماً ، وكلُّ حزب بما لديهم فرحون .

فإذا تشعّبت العقائد وتكاثرت ، تفرّقت الأهداف وتناثرت ، فلا يكون هناك اتحاد ، بل يكون هناك افتراق .

والعرب في الصدر الأول للإسلام ، قد توّحدوا بالعقيدة ، فأصبحوا وحدة قوية وجدت لها متنفساً بالفتح الإسلامي العظيم .

ولكن الإنسجام الفكري يحتاج الى دعم آخر ، وهو إفهام العرب بأن مصلحتهم العليا في الوحدة ، وأن بقاءهم متفرقين لا يفيد غير إسرائيل والإستعمار ، ويلحق بمصالح العرب في حاضرهم ومستقبلهم أفدح الأضرار .

والعرب في حاضرهم تفصل بين أقطارهم في الوطن العربي الكبير سدود وحدود ، عمل الإستعمار بكل طاقاته على تثبيتها وترسيخ أقدامها ، كما عمل أذنابهم على تعميق وجودها والإستقتال في سبيل الإبقاء عليها .

أما العرب أنفسهم ، فلا انسجام فكرياً بينهم ولا عقيدة واحدة تعبر عن أهدافهم .

فلمصلحة مَنْ تبقى السُّدود والحدود بين البلاد العربية ، ولفائدة من تبقى الأهواء والنزعات بين العرب ؟ .

إنّ وحدة العرب ليست مجرّد أمل يراود السّاسة ، بل هي حقيقة تتغلغل في طبيعة الأشياء ، إذ لا يمكن في هذا العصر الذي امتاز بتجمع الشعوب وتكتّلها ، أن تبقى أقوام عربية متجاورة ، تربطها أواصر الدين واللّغة والجنس والتقاليد ووحدة المصلحة والشعور متفرقة دون أن تتّحد . هذه الرّقعة العربية عاشت دهراً طويلاً في ظل راية واحدة : مزدهرة بحضارتها ، قوّية باتحادها ، فلمصلحة من يتناثر هذا العقد النضيد ويتفرّق بددا ؟ ! ألمصلحة الأمة العربيّة ، وهي أمة واحدة ، في تفرّقها الوهن وفي اتحادها القوّة ؟ أم لمصلحة الحضارة العالمية ، وهذه الحضارة تحقق كسباً عظيماً في رجوع الحضارة العربية الى سابق عزّها التليد ؟ .

إن وحدة البلاد العربية آتية لا ريب فيها – رضينا أم أبينا – فهذه سنة الحضارة البشرية ، ونحن لا نملك من أمر هذه الوحدة إلاّ أن ننظم الإتجاه إليها ، فنسيّرها ونعجّل بها .

لقد عاش الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام

حياته الغالية في مكة المكرمة ، موحّداً من أجل الجهاد .

وعاش حياته المباركة في المدينة المنوّرة ، مجاهداً من أجل التوحيد .

فكانت حياته كلها توحيداً من أجل الجهاد وجهاداً من أجل التوحيد .

والذين جاءوا من بعده من الخلفاء الراشدين، سلكوا طريقه واقتفوا آثاره في التوحيد والجهاد .

وكل من يريـد خدمة العرب والمسلمين ، لا بدّ من أن يسير على نفس الطريق ليحصل على نفس النتائج .

أقولها صريحة حاسمة موجهة لقادة العرب خاصة ولقادة المسلمين عامة .

إن التاريخ لم يخلـّد غير الذين وَحّدوا وجاهـدوا .. وَحدوا الصفوف ولمّوا الشّعث ، وكوّنوا قوّة موّحـدة من قوى متفرقة ، وجاهدوا في سبيل مُثل عليـا لمصلحة أمتهم ، ولمصلحة الإنسانية ، فالحياة تافهـة إذا خلت من مُثـل عُليا .

وهذه البلاد العربية متفرقة ، وفيها ميدان واسع لمن يريد العمل (حقاً) لتوحيدها .

وهذه فلسطين فيها ميدان واسع لإنقاذها ...

وهذا التاريخ يفتح أنصع صفحاتــه لتخليد من يوحِّد ويجاهد .

إن المسؤول الذي يُقدم على توحيــد العرب وجهـــاد أعدائهم ، سيجد القلوب في الوطن العربي تهوي إليه ، وسيجد النفوس في دار الإسلام تبارك خطواته ، وسيجد الذين يقاومون جهوده يتهاوون تحت أقدامه كما تتهاوى أوراق الشجر في الخريف .

وأخيراً سيجد أن الضعف أصبح قوة ، وأن الفقر أصبح غنى ، وأن الجهل أصبح علماً ، وأن المرض أصبح صحة ، وحينذاك سيكون العرب قوة لها شأن في العــالم كله تعيد للمسلمين عزهم ومجدهم [١] .

بالوحدة تموت إسرائيل ، وبالفِرْقة يطول عمرها .

والقائد العربي الذي يعدُّ العـــدَّة للقضاء على إسرائيل إعتماداً على بلاده ، ويقضي عليها فعــلاً ، سيحقق للعرب وحدتهم بإرادة الشعب العربي ، كما حقق صـــلاح الدين الأيوبي الوحدة بعد انتصاره في (حطين) وطرد الصليبيين من فلسطين .

والتاريخ يعيد نفسه ...

---

(١) الرسول القائد (٢٣ - ٢٤) .

فمن هو ابن العرب البار ، الذي يقضي على إسرائيل، فيرفع رايات الوحدة في (تل أبيب) ، لا في بـلد آخر من بلاد العرب ...

إن الشعب العربي سيبايـع من يفعل ...

وسيحطم من يقف حجر عثرة في طريقه ...

وسيعيد للعرب سيرة الخلفاء الراشدين وسيرة صلاح الدين.

فمتى يظهر النور فيبدّد الظلام ...

وفي أي هزيـع من الليل نحن ؟

يا نصر الله اقترب ...

والخلاصة

- ١٤ -

إن القيادة العربية الموحـدة مكسب من أثمن مكاسب مؤتمرات القمة ، وإسنادها مادياً ومعنوياً من أهم واجبات العرب ، والتشكيك في جدواهـا لا يخدم غير إسرائيل ومَن وراء إسرائيل .

ذلك هو واجب العرب نحو قيادتهم الموحدة ، أمـا مسؤولية تلك القيـادة نحو العرب ، فأن تحقق آمالهم الكبار المعقودة عليها وتعدّ العدة للنصر في معركة الثأر .

ومؤتمرات القمـة حققت للعرب كثيراً من أهدافهم الحيوية التي عجزوا عن تحقيقها منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٤ ، وهي مظهر من مظاهر التقارب العربي ، والسبيل الى حلّ اختلافاتهم وجهاً لوجه .

فيجب أن نحرص على استمرار عقدها ، ولا نفرّط فيها ، ولا نفسح المجال للتشكيك في فوائدها .

والتضامن العربي خطوة كبيرة في طريق التقارب العربي ، فيقتضي تنفيذ مضمونه نصاً وروحاً من أجل فلسطين إذا لم يكن من أجل شيء آخر .

والجامعة العربية ، هي شعرة معاوية ، إذا لم تحقق للعرب كل آمالهم فيها ، فهي بدون شك العقد الوحيد الذي يجمعهم إذا اشتدت خلافاتهم وفشلت أساليب جمعهم الأخرى .

وتحويل روافد نهر الأردن ، مكسب مادي ومعنوي للعرب ، والتفريط في تنفيذه تفريط في قيمة العرب المعنوية بين دول العالم ، فيجب أن ينفذ هذا المشروع مهما تكن الظروف والأحوال .

والمال عصب الحرب ، فلا بد أن تؤدي الحكومات العربية التزاماتها المالية كاملة في الوقت والزمان المعينين بالضبط .

وإذا لم يبذل أصحاب المال بعض مالهم اليوم من أجل فلسطين ، فسيبذلون سلطانهم وأرواحهم غداً ، فلينظروا ماذا يفعلون .

والتنسيق الإقتصادي سلاح رهيب بيد العرب ، يؤدي

الى اكتفاء العرب ذاتياً من الناحية الاقتصادية ، ويحرم إسرائيل ومن وراء إسرائيل والاستعمار الجديد من التستر وراء المعونات الاقتصادية ومن سلاح الحصار الاقتصادي لفرض إرادته على العرب.

والتنسيق الصناعي ، يؤدي – ضمن ما يؤديه للعرب من خدمات – الى اكتفاء العرب بما تنتجه معاملهم من أسلحة وعتاد وتجهيزات عسكرية ، وعندذاك يصاولون إسرائيل وأقدامهم ثابتة رصينة على الأرض .

والتنسيق الإعلامي ، يجعل أجهزة الإعلام العربية للعرب لا عليهم ، ويفضح نيات إسرائيل العدوانية ويكشف حقيقتها المزيفة للعالم .

وتنسيق التعاون الخارجي ، يضاعف مكانة العرب بين الدول ويقوّي مركزهم في المؤتمرات والهيئات الدولية ، ويحدّد نشاط إسرائيل الخارجي ، ويعمل على عزلها عن الدول الأخرى .

وتنسيق التعليم يؤدي الى إشاعة الإنسجام الفكري في العرب وينقذهم من الإنحراف ومن الاستعمار الفكري ومن التحلل الخلقي .

والتنسيق الإقتصادي ، والتنسيق الصناعي ، والتنسيق الإعلامي ، والتنسيق الخارجي ، وتنسيق التعليم ، كلها خطوات كبيرة ثابتة رصينة في طريق الوحدة العربية

الشاملة ، وهي في نفس الوقت أركان الوحدة ودعائمها المتينة .

والوحدة قدر ، والقدر أقوى من البشر ، بها يكون العرب كل شيء ، وبدونها يكون العرب لا شيء . وهي سلاح يقضي على إسرائيل ، والتفرقة سلاح يقضي على العرب .

وإذا كانت الوحدة ضرورية أبداً ، فإنها أصبحت أكثر من ضرورية بعد خلق إسرائيل . إنها قضية مصير ... إنها قضية حياة أو موت .

والذين يقاومون الوحدة نكاية بأشخاص معينين ، مخطئون كالذين يريدون الوحدة من أجل أشخاص معينين .

إن الوحدة الى بقاء ، والأشخاص الى فناء ، فيجب أن نعمل للوحدة من أجل الوحدة ومن أجل عزة العرب ومجدهم ومن أجل القضاء على إسرائيل .

تلك هي أسباب النصر للدول العربية مجتمعة ، فما هي أسباب النصر لكل دولة عربية على انفراد ؟

أَسبابٌ للدّولة العربيّة

تقوية الجيش

- ١ -

في التطهير الأخير[1] الذي حدث في الحزب الشيوعي الصيني ، جرى تطهير رئيس أركان الجيش الصيني ، وكان سبب تطهيره كما أذاعت الصين وردّدتها الإذاعات العالمية الأخرى : « أن رئيس أركان الجيش انصرف لقضايا الجيش أكثر من انصرافه الى قضايا الحزب » .

لم يشفع لهذا الضابط الكبير ، أنه من مؤسسي الجيش الصيني ، وأنه أفنى زهرة عمره في إعداد هذا الجيش ، وأنه كان من ألمع ضباط الجيش الصيني علماً وعملاً ، وقد كان هو بالذات حزبياً ، ولكن لم يكن –

(١) التطهير الذي بدأ في النصف الثاني من عام ١٩٦٦ .

كما يظهر – حمرته غامقة ، بل كانت حمرته خفيفة ، ولولا ذلك لسخّر الجيش للحزب ، ولأعار القضايا الحزبية اهتماماً أكبر من قضايا الجيش ، ولو فعل ذلك لبقي في الجيش ما بقيت الشيوعية في الصين أو يتوفاه الله .

وفي حالة تسخير الجيش للحزب ، لا يكون قائداً ، بل يكون مهرّجاً . والضابط الحق يعيش ضابطاً ويموت ضابطاً ، ولا يرضى لنفسه أن يكون مهرجاً حتى ولو جاءته الدنيا طوعاً وخلد في المناصب وفي الحياة .

وإذا كان الإخلاص للجيش – بالنسبة لهذا القائد الصيني – هو إخلاصاً للصين ، وإذا كان رائد الحزب الشيوعي هو الإخلاص للصين أيضاً ، فما كان ينبغي أن يطهّر مثل هذا القائد ، لأن رائد الجميع هو الإخلاص . أما وإنه عوقب بالتطهير وبالتشهير أيضاً ، فمعنى ذلك أن الإخلاص للحزب أولاً ثم الإخلاص للوطن أخيراً .

إنّ المنطق السليم ، هو أن (الكلّ) أهم من (الجزء) ، ومصلحة (الكلّ) فوق مصلحة (الجزء) ، وفي هذه الحالة ، تكون مصلحة الصين أهم من مصلحة الحزب .

ولكنّ منطق الأحزاب يخالف ذلك تماماً .

إنّ العسكريّ المخلص لوطنه ، الحريص على إعلاء

شأنه ، هو الذي يبذل كلَّ جهده لخدمة جيشه كأنما خلق لهذا الغرض فقط دون أن يضيّع طاقاته بدداً في أمور جانبية أخرى .

وإذا ُكتِبَ لبلد ما أن يقوم كلُّ فرد من أبنائه بواجباته المسؤول عن إنجازها موظفاً مدنياً أو عسكرياً ، فإن ذلك البلد سعيد غاية السعادة بأبنائه وسيشق طريقه ُقدماً نحو التقدم والرقي .

إنّ الإخلاص للوطن ، هو القيام بالواجب بحرص ودّقة وإتقان ، والإبتعاد عن كلّ ما يمس الوطن من بعيد أو قريب بضرر مهما يكن ذلك الضرر طفيفاً ، وأن يكون ولاؤه للوطن ولمصلحته العليا أولاً ، لا يوالي عدواً لوطنه ولا يجامل على حساب المصلحة العامة ، ويقاوم الظلم والظالمين ، ويعادي الإستعمار وأذنابه ، وأن يكون مستقيماً في سيرته ، يعتبر نفسه حين يكون في المسؤولية خادماً لأفراد شعبه لا سيّداً لهم .

تلك هي بعض مزايا الذين يعملون من أجل بلادهم حقاً ، ويضاف الى العسكري مزّية معرفة واجباته العسكرية كلّ المعرفة ، وأن يدأب على تجديد معلوماته العسكرية باستمرار ، لأن المعلومات العسكرية تتجدّد كلّ يوم ، فاذا لم يلاحق العسكري ما استجدّ من معلومات ،

فإن القطار سيفوته ويبقى متخلفاً في المحطة ولا يصل الى هدفه في خدمة الجيش .

هذه هي الخطوط العريضة لمزايا العسكري ، أما القائد العسكري ، فيجب أن يتحلى زيادة على ذلك بمزايا أخرى ، أهمها قابلية إعطاء القرارات السريعة الصحيحة ، وقابلية التنفيذ ، وأن يكون موضع ثقة رجاله ومحبتهم ، وهو بدوره يبادلهم حباً بحب وثقة بثقة ، وأن يكون قويّ الشخصية ذا إرادة وسيطرة ، له ماضٍ ناصع مجيد .

ولقد ذكرت هذه المزايا لأطالب قادة السياسة العرب أن يقتصروا عليها في العسكريين ، وألاّ يحملوهم من أمرهم ما لا يطيقون .

وإذا كان المرء مخلصاً لعقيدته وأمته ووطنه حريصاً على مثله العليا ، أميناً على مصير بلاده ، فلا بدّ أن يذكر بصراحة ، أن الجيوش العربية فقدت كثيراً من القادة الممتازين لأنهم لم ينجرفوا في تيار الحزبية ، أو لم يجاملوا دون مبرر مسؤولاً حزبياً ، أو لم يستمتعوا بالشعارات الحزبية ، أو لم يستطيعوا أن يتهاونوا في واجباتهم العسكرية لغرض حضور الإجتماعات وسماع الخطب ، أو وجدوا أنّ كرامتهم لا تطاوعهم أن يكونوا هتافين ... الخ

إنّ العسكري الحق ، يستغرق عليه عمله العسكري

بياض يومه وقسماً من سواد ليله ، وحين يأوي الى فراشه متعباً تراوده الأفكار والآراء التي يخدم بها جيشه .

ولست أنسى كيف كنا نذهب الى المعسكر مشياً على الأقدام ، فإذا وصلنا قاعات الجنود وجدناهم يغطون في نومهم ، لأن بوق النهوض لم يصدح ، ولأن وقت النهوض لم يحن ؛ وكان الضباط يدخلون قاعات النوم على رؤوس أصابعهم ، لئلا يوقظوا جنودهم ، فاذا صدح بوق النهوض كان أول ما يفتح الجنود عيونهم عليه هو منظر ضباطهم ، يشجعون هذا ، ويداعبون هذا ، ويسألون عن صحة أحد الجنود ، ويستفسرون عن مشاكلهم . فاذا نهض الجنود ، نهضوا حديداً ، وهم قد صمموا على أن يؤدوا واجبهم اليومي تدريباً وحراسة وعملاً وتهذيباً وتثقيفاً .

فاذا انتهى الدوام الرّسمي ، وعاد الجنود الى القاعات ، آوى الضباط الى مقرّاتهم لينجزوا واجباتهم الإدارية ، وليعدوا مناهج التدريب ، وليكتبوا المحاضرات ، ولينظموا دروس التهذيب . فاذا أكملوا كلّ ذلك ، يمّموا شطر دورهم ومع كل ضابط منهم حقيبة مثقلة بالتمارين والمحاضرات والسجلات الإدارية زاداً يقضون به وقتهم في الليل .

إنّ الواجبات العسكرية تحتاج الى كل وقت الضابط الذي ينظّم وقته ويحاسب نفسه على اللّحظات ، ثم يجد

وقته أقلّ بكثير من واجباته ، وإذا كان هناك من يتمنى أن يمتدّ الوقت ويطول ، فهم الضباط في الجيش .

وإذا قدّرنا أن موسم التدريب الفردي أقل عملاً من موسم التدريب الإجمالي ، وأنّ على الضابط واجبات إضافية ليست من صميم واجباته الأصلية ، ولكنّه يُدعى لتحمّل أعبائها كالفيضان مثلاً ، إذ لولا الجيش لغرقت بغداد عام ١٩٥٤ ، قدّرنا كم هي واجبات الضابط في أيام السلام .

فكم تكون واجبات الضباط أيام الحرب ؟ !

ولقد دعي للخدمة في الجيش محامون ومهندسون وأطباء وصيادلة ، فلما رأوا الجهد الذي يبذله الضباط ، أبدوا دهشتهم وذكروا أن ما يبذله الضباط فوق طاقات البشر .

إنّ من مصلحة الشعب والوطن أن يُترك العسكريون يتفرّغون لواجباتهم العسكرية ، فلا يزّجون في خِضَمّ[1] السياسة ذات الأمواج المتلاطمة والمدّ والجزر .

والجيش الذي يعمل في السياسة ، ولا يعمل في واجبه ، ليس جيشاً ، بل هو حزب من الأحزاب .

---

(١) الخضم : البحر الواسع .

بل إن الجيش الذي يتغلغل فيه حزب ما ، يكون ردّ الفعل فيه تغلغل حزب يقاوم الحزب الأول ، فيبدأ التناحر بين الحزبين أو بين الأحزاب فيه ، ويختل الضبط ولا يتعاون رجاله تعاوناً صادقاً ، بل يتربص كل حزب فيه بالحزب الآخر .

والجيش ضبط وتعاون ، ولا جيش بدون ضبط ولا تعاون .

وقد رأينا عجباً في أيام عبد الكريم قاسم ، حيث حاول الحزبيون أن يستحوذوا على الجيش العراقي ، فكان صراع عنيف ، وكانت مآسي ، وانتهت المأساة بالقضاء على قاسم العراق .

وكلُّ مخلص للجيش ، لا يحبّ أن تتكرر تلك المأساة المحزنة مرة أخرى .

وأرجو ألاّ يصل الغباء بأحد فيقول : الجيش من الشعب ، فلا بد أن تؤثر فيه ما تؤثّر على الشعب من تيارات حزبية ، فينخرط أفراده في الحزب الذي يفضلونه على غيره .

ومعرفة التيارات السياسية شيء ، والإنغمار فيها وترك الواجب الأصلي شيء آخر .

وتلمُّس آلام الشعب وآماله شيء ، والإنتساب الى الأحزاب شيء آخر .

إن حزب الجندي ، هو العسكرية بما فيها من تكاليف ، والجندي المثالي مطيع يتحلى بالضبط المتين ، ولاؤه لضباطه وقادته في الجيش ، لا للمسؤولين الحزبيين في خارجه .

فإذا كان ولاء الجندي مزدوجاً ، أو كان ولاؤه لحزبه لا لقادته ، فلا يسمى هذا الجيش جيشاً ، بل هو شيء آخر بعيداً عن الجيش .

وقد كان هتلر لا يحب المشير فون رونشتد [1] ولا أمثاله من العسكريين المحترفين ، ولكنه أبقاهم في الجيش حفاظاً على كفاية الجيش وصلابته .

ولعلّ من أسباب اندحار ألمانيا في الحرب العالمية الثانية ، هي محاولة هتلر زج الجيش الألماني في السياسة ، وثقته بالضباط الحزبيين وتفضيلهم على غير الحزبيين ، دون النظر الى الكفاية والمقدرة العسكرية .

وتدريب الجيش وإدارته ، مهنة يتقنها الضباط ذوي الكفايات العالية ، المتفرغون لواجباتهم العسكرية فقط ، وقد لا يعرفها الذين كرّسوا أوقاتهم للسياسة وللحزبية ، ولم ينصرفوا كلياً لخدمة واجباتهم العسكرية في الجيش .

وقد يكون بإمكان المرء أن يكون رئيساً للجمهورية أو

---

(١) أنظر كتاب : المشير فون رونشتد ـ الجنرال كونثر بليمونتريت ـ بيروت ـ ١٩٦٥ ـ الطبعة الثانية .

رئيساً للوزراء أو وزيراً ، ولكن ليس بإمكان كل رجل أن يكون ضابطاً في الجيش بكل ما في الضابط من معنى .

والبزّة العسكرية ، وحمل الرتب والنياشين ، ليست كافية ليكون الضابط ضابطاً حقاً ، إذ لا بدّ من سهر الليالي والعمل الدائب والفهم الصحيح والحرص الشديد واليقظة والإنتباه والتفرغ الكامل ليصبح الضابط ضابطاً مفيداً لا من قوارير .

وكم يحزُّ في نفس المخلص لشعبه ، أن يجد الكفايات العالية من الضباط في دورهم ، حرمتهم الظروف من مهنتهم التي أخلصوا لها ، وأكثرهم لا يعرفون حتى اليوم كيف ولماذا حرموا من شرف الخدمة العسكرية .

ولا يهزني شيء هزاً عنيفاً ، كما يهزني سماع أنباء إحالة ضباط ممتازين الى التقاعد [١] ، وهم في أوج مقدرتهم على العمل .

تُرى ! أما لهذا الليل من آخر ؟!

والذين يحاولون أن يجعلوا أُمور الجيش في أيدي ضباط ضعفاء ، كالذين يحاولون أن يجعلوا من المهندسين مثلاً أطباء .

وكما أن الطبيب المزيف ، يقضي على المرضى ويسكنهم

---

(١) المعاش .

القبور ، فإن الضابط المزيف يسوق جنـــوده الى الموت الزؤام .

ولكن الفرق بين الطبيب المزيف والضابط المزيف ، أن الأول يقضي بالموت على الأفراد ، وأن الثـاني يقضي بالموت على الجماعات .

إن الضابط الممتاز ، والقائد الممتاز ، لا يمكن أن يكون كذلك بإصدار المراسيم أو بإعطاء الرتب دون مسؤولية ولا نظام .

إن المراسيم لا تصنع ضابطاً وقد تصنع سياسياً ، والحزب لا يصنع ضابطاً بأمر حزبي وقد يصنع رئيساً للوزراء .

وسيقول الحزبيون : وكيف نطمئن الى ولاء الجيش إذا لم نجعل قيادته بيد الحزبيين ؟

أولاً : إن الجيش خاضع للسياسيين ، ومن واجبـــه تنفيذ أوامرهم .

ثانياً : إن تولية حزبي أو حزبيين قيادة الجيش دون حق يؤدي الى نتـــائج عكسية ، إذ يخسر الحزب ولاء الجيش الى الأبد ويشيع فيه التذمر .

كما أن حزبياً أو عدداً من الحزبيين ، لا يمكن أن يسيطروا على جيش كامـــل ، ومصير الحزبي أو الحزبيين

الفشل الأكيد .

ثالثاً : إن قيادة الجيش القوية الأمينة لا يمكن أن تضرب أحداً من الخلف .

رابعاً : إن الذي يضمن ولاء الجيش للحزب أو للسياسيين، هو أعمالهم المجدية للشعب والوطن .

ولا ولاء لمن يلحق بشعبه وبلاده الأضرار كائناً من كان .

ومن الخطأ الفاحش الذي لا يغتفر ، أن يظن بعض الناس أنهم هم الوطنيون وحدهم دون سائر الناس .

إن الإدعاء بالوطنية والإخلاص لا يكفي أبداً ، بل لا بدّ من أعمال ملموسة تثبت مثل هذا الإدعاء .

واتهام الناس جزافاً بالخيانة والعمالة والرجعية ... الخ من هذا الشريط الذي أصبح لكثرة ترديده معروفاً حتى للأطفال ، لا يخدم غير إسرائيل ومن وراء إسرائيل والإستعمار وعملاء الإستعمار ، وصدق الله العظيم : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأٍ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين [1] » .

وليس من مصلحة أحد أن يتهم أحداً زوراً وبهتاناً ، لأن الحق يظهر ولو بعد حين ، ولأن السهم الظالم يعود

(١) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ٦) .

الى نحر صاحبه .

وكل بناء يقام بغير أساس ينهار ، وكل هيئة سياسية أو حزبية تقوم على أساس لا أخلاقي تفشل .

والتاريخ البعيد والقريب خير شاهد على ما نقول .

فكيف نقوي الجيش ؟

كل جيش يقوم على دعامتين : مادية ومعنوية .

الدعامة المـــادية تتلخص في : تدريب الجيش تدريباً ممتازاً على استعمال سلاحه وأجهزته ، وإكمال تدريبية الفردي، ثم إكمال تدريبه تدريباً إجمالياً على أعماله في الحرب .

وأؤكد هنا على ضرورة التدريب الإيجابي والسلبي على الحروب النووية [1] .

وتنظيم الجيش تنظيماً حديثاً ، يجعل صنوفه قادرة على التعاون فيما بينها ، ويجعله قادراً على تحمل أعباء القتال .

وتسليحه تسليحاً جيداً ، يجعله قادراً على حشد أفواه نارية لا تقهر في الحرب .

وتجهيزه تجهيزاً متكاملاً ، يساعده على إنجاز واجباته بكفاية ويسر .

---

(١) أنظر التفاصيل في (١٣٧ - ١٣٨) من هذا الكتاب .

وتنظيم قيادته وتطعيمها بالقادة الممتازين ، يجعل الجيش يثق بقادته ويضحي تحت رايتهم ويطمئن الى توجيههم السديد .

أما الدعامة المعنوية ، فتتلخص : بالضبط [1] المتين ، إذ الفرق بين الجيش والمدنيين ، هو تحلّي الجيش بالضبط .

والضبط وحـــده ، هو الذي يجعل العسكري ينفّذ الأوامر عن طيبة خاطر في السرّاء والضرّاء وحين البأس دون تردد .

والإنسجام الفكري ، يخلق من الجيش كتلة واحـدة متماسكة متعاونـــة تسعى بانسجام وتوافق لتحقيق هدف واحد بقيادة واحدة .

وقد كان من أسباب فشل الجيش الألماني في الحرب العالمية الثانية ، عدم وجود الإنسجام الفكري بين رجاله، فكانوا متفاوتين بالإتجـاه السياسي وبالكفايات [2] والميول والإتجاهات .

ومما يرفع المعنويات ، هو الإيمان بالله وبالقدر خـــيره وشره من الله ، أي أن التمسك بالدين يرفـــع المعنويات خاصة في أيام الحرب كما ذكرنا سابقاً .

---

(١) الانضباط . (٢) أنظر فصل : الجيش الجديـــد ، من كتاب : المشير فون رونشتد .

إن الجيش في واقعه مدرسة للشعب ، لأن الجنود يلتحقون به من كل جزء من أجزاء القطر . وفي خلال الخدمة العسكرية يجري تثقيف الجنود وتهذيبهم ، فيعودون الى أماكنهم وهم يحسنون القراءة والكتابة الى درجة ما ، وقد تزودوا بمعلومات عامة مفيدة ، ومن المؤكد أن هؤلاء يؤثرون على المحيط الذي يعيشون فيه من ناحية الثقافة وإشاعة الذوق والنظام اللذين غرسهما الجيش في نفوسهم خلال الخدمة العسكرية .

والجيش مصنع الرجال ، فقد يدخل فيه الشاب وهو ضعيف البدن عليل الصحة ، متميعاً كسولاً ، فلا يكاد هذا الشاب ينهض مبكراً للتدريب ، ويتدرب تدريباً عسكرياً عنيفاً ، ويمارس الألعاب الرياضية ، ويتناول طعاماً في أوقات منتظمة ؛ إلاّ ويصبح شخصاً آخر في صحته وعافيته ، وفي نشاطه وحيويته ، وفي ضبطه ونظامه ، فيكون عنصراً مفيداً في الأمة ، بعد أن كان على هامش الحياة .

كما أن الإختلاط المستمر بين أفراد الجيش : في قاعات النوم ، وفي التدريب ، وفي الألعاب الرياضية ، وفي المطاعم العسكرية ، وفي صفوف المحاضرات والتهذيب ، كل ذلك يجعل من الشاب الذي كان منطوياً على نفسه منعزلاً خجولاً ، شاباً آخر اجتماعياً محباً للإختلاط والتعاون مع الآخرين .

وإذا أردنا أن نستقصي فوائد الجيش للشعب ، لعدّدنا فوائد لا تحصى ، ولا يستطيع ان ينكرها أحد ، ولكن ربما يكون في ذلك إطناب يُخرج الكتاب عن موضوعه .

ولكنني لن أترك الحديث عن : تقوية الجيش ، قبل أن أُنبّه القادة السياسيين الى بعض النقاط التي تفيدهم وتفيد الجيش على حدٍ سواء .

أولاً : إنّ اختيار القادة ذوي الكفايات العالية والنزاهة المطلقة والأخلاق الكريمة والوطنية الصادقة والتجربة الطويلة والماضي المجيد ، يؤدي حتماً الى تقوية الجيش من أقصر الطرق ، لأن مثل هؤلاء القادة يفيدون ولا يضرون ويعمرون ولا يخربون ، وينتجون ولا يستهلكون ، ويكونون مثالاً شخصياً رفيعاً لرجالهم يقتدون بهم ، ويكونون أيضاً موضع ثقة رجالهم بهم وحبهم لهم ، فيضحّون من أجل تنفيذ أوامر قادتهم بالغالي والرخيص .

كان من مميزات الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام، أنه كانت له قابلية فذة في اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب .

وكل قائد عسكري أو سياسي أو اقتصادي أو فكري نجح قديماً أو حديثاً في عمله ، فإن نجاحه يتناسب تناسباً طردياً مع قابليته على اختيار الرجال المناسبين للأعمال

المناسبة ، أي أن القائد كلما كانت مقدرته في إختيار الرجل المناسب للعمل المناسب موفقة كلما كان نجاحه كبيراً ، والعكس بالعكس .

وقد قرأت ، أن أميناً عاماً للحزب الشيوعي في دولة من دول شرقي أوربا حوكم أمام محكمة عسكرية ، فأثبتت المحاكمة أنه كان عميلاً لدولة من دول الغرب قبل عشرين عاماً من تاريخ محاكمته .

وسأله رئيس المحكمة : « كنت موّفقاً في قيادة الحزب مدّة طويلة ، وكانت قراراتك الحزبية صائبة ، فبماذا كنت تخدم تلك الدولة الأجنبية ؟ » .

وأجاب المتهم : « على الرغم من أن قراراتي كانت صائبة ، ولكنني في تنفيذها كنت أختار الرجل ليتولى عملاً لا يناسب تجربته وعلمه وكفاياته وقابلياته ، مما أدى الى ارتباك الأمور وضياع الجهود سدى . بذلك خدمت الدولة الأجنبية » .

والقادة السياسيون الذين يولوّن القائد غير المناسب للجيش ، سواء كان ذلك بحسن نيّة أو بسوء نيّة ، إنما يطعنون جيشهم من الخلف ، ولا يخدمون بعملهم هذا غير إسرائيل والإستعمار .

وربّ قائد في الجيش ، يكون وجوده من مصلحة العدو .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا وُسِّد الأمر لغير أهله ، فانتظر الساعة » ، او كما قال .

إن القائد المطيع [1] بدون قيد او شرط للسياسيين ، يكون مريحاً للسياسيين في أوقات الرّاحة والدّعة والسلام ، ولكنه سيكون كارثة على تقوية الجيش وإعداده في أيام السلم ، وكارثة على مصير الجيش في أيام الحرب .

ومرة ثانية ، فإن (المراسيم) لا تخلق قائداً ولا تغطي عيباً ولا تمنح كفاية وتجربة ونزاهة وخلقاً ووطنية وماضياً مجيداً . كما أن النياشين والرتب لا تخلق من اللاشيء شيئاً مذكوراً .

وما أصدق المثل العربي القديم : « الكلب حتى بسرج من الذهب كلب » .

ثانياً : إن تقوية الجيش يحتاج الى قادة وهبوا للجيش وحده حياتهم بكل ما في هذه الكلمة من معاني . والذين يهبون حياتهم لعمل من الأعمال أو لواجب من الواجبات أو لتحقيق هدف من الأهداف ، لا بدّ لهم أن (يتفرّغوا) كلياً لعملهم أو واجبهم أو هدفهم .

والتفرّغ للجيش يجعل القائد أو الضابط عسكرياً من

---

(١) Yes General .

أخمص قدمه الى قمـــة رأسه ، كما يجعله يستمتع بالقضايا العسكرية وحدها ولا يستمتع بالسياسة وتياراتها خاصة .

إن الإستغناء عن الضباط لأنهم لا ينتمون الى الأحزاب أو لا يشاركون في نشاطاتها ، أو لا ينجرفون بتياراتها أو ليست لهم علاقة شخصية برجالاتها ، خطأ فاحش لا مبرر له وخسارة لا تعوّض للجيش والشعب والوطن .

إنّ الضـابط المتفرغ للجيش ، ليس له الوقت الكافي لقضائه في غير الجيش ، وقد عرفت ضبـاطاً لا يرتادون النوادي والمقاهي والملاهي وغيرها لأنهم لا يملكون وقتاً لقضائه هناك .

فلمصلحة من يُستغنى عن أمثال أولئك الضباط ؟ .

أعرف ضابطاً ممتازاً في علمه وعمله وإخلاصه ، وقد أُحيل على التقاعد في ظروف سياسية معينة ، وقد تبدّلت تلـــك الظروف ، فأصبح بإمكانه أن يدّعي بطولات وتضحيات في مقاومة العهـد الذي أخرجه من الجيش في عهد يناقض ذلك العهد ويناصبه العداء .

ولكن ذلك الضابط بقي ساكتاً ، فسألته : « لماذا أخرجك ذلك العهد الذي مات ؟ .. » ، فقال : « والله لا أدري ، إذ لم أعمل على تقويضه ، ولم أشارك في الشّغب عليه » .

وأكثر الذين أحيلوا على التقاعد من هـذا النوع : لا يعرفون حتى اليوم لماذا استغنى المسؤولون عن خدماتهم ، فحُرموا من شـرف خـدمة الجيش ، وحرم الجيش من خدماتهم .

إنّ الذين يستغنون عن الضباط قبـل أن يبلغوا سنّ التقاعد وهم في ريعان الشباب ، ولغير الأسباب القـانونية لإحالة الضباط على التقاعد : الاسباب الصحّية ، ولعـدم الكفـاية ، ولسوء السيرة ، ولزيادتهم على المـلاك[1] ، يعاونون في ذلـك من حيث يدرون أو لا يدرون ، إسرائيل والإستعمار وأعداء العرب .

وليس إعطاء الضباط مناصب إدارية عالية أو غـير عاليـة ، أو مناصب سياسية ، أو مناصب أخرى في الشركات ... الخ ، مما يعوّض على الضـباط خسارتهم الكبرى وخسارة جيشهم ، فالمال ليس كلّ شيء بالنسبة للضابط ، إذ أن رداء الجندية هو أكبر شرف لا يمكن أن يباع أو يشترى بكل ما في الدنيا من مال ومتاع[2].

والثغرة التي يتركهـا الضابط الممتاز في الجيش بعـد تسريحه ، لا يمكن أن يسدّها كل من هبّ ودبّ من الناس.

---

(١) الملاك : الكادر .

(٢) كالذي يقدم اللحم للجواد والتبن للأسد .

إنّ بناء الضابط حتى يكون مفيداً للجيش ، يحتاج الى وقت طويل وجهود جبارة ، وصدق الشاعر :

يبني الرجال وغيره يبني القرى
شتّان بين قرىً وبين رجال

لذلك فخسارة الضباط دون مبرر ، خسارة مضاعفة ، وعمـــل لا وطني ولا إنساني ويناقض الإخلاص للشعب والبلاد .

ثالثـاً : إنّ إقحام الجيش في السياسة إقحاماً ، يجعل الجيش ينصرف عن واجباته الأساسية الى واجبات جانبيّة ليست من صميم أعمـاله ، ويثير بين صفوفه الأحقـاد والمنافسات ، ويحرمه من تعاون رجاله .

وبكلام مختصر جازم ، إن إقحام الجيش في السياسة ، يجعله حزباً فيـه أجنحة وتناقضات ، ولا يبقى جيشاً بالمعنى الصحيح .

ولعلّ إسرائيل هي أحرص أعداء العرب ، على زج الجيوش العربيـة في خضم التيارات السياسية ، لتـترك واجبها الأصـلي : الإعداد للحرب ، وحماية الوطن من الأعداء .

إن الإطلاع على الأوضاع السياسية ، ومشاركة الشعب

في أحاسيسه شيء ، والإرتكاس بالسياسة شيء آخر .

وكل جيش يعمل للسياسة ولا يعمل ضمن واجباته ، في الواقع ، لا يفيد السياسة ويضر الجيش ، وبذلك يكون قد ضيّع المشيتين ، وخسر الهدفين ؛ فلا هو نجح في السياسة ، ولا هو خدم الجيش[1] .

إن الذين يريدون أن يزجوا الجيش في السياسة ، يحاولون أن يخدموا أنفسهم على حساب إلحاق أبلغ الأضرار بالجيش .

يجب أن يُترك الجيش لواجباته الأصلية وحدها ، ولعن الله السياسة وكل حرف من حروفها ، كما كان يقول الإمام محمد عبده .

رابعاً : إن محاولة خلق تكتلات حزبية أو سياسية في الجيش محاولة هدّامة للجيش ولكيانه ولتقاليده :

إن هذه المحاولة ستؤدي بالتالي ، الى خلق عصابات مسلحة في الجيش تتربص كل عصابة بالأخرى ، وتتناحر فيما بينها كلما وجدت الى ذلك سبيلاً .

والحزب الذي يحاول استمالة بعض العسكريين الى صفوفه

---

(١) لا أجد ما يصدق عليه في هذه الحالة كالمثل العراقي العامي : « لا حظت برجيلها ، ولا خذت سيد علي » .
أي لم يبق لها زوجها القديم ، ولا تزوجت سيد علي الذي كانت تحلم أن يكون زوجها الجديد .

وينجح في محاولاته ، لا بد أن يحاول غيره من الأحزاب المعادية له ، أن يقتفي أثره فيستميل بعض العسكريين الى صفوفه أيضاً .

والبادىء في هذه الحالة أظلم كما يقول المثل ، ولكل فعل رد فعل كما هو معروف ، والنتيجة خراب الجيش .

يجب أن يكون الجيش منسجماً ليكون متعاوناً تجمعه أخوّة السلاح ، والحزبية تحرمه من الإنسجام ومن التعاون ومن أخوة السلاح .

والحزب الذي يدّعي أنه سينظم الجيش وحـــده ، ويكون الجيش منطقة نفوذ له لا يشاركه فيه أحد ، يغش أول ما يغش نفسه ، لأن الأحزاب الأخرى – خـــاصة المعادية له – ستعمل عمله وتحاول محاولاته ، فيبدأ الخصام وتبدأ المشاكل ، ثم لا تنتهي إلاّ الى الخراب والدمار .

إن محاولة الأحزاب استمالة العسكريين الى صفوفها ، هو سلاح ذو حدّين ، إذا نفعها اليوم فسيقضي عليها غداً .

ولعل ما مرّ بالأحزاب من تجارب عملية ، ما يفيدها في الحاضر والمستقبل ، فلا تُقدم على تنظيم أفراد الجيش في الأحزاب .

إني أستثير ضمائر قادة الأحزاب ، أن يقلعوا عن عن تنظيم العسكريين ، فـــلا أضرّ على الجيش من تفرق

كلمته وتعدُّد ميوله وأهوائه .

إن لهم مجالات واسعة خارج الجيش ، فليتركوا الجيش لشأنه ، بعيداً عن الأحزاب ، بعيداً عن السياسة .

خامساً : إن (الكيفية) في الجيش ، أهم من (الكمّية) وأكثر فائدة وأعظم نفعاً .

كفاية الجيش وانسجامه وضبطه وتدريبه وتسليحه وتجهيزه بشكل ممتاز ، هي المزايا الخالدة لكل جيش قوي متين .

وقد يكون ألف من العسكريين ، يتحلّون بتلك المزايا أجدى وأنفع من مائة ألف من العسكريين لا كفاية لهم ولا انسجاماً ولا ضبطاً ولا نظاماً .

قال رجل لخالد بن الوليد قبيل معركة اليرموك : « ما أكثر الروم وأقل المسلمين !! » ، فقال خالد : « ما أقل الروم وما أكثر المسلمين ! إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال !! والله لوددت أن الأشقر براء من توجّيه [1] ، وإنهم أضعفوا ضعفهم [2] » .

---

(١) الاشقر : إسم فرس خالد . الوجى : أن يشتكي الفرس من باطن حافره ، يريد بذلك أن الروم لو زادوا الى ضعفهم لما اكترثت بهم إكترائي بشكوى الاشقر من حافره .

(٢) الطبري (٢ / ٥٩٤) وإبن الأثير (٢ / ١٦٨) .

إن الإهتمام يجب أن ينصب على (الكيفية) أولاً ، وبالتدريج يصبح الجيش (كمية) و (كيفية) في وقت واحد ، وهذا هو الهدف الواضح السليم الذي يعمل من أجل تحقيقه المسؤولون عن تقوية الجيش .

أما أن نهتم (بالكمية) ، ولا نعير (الكيفية) اهتمامنا البالغ ، فأمرٌ على جانب كبير من الخطورة ، ولن تكون نتيجته غير إضاعة الجهود والأموال سدى .

وحين استغنى المسؤولون عن كثير من الضباط الممتازين إدّعوا أنهم عوّضوا عنهم بأضعافهم في تلاميذ الكلية العسكرية أو من ضباط مستجدين [١] ...!!

وقد لا يعوّض عشرات الضباط الأحداث عن ضابط واحد قدير .

والمسألة ليست مسألة مقارنة أعداد الضباط قبل عام بأعدادهم اليوم ، إنما المقارنة الصحيحة السليمة – في هذا المجال – تكون بالكفايات والقابليات العسكرية .

إن تقوية الجيوش العربية : كل قطر عربي يعمل على تقوية جيشه بإشراف وتوجيه القيادة العربية الموحدة ، حتى

---

(١) المستجدين : جمع مستجد ، وهو حديث الخدمة في الجيش ، ويطلق على هؤلاء الضباط أيضاً : الضباط الأحداث .

يكون لكل قطر عربي جيش قوي ، ويكون من مجموع هذه الجيوش للعرب جيش قوي واحد يعمل بقيادة عربية موحدة واحدة ، لتحقيق هدف عربي واحـــد ، هو : تحرير فلسطين .

لقد ذكرت ما أعتقده عن تقوية الجيش ، وفي علمي أن بعض ما أعتقده لا يوافق عليه الحزبيون وبعض السياسيين .

ولكن المصلحة العربية العليا ، فوق مصالح الأشخاص والجماعات .

والحقُّ أحقُّ أن يُتبّـع ، والباطل أحق أن ينبذ، والرائد لا يكذب أهله .

وحسبي أن أقول الحق ، ولو كره المبطلون .

الوحدة الوطنيّة

- ٢ -

تعاني بعض البلاد العربية من وجود قوميات متعددة فيها وأديان مختلفة ومذاهب دينية شتى ، وكلّ ذلك مما يخلق لها مشاكل داخلية حادة تارة وبسيطة تارة أخرى.

وقد كان للإستعمار ضلع في تعميق الإختلافات القومية والدينية والطائفية بين الشعب الواحد في القطر الواحد ، عملاً بسياسة : « فرّق تسد » ، وذلك لتسهل سيطرة الإستعمار على القطر بأسره ، ويسهل عليه حكمه وإدارته .

ورحل الإستعمار ، ولكن عملاءه وتلاميذه لا يزالون يعملون عملهم المخرّب في تفرقة الصفوف وبعثرة الجهود وإشاعة التناحر والخصام .

كما أن آثار الإستعمار في التفرقة ، التي مارسها أيام سيطرته ، لا تزال باقية حتى اليوم .

وقد أفاد بعض السياسيين من هذه التفرقة ، فتبنّاها قسم منهم ، فحصّل باسمها على المناصب والمكانة والمال .

وإذا كان للإستعمار العذر فيما صنع بالأقطار العربية من تفرقة قومية أو دينية أو طائفية ، لأن المستعمر عدو للشعب ، والعدو لا يريد الخير والوحدة والقوة لعدوه في حال من الأحوال .

وإذا كان لأذناب الإستعمار وعملائه وتلاميذه العذر في السير على آثار أسيادهم حذو النّعل بالنعل ، لأن هؤلاء جزء لا يتجزّأ من الإستعمار ، ولأن حياتهم وحاضرهم ومستقبلهم متوقف على مصيره .

فما عذر السياسيين الذين يدّعون أنهم يتقبّلون المناصب الكبيرة (تكليفاً) لا (تشريفاً) ، ويحملون الشعارات المختلفة أمام الناس في العلن ، ثم يعملون في السرّ ليلاً ونهاراً للتفرقة القومية أو الدينية أو الطائفية ؟ .

ما عذر هؤلاء السياسيين الذين يتسنّمون المناصب الرفيعة باسم التفرقة القومية أو الدينية أو الطائفيّة ، فيدّعون أنهم وحدويّون لا يرضون بأقل من الوحدة من المحيط الى الخليج ، ثم هم يفرقون بين طائفة وطائفة ،

بل بين أهل مدينة ومدينة ، بل بين (صوب) الكرخ و (صوب) الرّصافة ؟

هؤلاء السياسيون يخرّبون ولا يعمرون ، ويهدمون ولا يبنون ، ويفرّقون ولا يوحدون .

هؤلاء مكانهم بين صفوف أعداء العرب ، ويجب ألاّ تنطلي أحابيلهم على أحد من العرب المخلصين بعد اليوم .

إنّ الذين يدعون الى التفرقة بين القوميات المتآخية في القطر العربي الواحد ، ليبتزوا من وراء ذلك مغنماً أو منصباً أو مالاً أو جاهاً أو شيئاً من متاع الدنيا ، إنما هم خونة عريقون في الخيـــانة ، وهم من أعوان الإستعمار وورثته الملوثين بأدرانه .

والذين يدعون الى التفرقة الدينية بين الشعب الواحد في القطر الواحد ، ليرتقوا على أكتاف غيرهم من أبناء وطنهم ، في حين ينهار وطنهم ويتمزّق ، ليقتنصوا شيئاً من متاع الدنيا الذي هو متاع الغرور ، إنمـــا هم خونة عريقون في الخيانة ، وإنما يأكلون في بطونهم ناراً .

والذين يدعون الى التفرقة الطائفية بين الدين الواحد في القطر الواحد ، ليرتفعوا الى منصب زائل أو لينالوا مكانة زائلة ، إنما هم خونة عريقون في الخيـانة ، وهم مدسوسون على طائفتهم أولاً وعلى دينهم ثانياً وعلى بلادهم

أخيراً .

وهؤلاء الخونة العريقون في الخيانة ، يجب أن تخرس ألسنتهم الى الأبد .

يجب أن يكافح العرب المخلصون الدعوة الى **التفرقة القومية** ودعاتها ، ويُظهروا أخطار هذه الدعوة وزيف دعاتها ، وصدق الله العظيم : « يا أيها الذين آمنوا ، إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم [١] » .

يجب أن يكافح العرب المخلصون الدعوة الى **التفرقة الدينية** ودعاتها ، ويظهروا أخطار هذه الدعوة وزيف دعاتها ، وصدق الله العظيم : « لا إكراه في الدين ، قد تبيّن الرشد من البغي [٢] » .

يجب أن يكافح العرب المخلصون الدعوة الى **التفرقة الطائفية** ودعاتها ، ويظهروا أخطار هذه الدعوة وزيف دعاتها ، وصدق الله العظيم : « أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه [٣] » .

وقال : « ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من

---

(١) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ١٣) .
(٢) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٥٦) .
(٣) الآية الكريمة من سورة الشورى (٤٢ : ١٣) .

بعد ما جاءهم البينات [1] » . وقال : « إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء [2] » .

إن الوحدة الوطنية ، هي الخطوة الأولى ، للوحدة العربية الشاملة .

ولا وحدة عربية شاملة بدون وحدة وطنية رصينة .

بل إن الوحدة الوطنية ، هي الأساس القوي للوحدة العربية الشاملة .

والبناء الذي يقوم على أساس قوي ، يبقى ثابتاً قوياً . أما الذي يقوم على أساس واهٍ ، فلا يبقى ولا يدوم .

إن الوحدويين المخلصين حقاً ، هم دعاة الوحدة الوطنية في نفس الوقت .

والوحدة الوطنية دعامة نجاح القطر العربي ودليل قوته ، وبدونها لا نجاح ولا قوة .

وحتى الجيش القوي ، أساسه الوحدة الوطنية ، ولا جيش قويا يكون مؤلفاً من رجال مختلفي النزعات والإتجاهات : تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى .

---

(١) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٠٥) .
(٢) الآية الكريمة من سورة الأنعام (٦ : ٥٩) .

التعاون

- ٣ -

من الأخطاء الشائعة في الأقطار العربية ، أن العرب يريــدون كلّ شيء من حكوماتهم ، ولا يكادون يعملون شيئاً لمساعدتها ومعاونتها .

والحكومة تفشل مهما تكن قوّية متينة ، إذا لم تحظ بمعاونة الشعب لهــا ، وإلاّ كانت كالرجل الذي بإمكانه أن يحمل على ظهره خمسين رطلاً ، بينما هو يحمل أضعاف هذا الوزن ، فلا يكون مصيره غير الإنهيار .

وإذا ركّزنا واجبــات الشعب نحو حكومته في قضية فلسطين ، يمكن أن نذكر :

أولاً : مشاركتها في جمع المال الذي تلتزم بدفعه الى منظمات فلسطين ، وبذلك يخفف الشعب عن حكومته بعض نفقات الميزانية .

ثانياً : إشاعة الوعي بين أفراد الشعب عن قضية فلسطين ، وتعميق آثارها في النفوس حتى تبقى عالقة في الأذهان أبداً ، وحتى تتجدد طاقات الحقد المقدّس عند العرب لأخذ الثأر وإنقاذ فلسطين .

ثالثاً : إسناد منظمات فلسطين مادياً ومعنوياً ، وتحطيم الشائعات التي تمسُّها من قريب أو بعيد .

رابعاً : مراقبة المشبوهين من يهود وعملائهم ، ومراقبة كلّ من يشتبه بأن له صلة بإسرائيل .

وليس سراً أنّ إسرائيل لها شبكات تجسسية في مختلف أنحاء العالم ، وقد يكون حرص العرب وشدّة حذرهم ويقظتهم ما يعين الحكومات العربية على كشف كثير من مخططات إسرائيل للتجسس على البلاد العربية .

خامساً : تأسيس جمعيات مؤلفة من الفلسطينيين العائدين وبعض أبناء القطر العربي ، لمعاونة العائدين وتسهيل أعمالهم وإلقاء المحاضرات وإصدار النشرات عن قضية فلسطين ... الخ

يجب ألاّ تترك الشعوب العربية حكوماتها وحدها في

تحمّل قضية فلسطين ، فإن ذلك يخفف عن الحكومات العربية بعض أعبائها ، ويخرج قضية فلسطين من نطاق الواجب الحكومي ، الى نطاق الواجب الحكومي والشعبي معاً ، ويدفع قضية فلسطين دفعات قوية الى الأمـام نحو تحقيق أهدافها : إنقاذ فلسطين .

الإلتزام

- ٤ -

يجب أن يبدأ الإلتزام بقضية فلسطين من ضمير الفرد، ثم يمتد الى محيط الجماعة ، والى مسؤولية الشعب ، والى واجب الحكومة .

كل فرد عربي ملتزم التزاماً عميقاً بقضية فلسطين ، لا فرق في ذلك بين مسؤول وغير مسؤول، إلاّ أن يكون واجب المسؤول أكبر وأثقل من واجب غير المسؤول .

وكل شعب عربي ملتزم التزاماً عميقاً بقضية فلسطين ، لا فرق بينه وبين حكوماته إلاّ إن يكون واجب الحكومات أكبر وأثقل من واجب الشعوب .

إن قضايا العرب كثيرة ، ولكن قضية فلسطين هي أهم من كل قضايا العرب الأخرى ، ولها الأسبقية على تلك

القضايا دون استثناء .

وإذا كان الشعب العربي ، يغفر لمسؤول أو غير مسؤول تهاونه في بعض القضايا العربية ، فإن هذا الشعب لــــن يغفر في يوم من الأيام تهاون مسؤول أو غير مسؤول في قضية فلسطين .

إلتزام الفرد العربي نحو قضية فلسطين ، يبــدأ بالدّعم المادي والمعنوي ، وينتهي بالتضحية بالمـــال والنفس في قتال إسرائيل .

والتزام الجماعة العربية نحو قضية فلسطين ، يبـــدأ كذلــك بالدّعم المادي والمعنوي ، وينتهي بتنظيم التطوّع للقتال على أرض فلسطين .

والتزام الشعوب العربية في الأقطار العربية ، يبدأ بمراقبة حكوماتها وحثّها على بذل كل طاقاتها المادية والمعنوية من أجل فلسطين ، وينتهي في تنظيم التطوّع للقتال في معركة الثـــأر .

أما إلتزامات الحكومات العربية ، فتبدأْ بالتزاماتهـا المـادية والمعنوية لقضية فلسطين نحو منظمات فلسطين التي أُقرّت في مؤتمر القمة ، وعدم التهاون في تنفيذها نصّاً وروحاً مهما تكن الظروف والأحوال ، وتنتهي بإعـداد الجيش والشعب مادياً ومعنوياً للإستقتال في حرب فلسطين.

وقد تنشب اختلافات بين الأفراد العرب ، وقد تنشب اختلافات بين الجماعات العربية ، وقد تنشب الإختلافات بين الحكومات العربية .

وكلُّ ذلك أمر طبيعيٌّ لا غرابة فيه .

ولكنَّ الإتفاق يجب أن يسود الأفراد والجماعات والحكومات والشعوب في قضية فلسطين بالذّات .

إنّ هذه القضية هدف من أهداف العرب العليا ، بل هي أكبر أهداف العرب وأهمها على الإطلاق .

لا بدّ أن تكون قضية فلسطين فوق مستوى الخلافات العربية ، بل لا بدّ أن تكون هذه القضية هي نقطة التقاء الحكومات العربية للقضاء على كل اختلافاتها الموجودة في الحاضر أو التي ستنشب في المستقبل .

إن قضية فلسطين تستحق أن يتناسى العرب من أجلها خلافاتهم ، لتحقيق هدفهم الأكبر : القضاء على إسرائيل .

والذين يجعلون من هذه الخلافات وسيلة للتملُّص من التزاماتهم المالية والمعنوية نحو قضية فلسطين ، إنما يفرّطون بكرامتهم وسلامتهم قبل أن يفرّطوا بكرامة وسلامة قضية فلسطين ، وسيندمون حتماً ولات ساعة مندم .

يجب أن تنفّذ الحكومات العربية التزاماتها نحو قضية

فلسطين بدون تردّد ولا تباطؤ أو تلكؤ ، وهذا أقل واجباتها نحو فلسطين .

إنّ التخلي عن الإلتزامات نحو فلسطين ، أمل من أكبر آمال إسرائيل ، فأي مسؤول عربي يرضى لنفسه ان يتطوّع لتحقيق أكبر آمال إسرائيل ؟ .

الإلتزام اليوم بالمال ، وغداً بالروح والمال معاً ، وقضية فلسطين لا تحلّ إلاّ بالجهاد بالأموال والأنفس .

إنّ العرب في كل مكان يعرفون التزامات حكوماتهم نحو فلسطين ، ويحرصون أعظم الحرص على وضعها موضع التنفيذ .

فحذارِ أن تتهاون حكومة عربية بالتزاماتها نحو فلسطين .. حذارِ ...

بناء الرجال

- ٥ -

ليس كلّ قائد أو زعيم يستطيع بناء الرجال ، ليكونوا في المستقبل عماد الوطن وركنه الركين .

والقائد الحق ، أو الزّعيم الحقّ ، هو الذي يتميز ببناء الرجال وخلق جيل منهم قادر على السير بالبلاد الى شاطىء السلامة ، وتحمّل أعباء الحكم بكفاية ومقدرة وقوّة وإيمان .

وإذا سألني سائل : « ما الفرق بين القائد الحق أو الزعيم الحق ، وبين القائد المزّيف أو الزعيم المزّيف ؟ » . لأجبت بدون تردد : « إنّ القائد الحق أو الزعيم الحق ، هو الذي يبني الرجال ، والقائد المزيف أو الزعيم المزّيف هو الذي يحطّم الرجال .

وقد وجدنا قادة وزعماء ، جاءت بهم الظروف ووضعتهم في مركز السيطرة والقوة والحكم ، كلُّ همِّهم تقريب الإمَّعات والمنافقين والهتّافة وأشباه الرجال .

إنه يريد – في حياته – أن يأمر فيطاع ، وأن يقابل بالهتاف والتصفيق ، والإجلال والإكبار ، والمدح والثناء ، حتى يُرضي في نفسه خصلة : عبادة الشخصية ، وحبِّ الظهور ...

فإذا مات – وكل حيٍّ الى فناء – تردّت الأوضاع ، وساءت الحال ، ولم يستطع أحد ممن حوله أن يملأ مكانه ... وهنا الطامة العظمى ...

وما هكذا تكون القيادة !

وما هكذا تكون الزعامة ... !

إن القائد الملهم أو الزعيم الفَذ ، هو الذي يستقطب حوله الرجال الاقوياء الأمناء المخلصين ، وقوّة هؤلاء قوة له ، وأمانتهم سند لشعبه ، وإخلاصهم دعم لوطنه .

ولكنّ عيب هؤلاء الرجال الاقوياء الأمناء المخلصين ، أنهم لا يكونون هتّافين ولا مدّاحين يُزجون المديح بمناسبة أو بغير مناسبة .

وعيبهم أنهم يواجهون القائد أو الزعيم بالحقائق الناصعة ، مهما تكن قاسية مُرّة ...

وعيبهم أنهم (دائماً) لا يضربون من الخلف ، ولا يحبون أن يرتفعوا على أكتاف الآخرين .

إني أوجّه النصح الخالص لوجه الله لزعماء العرب وقادتهم ، أن يكونوا أشد حرصاً في اختيار الرجال المناسبين للعمل المناسب ، دون الركون الى العاطفة أو المحسوبية أو المنسوبية أو علاقات القربى والحزبية ... الخ.

وإليهم أسوق الدّرس من سيرة سيد القادات وقائد السادات محمد بن عبد الله صلوات الله وتسليمه عليه .

كان عليه الصلاة والسلام يُدرك كلّ الإدراك ، أن كلّ إنسان لا بدّ أن يعاني نقصاً في ناحية من نواحيه الخلقيّة، وأن الكمال لله وحده ، فكان يغضّ الطرف عن ناحية النقص في صاحبه ويستفيد من ناحية الكمال ، فلا يكون ذلك النقص سُبّة ومثلبة على صاحبه، لأنه كان عليه الصلاة والسّلام يبرز ناحية الكمال فينوّه بصاحبها ويذكره ويثني عليه .

كان من بين أصحابه من امتاز بناحية القيادة ، فجعله قائداً .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالثراء ، فأفاد المسلمون من ماله ، ولم يكلفه بمصاولة الصناديد والأبطال .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالرأي الثاقب ، فأفاد من آرائه وحكمته .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالشعر ، فأفاد من شعره .

وكان ... وكان ...

سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة في أيام عمرة القضاء الوليد بن الوليد أخا خالد بن الوليد قائلاً : « أين خالد ؟ » ، ثم قال : « ما مثل خالد من جهل الإسلام ، ولو كان جعل نكايته وجَدَّه مع المسلمين على المشركين ، لكان خيراً له ، ولقدّمناهُ على غيره [1] » .

وكتب الوليد بذلك إلى خالد ، فكان ذلك سبب هجرته الى المدينة المنورة وإعلان إسلامه [2] .

وقدم خالد المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمان الهجرية [3] . قال خالد : « فلما طلعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سلمّت عليه بالنبوّة ، فردّ عليه السَّلامُ بوجهٍ طَلْقٍ ، فأسلمتُ وشهدت شهادة الحق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد كنت أرى لك عقلاً رجوتُ ألاّ يسلمك إلاّ إلى خير . وبايعت رسول

(١) طبقات ابن سعد (٣ / ٣٩٤) .
(٢) الإصابة (٦ / ٣٢٣) .
(٣) الطبري (٢ / ٣١٥) وابن الاثير (٢ / ٨٨) وتاريخ أبي الفدا (١ / ١٤٢) ، وانظر قصة إسلامه في صفة الصفوة (١ / ٢٦٨ - ٢٦٩).

الله صلى الله عليه وسلم ، وقلت : استغفر لي كلّ ما أوضَعْتُ فيه من صدٍّ عن سبيل الله ، فقال : إن الإسلام يجبُّ [1] ما كان قبله . قلت يا رسول الله ، على ذلك ! قال : اللّهم اغفر لخالد بن الوليد كلُّ ما أوْضع فيه من صدٍّ عن سبيلك ... فوالله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يحزئه [2] » .

وولّى النبي صلى الله عليه خالداً قيادة الرجال بعد إسلامه مباشرة .

وما يقال عن خالد ، يقال عن عمرو بن العاص أيضاً، فقد ولاّه قيادة الرجال بعد إسلامه مباشرة أيضاً [3] ، وقال عن خالد وعمرو حين قدما مُسْلمينْ : « ألقت إليكم مكة أفلاذ كبدها » ، يعني أنهما وجوه الناس من أهل مكة [4] .

وكان عثمان بن عفان غنياً فأفاد من ثرائه ، فابتاع للمسلمين مربداً [5] بعشرين ألفاً ، وابتاع للمسلمين بئر

(١) يَجبّ : يقطع ويمحو ما كان قبله من الكفر والذنوب .
(٢) طبقات ابن سعد (٤ / ٢٥٢) و (٧ / ٣٩٤) .
(٣) طبقات ابن سعد (٤ / ٢٥٩) وفتح مصر والمغرب (٢٤٣) .
(٤) أسد الغابة (٣ / ٣٧٢) والاستيعاب (٣ / ١٠٣٤) .
(٥) مربد : موضع يجعل فيه التمر لينشف .

(رُوْمَة [1])، وجهّز جيش العسرة [2] حتى ما يفقدوا عقالاً ولا خطاما [3] ، ولم نسمع أن الرسول القائد عليه الصلاة والسلام كلّف عثمان بمنازلة الأقران في الحرب .

وكان حسان بن ثابت شاعراً ، فاستفاد من قابليته الشعرية للدفاع عن الإسلام ، ولكنه كان يتركه مع النساء عندما يخرج للقتال [4] .

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه اشجع الشجعان، فكان يخرجه لمبارزة الأبطال يوم النزال [5] .

كان يعرف مزايا كلّ أصحابه ، فيفيد من مزاياه ويبرزها للعيان ، ويغضّ الطرف عن نواقصه ويتستر عليها .

وكان ذلك من أسباب انتصار النبي صلى الله عليه وسلم عسكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً ، فلما التحق بالرفيق الأعلى ، كان بين المسلمين قادة وأمراء ، ورجال

---

(١) بئر رومة : بئر في عقيق المدينة . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٤) .

(٢) جيش المسلمين في غزوة تبوك بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) سنن النسائي (٢ / ١٢٤) . وأنظر حاشية السندي على النسائي على هامش سنن النسائي (٢ / ١٢٤) .

(٤) سيرة ابن هشام (٣ / ٢٤٦) .

(٥) أنظر التفاصيل في : الرسول القائد (١٠٠) .

قادوا الأمة الى المجد والسؤدد والخير .

فهل يفعل قادة العرب وزعماؤهم اليوم ، ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم : يفيد من مزايا أصحابه ويظهرها ويثني عليها ، ويتستر على نواقصهم ويذكرهم بأحسن ما فيهم من خصال ؟ أم هم يفعلون العكس تماماً، يذكرون المعايب ويغضون الطرف عن المزايا ؟؟!!

إنهم لا يكادون يجدون عيباً في رجل من رجالهم ، إلاّ وشهّروا بذلك العيب ونسوا أو تناسوا مزاياه الاخرى .

والأكثر من ذلك ، أنهم يحاولون اختلاق العيوب وإلصاقها بالناس ظلماً وعدواناً .

ولعلّ أكثر نشاطهم ينصب على الذين يلمعون وتظهر أسماؤهم نقية صافية ، فيطفئون الشموع التي بدأت تضيىء الدروب للناس .

نصيحة لله ... أن يتخلوّا عن أنانيتهم ، لأن الذي يقضي على العناصر الخيرّة لا يكون صديقاً ، بل هو في صفوف الأعداء .

يجب أن نستفيد من مزايا الناس ، ونظهر تلك المزايا، وننوه بها ، ونعمل على إبرازها ، لتؤتي أُكلها مرتين .

إن التشجيع يصنع المعجزات ، ويبني الرجال ،

والمناصب ليست لأحد ، إذ لو كانت لأحد لما وصلت الى الذين يتسنمونها اليوم .

لقد تعاقب عليها كثيرون ، ولم يحفظ التاريخ لأحدهم ذكراً حميداً كما حفظ للذين بنوا الرجال ، حتى إذا جاء يومهم ، خلفهم أولئك الرجال ، فكانوا خير خلف لخير سلف .

فهل سأل كل قائـــد وكل زعيم للعرب نفسه : من سيخلفني بعد موتي ؟ وهل هذا الذي سيخلفني هو قادر على تحمل الأمانة وصيانتها ؟

وماذا يمكن أن نسمي الزعيم أو القائد ، الذي يكون جوابه لنفسه : لا أحد ... لا أحد على الإطلاق ...

إن الزعيم أو القائد يستطيـع أن يفعل الكثير لأمتـه في مجال بناء الرجال .

وبناء الرجال هو بناء المستقبل وضمانه ...

فماذا فعلنا من أجل ذلك ؟ .

إن القائد أو الزعيم يؤثـّر غاية التأثير على أبنـاء شعبه في مزاياه وسلوكه الشخصي .

والقائد أو الزعيم المزّيف الذي يحارب العناصر القوية المؤمنة في بلاده ويستأثر بالإمّعات وأشباه الرجال والمنافقين

والهتّافة ، يؤثّر على شعبه أثراً في غـــاية الخطورة ، إذ تسري هذه الخصلة الى المسؤولين بالتسلسل فيفعلون فعـله ويقتفون أثره .

إن الإمعة لا يختار غير الإمعة ، والمنافق لا يختـار غير المنافق ، والهتّاف لا يختار غير الهتّاف ، وأشباه الرجال لا يختارون غير أشباه الرجال ...

فأين سنصل إذا كان المسؤولون من هذه السلعة البائرة؟!

مرة ثانية ... إن الحكم الصالح يحتاج الى الرجال الصالحين.

والقضاء على إسرائيل يحتاج الى الرجال الصالحين .

والزعيم الحق أو القائد الحق ، هو الذي يتصيد هؤلاء الرجال ويستقطبهم حوله قوّة له وسنداً .

وأرجو أن يصل هذا الكلام الى أسماع المسؤولين كباراً وصغاراً ، فالناس يقولون مثله علناً أوهمساً ...

وأنا أضعه صريحاً أمام القادة والزعماء .

إن الناس يعرفون كلّ شيء ، فلا يظن زعيم أو قـائد أنه يغش أحداً بشيء .

إنه لا يغشّ غـير نفسه ، ولا يغش غـــير مصلحة أمته العليا ...

وويلٌ لمن يتهاون في مصلحة أمته العليا .

والخلاصة

- ٦ -

من المؤكد أن هناك أسباباً كثيرة للدولة العربية تؤدي بها في طريق معركة الثأر إلى النصر .

من هذه الأسباب : الحكم الصالح .

والآراء حول أُسلوب الحكم الصالح مختلفة . ولكنها جميعها تَتَفِقُ في أنّ الحكم الصالح هو الذي يحقق الرفاه لأكبر عدد ممكن من أفراد الشّعب .

والحكم الصالح لا ينزل من السماء ، بل يحتاج إلى عناصر قوية أمينة مخلصة واعية للنهوض به ، فيقتضي الإفادة من هؤلاء .

ومن هذه الأسباب ، التصنيع ، ورفع المستوى الزراعي والإقتصادي والإجتماعي والثقافي ، وهذا يتطلّب

التخطيط السّليم والعمل الدائب المثمر المفيد .

العمال لهم مكانتهم على أن يعملوا وينتجـوا ، وهم في هذه الحالة موضع رعاية وتقدير واحترام الشعب والدولة .

أما ألاّ يعمل العامـــل ، مكتفياً بالهتاف والتصفيق والتجوّل بالمسيرات ، فإنه لا يفيد نفسه ولا يفيـــد الإقتصاد القومي ، وهو في مثل هذه الحالة لا يمكن أن يرعاه أو يقدّره أو يحترمه أحد .

وما يقال عن العامل يقال عن الفلاّح ، ويقــال عن الموظف وعن التلميذ والجندي والضابط ... الخ .

إنه لا يمكن أن تفلح دولة ، عاملها لا يعمل ، وفلاحها لا يزرع ، وتلميذها لا يقرأ ، ومعلمها لا يدّرس ، وموظفها لا يشتغل ، وجنديّها لا يتدّرب وضابطهـــا لا يُدَرّب ... الخ .

إن العامل إذا لم يعمل في مهنته ، انهارت الصناعة ، وأدى الأمر إلى استيراد حتى الإبرة والخيط من الخارج .

والفلاح إذا لم يزرع ، انهارت الزراعـــة ، وأدىّ الأمر إلى استيراد حتى البصل من الخارج في بلد زراعي عظيم مثل العراق .

والتلميذ إذا لم يقرأ دروسه ، إنهار مستوى التعليم ، فارتفع معدل الرسوب في الإمتحانات ، وطالب التلاميذ

بالزحف من صف إلى صف بدون امتحان [١] .

والمعلم إذا لم يُدَرِّس ، أصبح التلاميذ جهلاء ، وأدّى ذلك إلى تردّي المستوى العلمي والثقافي في البلاد .

كلُّ مسؤول وغير مسؤول في الدولة ، يجب أن يعمل ضمن نطاق واجبه ، وينجزه بكل إخلاص وأمانة وحرص .

والذي لا ينجز واجباته كاملة ، لا يستحق التقدير والاحترام ولا الحياة ، وهو في حقيقته معول هدم لبلاده رضي أم أبى .

لقد عاش العراق تجربة قاسية في أيام عبد الكريم قاسم (١٩٥٨ – ١٩٦٣) ، كان مقياس الإخلاص للبلد لكل فرد من أفراد الشعب ، هو الإشتراك في المسيرات (الشعبية) ، والهتاف المتواصل ، والتصفيق العالي المستمر ، وإرسال البرقيات الغزلية للزعيم الأوحد ، فجنى العراق من كلّ ذلك الخراب والدّمار .

لا بدّ أن يقوم كل فرد من أفراد الشعب بواجبه ، والذي لا يعمل لا يأكل ، وهو كائناً من كان عنصراً فاسداً ، من المصلحة اجتثاثه .

---

(١) حدث ذلك فعلاً في العراق أيام قاسم العراق .

ذلك هو القول الفصل الذي يرتفع إلى مستوى الشعور بالمسؤوليّة ، أما أن نتملّق المشاعر على حساب خراب الوطن ، فليس ذلك إلا خيانة للوطن ، وإذا لم يكن السعي إلى الكسب الشخصي على مصلحة الوطن خيانة ، فكيف تكون الخيانة ؟ .

والمسألة كلّها هي أننا نعاني أزمة أخلاقية عارمة . إن الخلق الكريم له علاقة مباشرة بالإنتاج سواء كان في مجال الدولة أم في مجال الإقتصاد أو الصناعة أو الزراعة أو التعليم .

وأُريد أن أؤكد هنا هذه الناحية بالذات ، والذين يدّعون أن العمل السياسي لا علاقة له بالسلوك الشخصي الملتزم بالخلق الكريم ، مخطئون كل الخطأ أو مغرّر بهم أو مخرّبون .

والتاريخ يثبت ذلك بما لا مجال فيه للشك ، ولو أردنا أن نورد الشواهد من التاريخ عن رجال كانوا في قمة الوطنية ، ولكنهم كانوا يعانون من نقص أخلاقي في ناحية من نواحي حياتهم ، فاستغّل العدو هذه الناحية بشتى الطرق والأساليب ، واستطاع أن يجعل من ذلك الوطني عميلاً .

إن هناك أسباباً كثيرة للدولة العربية تؤدي بها في طريق معركة الثأر إلى النصر كما ذكرنا ، ولكننا أوردنا

الأسباب التي لها صلة مباشرة قوية بتحرير فلسطين .

إن تقوية الجيش واجب وطني وهدف حيوي ، إذ لا دولة محترمة بدون جيش قوي ، ولا حقوقاً تسترد بدون جيش قوي .

بل لا أمن ولا اطمئنان في داخل الدولة بدون جيش قوي .

إن السياسة الداخلية والخارجية للدولة ، إذا لم يكن وراءها جيش قوي تكون عرضة للهزّات ، وقد كانت مكانة بعض الدول ضعيفة قبل أن تصبح دولاً ذرّية ، فلما أصبحت كذلك ارتفعت مكانتها وأصبح صوتها يفرض نفسه على الأسماع .

إن مسؤولية تقوية الجيش في القطر العربي ، تقع على الدولة وعلى الشعب أيضاً ، فلا جيش قوي بدون تعاون الشعب والدولة .

وبدون جيش قوي ، لا أمل باسترداد حقوق العرب في أرض فلسطين .

والوحدة الوطنية هي الأساس للوحدة الشاملة ، فلا بدّ من الحرص على مقوّماتها ، والعمل على ترصينها ، والسهر على تقويتها ، وقطع دابر كل من يعمل على تقويضها أو إلحاق الضرر بها .

إن الذين يعملون على إحياء التفرقة القومية أو الدينية أو المذهبية في الوطن الواحـــد ، لا يستحقون شرف المواطنة ، لأنهم يعملون مـا عمله الإستعمار في بلادهم من قبل ، ولأنهم يحققون للإستعمار أهدافه في بلادهم اليوم .

وهؤلاء يجب أن يعرفهم الشعب ، حتى لا يُخـدع بهم مرة أُخرى .

والتعاون بـين الحكومة والشعب ، يؤدي إلى تحقيق أهداف البلاد من أقصر طريق .

والتعاون يسهّـل على الدولة مهمتها ، ويخفف عن كاهلها كثيراً من الأعباء .

والإلتزام بقضيـــة فلسطين من الحكومة والشعب ، ضروري للقضاء على إسرائيــل . ولا يقتصر الإلتزام على الناحية الماليـــة ، بل يشمل الإلتزام قضايا التنسيق الإقتصادي والسياسي والثقافي في البلاد العربية .

إن المقرّرات مهما تكن معقولة واقعية عمليـــة ، لا تفيد إذا لم تنفّذ نصاً وروحاً ، وإلاّ فإنها حبر على ورق لا تساوي ثمن ذلك الحبر والورق .

ومرة ثانية ، إن قضية فلسطين يجب أن تكون فوق التناقضات العربية ، وقد يكون هناك اختلافات كثيرة ،

ولكن القضية التي لا تحتمل الإختلاف هي قضية فلسطين .

وأخشى ما يخشاه العرب في كل مكان ، أن تؤدي اختلافات الدول العربية إلى ضياع قضية فلسطين .

لقد حدث ذلك فعلاً عام ١٩٤٨ ، وعرف العالم ماذا كانت النتيجة .

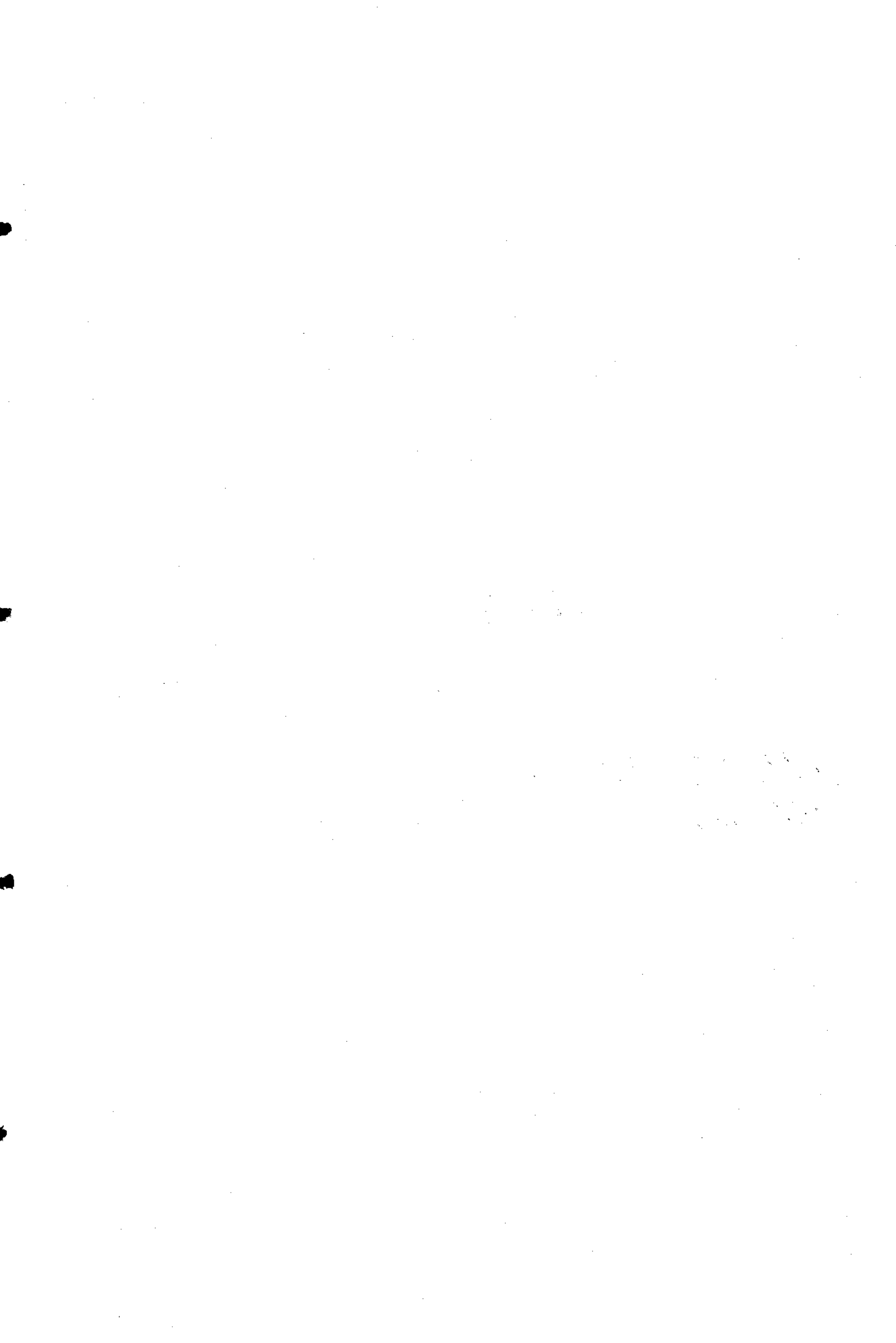
فهل يأخذ العرب درسهم اليوم ؟ .



الخاتمة

«لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ»

(القرآن الكريم)



فأين منّا اليوم عقيدتنا المنشئة البناءة ، وأين هم اليوم حماتنا القادرون ؟

كان عمر بن الخطاب يقول لجيوشه قادة وجنوداً : « أخوف ما أخاف عليكم ذنوبكم » ، وقد تقدّمت رايات العرب المسلمين من المحيط الهندي جنوباً إلى سيبيريا شمالاً ، ومن الصين شرقاً إلى فرنسا جنوباً : لم تندحر راية لهم أبداً ما داموا متمسكين بدينهم ، فلمّا غلُّوا [١] بعد عام اثنتين وتسعين الهجرية ، بدأت راياتهم تندحر ودبّ إلى صفوفهم الضعف والهوان .

لقد مرّ بنا ، أن من عوامل ضعف إسرائيل هو : تفشّي التردّي الخلقي بين أبنائها [٢] ، فلمصلحة مَنْ ننافس إسرائيل في هذا المجال ؟

إن قادة الفكر في البلاد التي وصلت الأوج في مسيرتها الحضارية ، يذوبون حسرة وألماً على أفراد شعبهم الذين انغمروا في حمأة الرذيلة والفساد ، وهم لا يكادون ينفكّون ينذرون قومهم بالويل والثبور من نتائج التفسخ والترف والإنهيار الخلقي .

فلمصلحة من نبدأ من حيث انتهت الشعوب الراقية ،

---

(١) غلّ فلان غُلولاً : خان في المغنم أو في مال الدولة . وفي التنزيل العزيز : « ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة » .
(٢) انظر (٦٩ – ٧١) من هذا الكتاب .

يا نصر الله اقترب

— ١ —

فُقدت الأصواتُ يوم (اليرموك) إلاّ صوت رجل يقول : « يا نصر الله اقترب [١] » ، فنزل نصر الله ، وانتصرت الفئة القليلة من العرب المسلمين ، على الفئة الكثيرة من الروم وحلفائهم ، بإذن الله : « ولينصرنّ الله من ينصره ، إنّ الله لقوي عزيز [٢] » .

وانتصار العرب المسلمين في أيام الفتح الإسلامي العظيم ، كان انتصار عقيدة لا مراء ، وموجز أسباب ذلك الإنتصار هو : عقيدة بنّاءة منشئة ، زاد عنها حماة قادرون [٣] !

---

(١) انظر التفاصيل في الإصابة (٣ / ٢٣٨) وأسد الغابة (٣ : ١٢) والإستيعاب (٣ / ٧١٤) .

(٢) الآية الكريمة من سورة الحج (٢٢ : ٤٠) .

(٣) انظر التفاصيل في : قادة فتح العراق والجزيرة (١٨ - ١٩) .

فنستورد رذائلها ونعفّ عن مكارمها ، ونحن في وقت عصيب في صراع حياة أو موت على إسرائيل ؟

لقد كنّا متأخرين عن ركب التحلّل الخلقي خطوة ، هي أن يكون للعرب ملكة جمال ، كما لإسرائيل وفرنسا ملكة جمال ... !

ولكن الهمم أبت إلاّ اللّحاق بركب التفسخ الخلقي ، فكان في شتورا (لبنان) يوم ٢٠/٨/١٩٦٦ سباق لاختيار ملكة الجمال العربية أو مليحة العرب كما يقولون !!

لقد كانت (هذه) فقط تنقص العرب ، واليوم استكملوا بفضل الذوق السّليم وباسم الفن هذا النقص الكبير .

فإذا كنا عرباً حقاً ، فالشيم العربية الخالصة تأبى علينا أن نعرض مفاتن بناتنا ، على أنظار الغادين والرائحين من المشبوهين أو غير المشبوهين .

وإذا كنّا مسلمين حقاً ، فإن الإسلام يأبى علينا أن نعرض بناتنا متبرجات كاسيات عاريات تلتهمهن الأعين الفاسقة وغير الفاسقة على ملأ من الناس[1] .

ماذا نحن أعرب ؟ أمسلمون ؟

أليس من العجيب أن نحتفل بمناسباتنا الوطنية

---

(١) ذهبنا إلى مدى أبعد ، فأصبحنا نختار ملكة جمال التدخين، وملكة جمال السهْرَة .

وأعيادنا الوطنية ، بإقامة الحفلات الراقصة ؟

ويحضر أحد المشتغلين بالقضايا الوطنية إلى حوار في المذياع أو المذياع المصور ، فيندفع في حماسة مذهلة كلاماً ومنطقاً . ثم يسأله المذيع بعد الحوار (الوطني) : أية أُغنية تريد ؟ فيطلب أُغنية فيها الحب المكشوف والغزل بالعيون والرموش ، فهل نستطيع أن نصدق هذا (الوطني) ؟ أم أن حماسته مفتعلة ووطنيته من قوارير ؟

إنّ القرود وحدهم يقلّدون غيرهم فيما يضر وينفع ، لأنهم لا يملكون حاسّة التمييز بين الأشياء ، فهم لا يفقهون ما يعملون .

فهل مُسخ بعض العرب إلى قرود ؟

ومرة ثانية ، إن النصر لا يمكن إحرازه بالديوثين والبغايا وأشباه الرجال ... إن النصر لا يحرز إلا بالرجال .

كنت أنصت إلى المذياع المصور [1] قبل أيام [2] ، فقال المذيع لرجل يحاوره : « الناس يأخذون عليك أنك معتزل : لا يرونك في الملاهي ولا في المقاصف ولا في الحانات ... فقال الرجل : « أنا لا أُعاقر الخمرة ،

---

(١) التلفزيون .

(٢) في الاسبوع الأول من شهر آب (أغسطس) ١٩٦٦ .

ولا أحبُّ الملاهي »، فقال المذيع : « كيف ! في أي عصر أنت تعيش ؟ ... » ، واستمر في تأنيب الرجل ، ولم يكد يتخلّص منه إلا بعد اعتذار وعناء .

فهل أصبحت الرذيلة هي القاعدة ، وأصبحت الفضيلة هي الإستثناء ؟

إنّ العناصر الخيّرة من العرب ، يجب أن يثبتوا وجودهم ، ويصححوا الأوضاع ، وإلاّ فستشمل الفتنة الخيّرين وغير الخيّرين .

إني أحذر العرب من الإنزلاق في مهاوي التحلل الخلقي ، فإن إسرائيل وأعداء العرب هم الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، لأنهم يعلمون أن تفشّي ذلك في العرب هو الذي يكتب لإسرائيل النصر على العرب بدون قتال ولا جيوش .

وحين قدم الإستعمارُ البلادَ العربية ، استورد معه كثيراً من وسائل إفساد الأخلاق المعروفة [٣] ؛ فحرام أن نسكت عن أشد آفات الإستعمار الباقية ، وأكاد أقول : إننا بالعكس نعمل طوعاً على تعميق آثارها في بلادنا ، فنخرّب بيوتنا بأيدينا !!

---

(٣) كان مع الجيش الفرنسي المحتل الذي نزل شمال إفريقية ولبنان وسورية جيش من الغانيات وبواخر مثقلة بالخمور، وحين سئل القائد الفرنسي الذي كان في قطر من الأقطار العربية عن سر استيراد الغانيات والخمور ، قال بصراحة : « هذا جيش أكثر فائدة لفرنسا من الجيش النظامي » .

- ٢ -

هدف العرب الواضح ، هو القضاء على إسرائيل .

ووضوح الهدف عامل من عوامل النصر في الحرب ، ولكنّ وضوح الهدف وحده لا يكفي لإحراز النصر ، بل هناك عوامل أخرى ، هي في حقيقتها : مخطّطات دقيقة سليمة ، وتنفيذ تلك المخططات .

والمخططات والتنفيذ ، يحتاجان الى عمل دائب جدي، وتضافر الجهود الشعبية والحكومية ، وبذل المال والأرواح.

وما دام العرب في سباق مصيري حاسم مع إسرائيل، فلا بد أن يزجُّوا كلّ طاقاتهم المادية والمعنوية لسبق إسرائيل.

والعرب الذين يدخرون شيئاً من طاقاتهم المادية والمعنوية ولا يزّجونها في هذه المعركة المصيرية الحاسمة ، يفرّطون بحق بلادهم وأمتهم ودينهم وأمنهم الشخصي أيضاً .

إنهم قد لا يدركون ما تبيّته إسرائيل للعرب خاصة وللعالم عامة ، من توسّع على حساب البلاد العربية ، ومن سلبٍ للأموال وهتكٍ للأعراض وامتصاص للدماء .

إنّ لإسرائيل نيّات توسعية لتمتد بلادها : « من النيل الى الفرات » ، فإذا حققت أهدافها التي تعمل من أجلها ليلاً ونهاراً ، فإنها لا تبقي ولا تذر ، وحينذاك لا تبقى عروش ولا رياسات ، ولا حكومات ولا كيانات ، ولن

تفيد أصحاب المال ما ادخروه من مال حرام في المصارف الأجنبية ، وهل أفاد قارون ماله حين أتى أمر الله ؟.

والمال وسيلة لاغاية ، والشرف غاية لا وسيلة ، فماذا يفيد المال إذا ضاع الشرف الرفيع ، وصدق الشاعر العربي حين قال :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبه الدّم !

وما دامت إسرائيل قد فرضت نفسها فرضاً على البلاد العربية بمعاونة مَن وراء إسرائيل من دول الإستعمار القديم والحديث ، فهي بذلك وبنفس الوقت قد فرضت الحرب على العرب فرضاً لا محيص لهم من تحمّل أعبائها والنهوض بتبعاتها والإعداد لها بكل ما يستطيعونه من رجال وسلاح وعتاد ، والعمل على شحن النفوس العربية بالطاقات المعنوية العالية ، استعداداً لمعركة الثأر .

وصدق الله العظيم : « وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدوّ الله وعدّوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم [1] » .

إن يهوداً ليسوا أعداء العرب وحدهم ، بل هم أعداء البشرية كلها ، فهم الذين أشعلوا نار الحروب في العالم ، وأثاروا

(١) الآيه الكريمه من سورة الأنفال (٨ : ٦٠) .

الفتن والقلائل ، وأفسدوا الأخلاق والضمائر [1] ، وحطموا المُثل العليا للإنسان ، وفرّقوا الصفوف وأشاعوا الرذيلة ، وشجعوا على الفحشاء والمنكر والبغي ، وسيطروا على المال ، وتربّصوا بالخير والحق والفضيلة ، وارتكبوا الإثم والعدوان .

إنهم بؤرة الفساد والإفساد في العالم ، ومصدر الشر والرذيلة ، وكل ما حاق بالعالم من ضررٍ وكل ما يحيق به سببه يهود : فتّش عن يهود وراء كل مصيبة حدثت للناس أو ستحدث في مستقبل الأيام .

وقد حذّرنا الله من شرور يهود ، وذكر لنا صفاتهم في آيات كثيرة من آيات الذكر الحكيم [2] ، منها قوله تعالى : « لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود [3] » .

كما حذّرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمئات الأحاديث النبوية الشريفة من يهود ومن شرور يهود ومن

---

(١) طرد الاتحاد السوفياتي دبلوماسياً إسرائيلياً لاتهامه بالتجسس . فأجابت إسرائيل على ذلك : أن روسيا لا تريد أن يعطف يهود روسيا على إسرائيل !! هكذا كل يهودي ولاؤه لإسرائيل حق ولو كان في الاتحاد السوفياتي .

(٢) وردت في القرآن الكريم عشرون آية عن يهود . أنظر التفاصيل في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٧٣٩) و (٧٧٥) .

(٣) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ٨٢) .

نياتهم العدوانية : « لا تقوم السّاعة حتى تقاتلوا يهود » ...

- ٣ -

ولعل : « إرادة القتال » ، من أبرز النواحي المعنوية العالية التي يتحلىّ بها شعب لا يقهر أبداً ، وقد تحدّثنا عن هذه (الإرادة) في الأسباب العامّة للنّصر [١] .

وإرادة القتــال ، هي تصميم على إحراز النصر مهما تكن الخسائر فادحة بالأمــوال والأرواح ، ومهما تكن الجهود شاقة والوقت طويلاً للوصول إلى تحطيم الأعداء .

وهذا (التصميم) يجب ألاّ يعرف الـتردّد والخور ، وألا يؤثـّر عليه دعاة الهزيمة في أي وقت وفي أي مكان ، وإلاّ أصبحت : « إرادة القتـــال » شعاراً للإستهلاك المحليّ ، وليست عقيدة وعملاً تمشي على الأرض .

من هنا ، فإن التلميح أو التصريح بالصلح مع إسرائيل ، لا يخدم العرب في شيء ، بل يخـــدم إسرائيل ومَن وراء إسرائيل .

إن التلميح أو التصريح بالصلح ، يعمـل عمل المخدّر في نفوس وعقول العرب ، ويصرفهم عن (التصميم) القاطـع على غرس روح : « إرادة القتـــال » في كيانهم وفي

---

(٣) أنظر (١٨٩-٢١١) من هذا الكتاب .

أعماق أعماق قلوبهم ، في الوقت الذي لا تؤمن إسرائيل بالصلح ولا بالسّلام ، وهي مصمّمة تصميماً راسخاً على تحقيق أهدافها التوسعيّة على حساب البلاد العربيـــة في الزمان والمكان المناسبين .

إن نيّات إسرائيل العدوانية مكشوفة للعالم كلّـــه ، فلمصلحة من يغشّ بعض العرب أنفسهم ، ولحساب من ؟؟

إنّ الذين يلمّحون أو يصرّحون بالصلح مع إسرائيل ، هم في الحقيقة إخوان يهود وأصدقاء اسرائيل وعملاء الصهيونية .

وهؤلاء ليس محلهم المناسب في بـلاد العرب ، وليس مكانهم بين العرب ، بل محلّهم المناسب إسرائيل ومكانهم المناسب بين يهود .

هؤلاء يجب أن ينبذهم الشعب العربي إلى الأبـــد ، ويجب أن تلاحقهم اللّعنات إلى يوم الدين [1] .

وكما خسر الذين تهاونوا في أمـــر فلسطين مكانتهم وعروشهم وأرواحهم من قبل ، فسيخسر هؤلاء مكانتهم وعروشهم وحاضرهم ومستقبلهم اليوم أو غداً .

---

(١) هناك من يدعى عبد الرازق عبد القادر الجزائري زار إسرائيل في ١٢ / ٨ / ١٩٦٦ وصرّح هناك بأنّه : إذا استلم الحكم في الجزائر يصالح إسرائيل ، لأنه من تلاميذ « كارل ماركس » ... فيـا للخزي ويا للعار له ولأمثاله من المنحرفين .

وكلٌّ آت قريب .

إنه لا صلح مع إسرائيل قبل أن ترفرف رايات العرب فوق تل أبيب ، وقبل أن يستعيد العرب حقّهم السليب في أرض فلسطين ، وقبل أن يستقرّ (العائدون) في أرض الآباء والأجداد .

إن كلّ ذرّة من تراب فلسطين ، مجبولة بدم نبي أو صحابي أو تابعي أو مجاهد عظيم ، وقد كانت فلسطين عربية قبل الفتح الإسلامي يقطنها بنو كلب وبنو غسّان وبنو تغلب وبنو إياد وبنو النمر وعشرات من القبائل العريقة العربيـــة .

وقد أنقذها الفتح الإسلامي من سيطرة الروم المغتصبين وأعادها للعرب ، وضحّى أجدادنا من أجل إنقاذها بعشرات الألوف من الشهداء ، أكثرهم من صحابة رسول الله صلى الله عليـــه وسلّم ، وحسبنـا أن نذكر أنه استشهد في طاعون (عَمْواس) [١] وحده سنة ثماني عشرة الهجرية (٦٣٩ م) حوالي عشرين ألفاً من الصحابة الكرام ، وعلى رأسهم القائد العـــام في أرض الشام أبو عبيدة بن

---

(١) عمواس : كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس ، وهي على أربعة أميال من (الرّملة) على طريق بيت المقدس .

الجراح [1] ويزيد بن أبي سفيان فاتح لبنان [2] ، وشُرَحْبيل ابن حسنة فاتح الاردن [3] ومعاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل » ، وقال عنه : « يأتي معاذ بن جبل يوم القيامة أمام العلماء [4] » .

فهل هناك مسلم حقاً وعربي حقاً ، يرضى أن تدنّس إسرائيل مثل هذا البلد الطاهر ، ويقنع بأقلّ من القضاء على إسرائيل؟ .

ولكن أين المسلم الحق ؟ وأين العربي الحق ؟

- ٤ -

يجب أن ينشط العرب لتقوية جيوشهم في قيادتها وتدريبها وتسليحها وتنظيمها وتجهيزها ، حتى تصل المستوى الرفيع اللآئق بأمة تعدادها مائة مليون أو تزيد .

ويجب أن يعمل العرب على غرس المعنويات العالية ، ولعلّ التربية الصالحة ، وتعميق مفاهيم الدين الحنيف خير

---

(١) طبقات إبن سعد (٣ / ٤١٥) و (٧/٣٨٥) .

(٢) طبقات إبن سعد (٧ / ٤٠٦) والإصابة (٤ / ٣٤١) والإستيعاب (٣ / ١٥٧٦) والبلاذري (١٤٦) والمعارف (٣٤٥) .

(٣) تهذيب ابن عساكر (٦ / ٣٠٠) وشذرات الذهب (١ / ٣٠).

(٤) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٣ / ٥٨٣) و (٧ / ٣٨٧) والإصابة (٦ / ١٠٦) وأسد الغابة (٤ / ٣٧٦) والإستيعاب (٣/١٤٠٢) .

علاج لرفع المعنويات .

ويجب حشد كل الطـّاقات المادّية والمعنوية لخوض حرب إجماعية يشهدها كل قادر على حمل السلاح وكل قادر على بذل المال ، وكل قائد من قادة الفكر العربي : توعيـــةً وإذكاء للحماسة ،وبعثاً للهمم ، وتذكيراً بالبطولات والتضحيات والبذل والفداء .

ويجب أن تنشط السياسة العربية للإفادة من كل دولة إسلامية عملت وتعمل لدعم العرب ضد إسرائيل .

لقـــد ذكرت أن المشير أيوب خان رئيس جمهورية باكستان قــال : « عندنا مشكلتان : مشكلة فلسطين ، ومشكلة كشمير . إننا لن نعترف بإسرائيــل حتى ولو اعترف بها العرب » .

وقال الشهيد أحمدو بللو لمحرر صحيفة سأله : « هـــل تقبـل مواجهة وزيرة خارجية إسرائيل ؟ » ، فقــال : « على شرط واحد : أن أطلق عليها الرّصاص » .

وقـــال رئيس جمهورية الصومال آدن عبدالله عثمان : « إسرائيل أعدى أعدائنا ، ولا نرضى بأقلّ من قذفهـــا في البحر [١] » .

---

(١) كان ذلك في ٤ - ٨ - ١٩٦٦ وأذاعت تصريحه محطات الإذاعة العالمية ونشرته الصحف العربية الصادرة يوم ٥ - ٨ - ١٩٦٦ .

صحيح أن بعض الدول الإسلامية لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بإسرائيل ، ولكن شعوبها لا تقرّ مطلقاً اتجاه حكوماتها نحو إسرائيل ، وتحتج عليه وتمقت القائمين به أشدّ المقت .

وقد زار العراق في أوائل عام ١٩٦٦ وفد من إحدى الدول الإسلامية التي لها علاقة بإسرائيل ، فسألنا الوفد عن أسباب ذلك ، فأبدى استياءه الشديد واحتجاجه الصارخ على موقف حكومته ، وصرّح بأنه سيقاوم هذا الإتجاه بكل قوة حتى ولو أدى الأمر الى العنف وإشعال الثورات .

إن الشعوب الإسلامية قاطبة مع العرب على إسرائيل، والحكومات الإسلامية التي لها علاقة بإسرائيل نترك أمرها لشعوبها ونستعدي شعوبها عليها ، فهي وحدها تستطيع أن تقوّم المعوجّ وتقضي على الإنحراف .

إن مشكلة فلسطين مشكلة عربية بالدرجة الأولى ، ولكنها بعين الوقت مشكلة إسلامية [١] ، فيجب أن تنشط السياسة العربية للإفادة من المسلمين في كل مكان من دار الإسلام .

---

(٢) انظر كتاب خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية (٤٠٥ - ٤٠٦) و (٤١١) .

وليس مسلماً من لا يؤيد العرب ، لأن « العرب مادة الإسلام » كما قــال عمر بن الخطاب رضي الله عنه [1] ، و« لا يكره العرب إلا منافق » كما قال رسول الله عليــه أفضل الصلاة والسلام [2] ، كما جاء في كتب السنّة أحاديث كثيرة عن فضل العرب [3] ، منها : « إذا ذلّ العرب ذلّ الإسلام [4] » ، ومنهــا : « حبّ العرب إيمان وبغضهم نفاق [5] » .

ويجب أن تنشط السياسة العربية للإفادة من كل دولة يمكن أن تؤيد العرب في قضية فلسطين ، ويجب أن تُظهِرَ للعالم حقيقة عدوان إسرائيل وما حــاق بالعرب من ظلم فادح ، لأن السياسة العربية مقصرة في هذا المجال.

إن السياسة العربية مطالبة بإثبات وجودها في قضية فلسطين ، بشكل أفضل مما كانت عليه في السابق ومما هي عليه الآن ، وأن تعوّض عما فاتها من فرص ومناسبات .

---

(١) انظر قادة فتح الشام ومصر (٢٤٦) .
(٢) رواه الإمام أحمد بن حنبل . أنظر مفتاح كنوز السنة (٣٣٩) .
(٣) انظر الترمذي الكتاب (٤٦) الباب (٦٩) .
(٤) رواه أبو ليلى في مسنده .
(٥) رواه الدار قطني عن ابن عمر .

- ٥ -

والوحدة العربية بدون شك تقضي على إسرائيل قضاءاً مبرماً ، وقد تجعل إسرائيل تستسلم للعرب بدون قيد ولا شرط .

فيجب أن يعمل العرب لتحقيق هدف الوحدة بخطوات عملية تجعل كلّ عربي يلمس فائدتها ، كتوحيد قيادة الجيوش العربية وتوحيد تدريبها ومصطلحاتها العسكرية [١] وتوحيد تنظيمها وتوحيد تسليحها وتوحيد تجهيزها لتصبح بالتدريب جيشاً عربياً واحداً .

ومن خطوات الوحدة العملية : التنسيق الإقتصادي ، والتنسيق الصناعي ، والتنسيق الزراعي ، والتنسيق الإعلامي ، وتنسيق التعاون الخارجي ، وتنسيق التعليم الذي يؤدي الى الإنسجام الفكري بين العرب .

إن كلّ هذه خطوات عملية يلمس العرب فائدتها عليهم وعلى أولادهم وأحفادهم ، لأنها ترفع مكانتهم من النواحي: العسكرية والإقتصادية والصناعية والزراعية ، ومن ناحية السياسة الإعلامية والسياسة الخارجية ، ومن ناحية التعليم النابع من عقيدتنا وتراثنا وحضارتنا العريقة .

---

(١) ذكر الأمين العام للجامعة العربية في رسالة شخصية للمؤلف بتاريخ ١٩٦٦/٩/٦ : أنّ الأمانة العامة شديدة الإهتمام بفكرة توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية وتوليها كلّ عنايتها » .

حقق الله الآمـــال ...

ومَنْ من العرب لا يريد القوة والمنعة للعرب ؟ ومن منهم لا يريد ارتفاع المستوى الإقتصادي في البلاد العربية؟ ومن منهم لا يريد أن يكون العرب مسموعي الكلمة في الخارج بفضل أجهزة إعلامهم المنسّقة وسياستهم الخارجية الرصينة ؟

أما أن نبدأ العمل للوحدة بخطوات عاطفية ، لا يلمس أي عربي فائدتها ، ولا يشعر عربي بأهميتها ، فأمر يدعو الى السخرّية والرثاء .

وبصراحة ....

إن الوحدة قوّة ، وكل عربي مخلص يتعشّق الوحدة ويريدها اليوم قبل غدٍ . ولكن الوحدة طريقها طويل صعب ، لا يستطيع أن يسلكه غير المؤمنين حقاً بالوحدة . أما أصحاب (الحوانيت) الذين يبيعون (وحدة) ويشترون (وحدة) ، ويعملون لها ما دامت تدرُّ عليهم « ربحاً » ، وينكصون على أعقابهم إذا أصابهم منها « ضرر » أو توقعوا أن يصيبهم منها ضرر ، فلن يفيدوا الوحدة بشيء ، بل هم قد ألحقوا بها من جراء تصرفاتهم أفدح الأضرار .

وأكثر العرب لا يقدّرون (الشعارات) بقدر ما يقدّرون (الرجال) ، فإذا رأوا المؤمنين الصادقين ، يتبنّون (شيئاً) ، ساروا خلفهم مساندين مؤيدين ، أما إذا رأوا المتظاهرين بالإيمان وهم لا يؤمنون يتبنون

« أمراً » ، فإن العرب يتنكـرون له معرضين مدبرين ، وقد حدث مثل هذا فعلاً ، وتاريخنا القريب خير دليل .

إن نوعين من القادة يستطيعان تحقيق الوحـدة للعرب من أقصر الطرق وبأقل فترة من الزمان .

الأول : الذي يؤمن بالإسلام عقيدة وعمـلاً وتضحية وفداء ، ثم يظهره للناس علناً ويتبنى تطبيقه فكرة ومنهاجاً.

إنّ الشعب العربي شعب مسلم ، وقد هتف أحد قادة العرب عام ١٩٦٤ بقوله : « يا شباب محمد » ، فَرَدَّدَ العرب هتافه من المحيط الى الخليج ، وردد هتافه المسلمون من المحيط الى المحيط ، وأصبحت له شعبية طاغية في كل بلاد العرب ودار الإسلام .

ولكنه نكص على عقبه ، فنكص الناس على أعقابهم ، ولو استقام لاستقاموا .

إن العرب لن يوحّدوا بمبادىء مستوردة ولا بشعارات مستوردة ، وإني لأتحدى عن علم كلُّ من يدّعي أنّ فضيلة واحـدة في المبادىء المستوردة ، ليس في الإسلام أفضل منها ، وأن شعاراً واحداً من الشعارات المستوردة ليس في الإسلام أعظم منه ، فالإسلام هو المورد النقي الصـافي ، ولكن يا ليت قومي يعلمون .

لقد كانت هناك محاولات كثيرة — شهدت بعضها إن

لم أقل أهمها – للعمل من أجل الوحدة ، باءت كلهـــا بالفشل ، لأنها انطلقت من منطلق خاطىءٍ أقل ما يقال فيه : إنه غير نابع من عقيدتنا وتراثنا وحضارتنــــا ، فماتت تلك المحاولات في مهدها ، لأنها لم تلق هوىً في نفوس العرب ولم تلامس شغاف قلوبهم ووجدانهم .

وقد كانت هناك محاولات أخرى للعمل من أجـــل الوحدة بالعنف ، ولكنها باءت بالفشل وأدّت الى نتائج عكسية أضرّت أول ما أضرّت بالوحدة .

وكم قلنا للناس : إن المبدأ شيء ، والأشخاص شيء آخر ، والوحدة مبـــدأ وعقيدة باقية ، والأشخاص الى فناء ، فإذا صحّ أن نطعن الأشخاص الزائلين ، فلا يصحُ مطلقاً أن نطعن المبدأ والعقيدة الباقية .

ولكنّ الذي حدث (فعلاً) أن الطعن انصب على الأشخاص كما انصب على الوحدة ، وهذا يدعو الى الأسف والأسى ، ويقطّـع نياط القلوب .

والقائد الثاني : هو الذي يقضي على إسرائيل ، فيعلن الوحـدة في (تل أبيب) ، كما أعلنها صلاح الدين الأيوبي في (القدس) .

فأين هما هذان الصنفان من القادة ؟ أين ... ؟

- ٦ -

في الوطن العربي طاقات مادية ومعنوية بغير حدود .

وقد استطاع العرب أن يقودوا العالم بهـــذه الطاقات قروناً طويلة ، لأنهم نظّموا طاقاتهم فأصبحت قوة هائلة وجدت لها متنفساً بالفتح الإسلامي العظيم .

وقد نُظّمت تلك الطاقات بهدي من رسالة السماء ، التي جمعت القوى ورصّت الصفوف وأنارت العقول والقلوب بنور الله .

وهي اليوم تنتظر التنظيم بهدي السماء ونور الله .

وهي إذا نظّمت بهرت العالم قوّة وعدلاً وسماحة وجلالا.

وحينذاك لا يكون في الدنيا شيء إسمه : إسرائيل .

وسيقول العرب حينذاك : أحقاً كان في الأرض المقدسة دولة ليهود ؟ .

وسيعرف العرب ، أن إسرائيل انتهزت فرصة نومهم، فظهرت الى الوجود .

والعرب إذا ناموا ساعة ، فلن يناموا الى قيام الساعة.

ولا تقوم السّاعة حتى تقاتلوا يهود .

والقتال هي اللغة الوحيدة التي تفهمها إسرائيل وتحـلُ

مشكلة فلسطين [1] ...

والقتال فرض على العرب فرضاً، وعلى الباغي تدور الدوائر...

وطريق النصر طويـــل، والعمل الدائب هو الذي يطويه طيّاً...

وبذل الأموال والأرواح، لا شيء، الى جانب إنقـاذ الشرف العربي الرّفيـع ...

والعمل لتحقيق الأهداف العربية حياة، وبقاء إسرائيل في الوطن العربي موت .

والمال والرجال وما في الدنيا لا يبقى، وما عنـــد الله خير وأبقى...

والوقت مع العرب طال أو قصر، على إسرائيـــل

---

(١) في ١٥/٨/١٩٠٦ حدثت معركة بين إسرائيل وسورية في منطقة بحيرة طبرّية أدّت الى احتراق الزوارق الإسرائيلية المهاجمة. والمهمّ أن وزير خارجية سورية أنذر إسرائيل، بأن سورية سترد ّ في داخل إسرائيل على كل اعتداء إسرائيلي يقع عليها رداً عنيفاً وبلا رحمة وفي داخل المنطقة المحتلة (إسرائيل). وأضاف: « إن سورية ستستمر في سياستها هذه مهما بلغ الثمن، وأنها لن تذهب الى هيئة الأمم المتحدة بعد اليوم للشكوى » . هذا هو الموقف الحازم الصحيح الذي إذا نُفـّذ (فعلا) فسيقلب خطط إسرائيل العدوانية رأساً على عقب . إني أبارك هذه الخطوة، وإثباتي لها في هذا المكان هو دليـــل التقدير، إذ ليس كل شخص ولا كلّ عمل ينال شرف الذكر في مثل هـــذا الكتاب .

طال أو قصر ...

ولا بدّ أن يتعالى الهتاف : « يا نصر الله اقترب » .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

وإلى موعد معركة الثأر على أرض فلسطين ...

ولا بدّ أن يظهر النور وينقشع الظلام ...

ولا بدّ أن يتخلّص العالم من سرطان إسرائيل ...

وعند الصّباح يَحْمَدُ القومُ السُّرى [1] .

والحمـــد لله كثيراً ، وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين .

---

(١) السّرى : سير عامّة الليل . وهذا المثل يضرب في احتمال المشقّة والحثّ على الصبر حتى تحمد العاقبة .

المصادر والمراجع

المصـــادر

ابن الأثير (أبو الحسن علـي بن أبي الكرم محمد بـن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين) .

١ ــ أُسد الغابة في معرفة الصحابة ــ طهران ــ ١٣٣٧هـ.

٢ ــ الكامل في التاريخ ــ القاهرة ــ ١٣٠٣هـ .

ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر).

٣ ــ الإصابة في تمييز الصحابة ــ القاهرة ــ ١٣٢٥هـ .

ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر).

٤ ــ الإستيعاب في معرفة الأصحاب ــ القاهرة .

ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي) .

٥ ــ البداية والنهاية في التاريخ ــ القاهرة .

٦ ــ تفسير ابن كثير ــ القاهرة ــ ١٣٤٧هـ .

٧ ــ فضائل القرآن ــ القاهرة ــ ١٣٤٧ .

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري).

٨ ــ السيرة النبوية ــ القاهرة ــ ١٣٥٦ هـ.

أبو الفدا (اسماعيل بن علي عماد الدين صاحب حماة).

٩ ــ المختصر من أخبار البشر ــ القاهرة ــ ١٣٢٥هـ .

أبو يوسف (الإمام أبو يوسف قاضي القضاة) .
١٠ – الخراج ـ القاهرة ـ ١٣٤٦هـ .
البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري) .
١١ – فتوح البلدان ـ القاهرة ـ ١٩٥٩م .
الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحيّ بن العماد الحنبلي) .
١٢ – شذرات الذهب في أخبـــار مَن ذهب ـ القاهرة ـ ١٣٥٠هـ .
الذّهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبي) .
١٣ – تاريخ الإسلام ـ القاهرة ـ ١٣٦٨هـ .
١٤ – دول الإسلام ـ حيدر آباد الدكن .
١٥ – العبر ـ تحقيق فؤاد سيد ـ الكويت ـ ١٩٦١م .
الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) .
١٦ – تاريخ الأمم والملوك ـ القاهرة ـ ١٣٥٨هـ .
ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي) .
١٧ – المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ـ ليدن ـ ١٨٤٦ م .
١٨ – معجم البلدان ـ القاهرة ـ ١٣٢٣ هـ .
اليعقوبي (أحمد بن يعقوب) .
١٩ – كتاب البلدان ـ ليدن ـ ١٨٩٢ م .

المراجع

١ ـ بيهم (محمد جميل بيهم) عالم حر جديد في آسيا وإفريقيا والوطن العربي ـ بيروت ـ١٩٦٤ م .

٢ ـ التل (عبد الله التل) ـ خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ـ القاهرة ـ١٩٦٤ م .

٣ ـ التونسي (محمد خليفة التونسي) ـ الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة.

٤ ـ توينبي (آرنولد توينبي) ـ محاضرات ترجمها الدكتور فؤاد زكريا ـ القاهرة ـ١٩٦٦ م .

٥ ـ حامد اسماعيل سيد أحمد ـ الإستعمار والصهيونية في آسيا وإفريقيا ـ القاهرة ـ١٩٦٣ م .

٦ ـ حسن مصطفى ـ إسرائيل والقنبلة الذرّية ـ بيروت ـ١٩٦٣ م .

٧ ـ دروزة (محمد عزة دروزة) ـ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ـ القاهرة ـ سلسلة اخترنا لك رقم (٨٥) .

٨ ـ فروّخ (الدكتور عمر فروخ والدكتور مصطفى الخالدي) ـ التبشير والإستعمار ـ بيروت ـ١٩٦٤ ـ الطبعة الثالثة .

٩ ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ القاهرة ـ١٣٧٨ هـ .

١٠ ـ مديرية التدريب العسكري في العراق :
أ ـ إسرائيل قاعدة عدوانية ـ بغداد ـ ١٩٦٥م .
ب ـ الصهيونية وربيبتها إسرائيل ـ بغداد ـ ١٩٦٥م .
١١ ـ ليتنتال (الفريد ليتنتال) ـ ثمن إسرائيل ـ بيروت ـ ١٩٥٦ م .
١٢ ـ نقولا الدر ـ هكذا ضاعت وهكذا تعود ـ بيروت ـ ١٩٦٤م .
١٣ ـ مصادر شتى من الصحف والمجلات والنشرات الرسمية والإذاعات العالمية .
١٤ ـ تقارير رسمية .

المراجع الاجنبية

1 - Bilby , Kenneth : New star in the Middle East. (New York 1951)

2 - Churchill , Winston : Great Contemporaries (London, 1941) .

3 - Churchill , Winston : The Gran Alliance (London , 1950) .

4 - R. Crossman, Richard : Palestine Mission (London, 1947) .

5 - Eden , Anthnony : The memoirs (London, 1960) .

6 - Glubb, John Bagot : A Soldier With The Arabs . (London, 1957) .

7 - Hull, Cordell : The memoir of Cordell Hull (New york, 1948).

8 - Kirk, George : The middle East in The War . (London, 1952) .

9 - Lenczowski, George : Oil and state in the Middle East . (New york, 1960).

10 - Lilientnal, Alfred : What Prise Israel (Chicago, 1953) .

11 - Longrigg, Stephen Hemsley : Oil in The Middle East . (London, 1956) .

12 - Nutting, Anthony : I Saw For My Self (London, 1958) .

13 - Philby, H. St John B : Forty years in The Wilderness (London, 1957) .

14 - Strachey, John : The End of Empire (New york, 1960).

15 - Toynbee, Arnold : A Study of History (London, 1955) .

16 - Truman, Harry : Years of Trial And Hope (London, 1956) .

فهرس الموضوعات

الخرائط والصور

آثار المؤلف الصادرة

الكتب العسكرية :

١ – القضايا الإدارية في الميدان – مطبعة الجيش العراقي – بغداد ١٩٥٢ .

٢ – التدريب الفردي ليلاً – بالاشتراك مع اللواء الركن شاكر محمود شكري – مطبعة شفيق – بغداد – ١٩٥٤ .

كتب التاريخ الصادرة :

٣ – الرّسول القائد : الطبعة الاولى – بغداد–١٩٥٨.
الطبعة الثانية – بيروت–١٩٦٢.
الطبعة الثالثة – دار القلم – القاهرة–١٩٦٤ .

٤ – قادة فتح العراق والجزيرة – دار القلم – القاهرة–١٩٦٤ .

٥ – المهلب بن أبي صفرة الازدي – مطبعة العاني – بغداد–١٩٦٤ .

٦ – الفاروق القائد – الطبعة الاولى – بغداد–١٩٦٥.
الطبعة الثانية– دار مكتبة الحياة – بيروت–١٩٦٦ .

٧ – الأحنف بن قيس التميمي – مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد–١٩٦٥ .

٨ – قتيبة بن مسلم الباهلي – مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد – ١٩٦٥ .

٩ – عقبة بن نافع الفهري – مطبعة العاني – بغداد – ١٩٦٥.

١٠ – أبو موسي الأشعري – مطبعة العاني – بغداد – ١٩٦٥.

١١ – أبو عبيدة بن الجراح – مجلة المجمع العلمي العربي – دمشق – ١٩٦٥.

١٢ – قادة فتح بلاد فارس – دار الفتح – بيروت – ١٩٦٥.

١٣ – قادة فتح الشام ومصر – دار الفتح – بيروت – ١٩٦٥.

١٤ – قادة فتح المغرب العربي – جزءان – دار الفتح – بيروت – ١٩٦٦ .

كتب السياسة العسكرية :

١٥ – طريق النصر في معركة الثأر – دار الفتح – بيروت – ١٩٦٦ .

كتب اللغة العسكرية :

١٦ – المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم – جزءان – دار الفتح – بيروت – ١٩٦٦ .

كتب تاريخ الحروب :

١٧ – المشير فون رونشتد (أسرار الحرب العالمية الثانية) – الجنرال كونثر بلومنتريت – ترجمة عن الإنكليزية . الطبعة الأولى – بغداد – ١٩٦٠.
الطبعة الثانية – دار مكتبة الحياة – بيروت – ١٩٦٥.

عنوان المؤلف

اللواء الركن محمود شيت خطاب

الأعظمية – بغداد

الجمهورية العراقية

دار الفتح

للطباعة والنشر

بيروت – ص. ب ٤٢٩٥ – بناية العازارية

الجديدة أ – ٤ الطابق الرابع – رقم ٣

تلفون : ٢٥٢٠٩٧

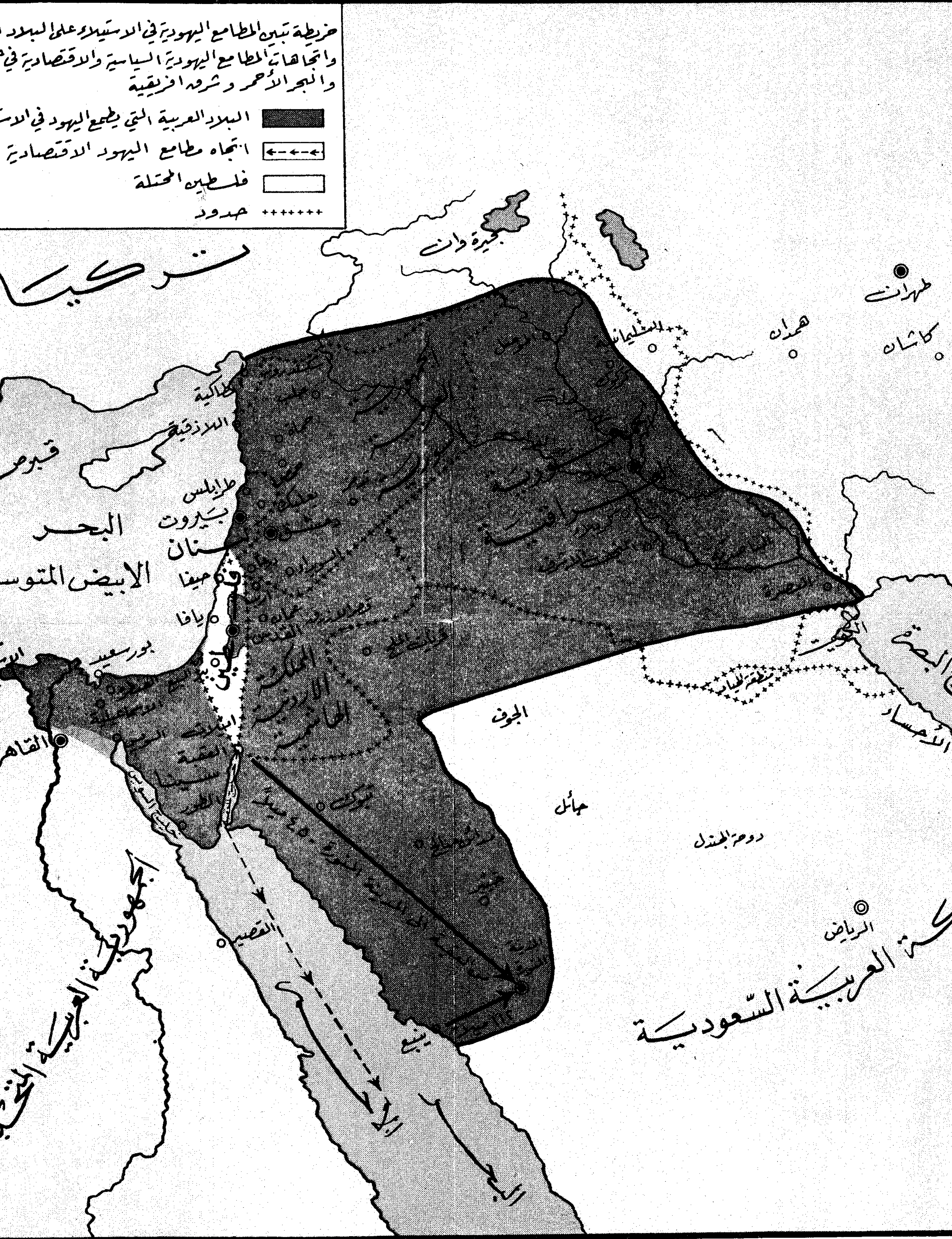
طبع على مطابع

دار لبنان

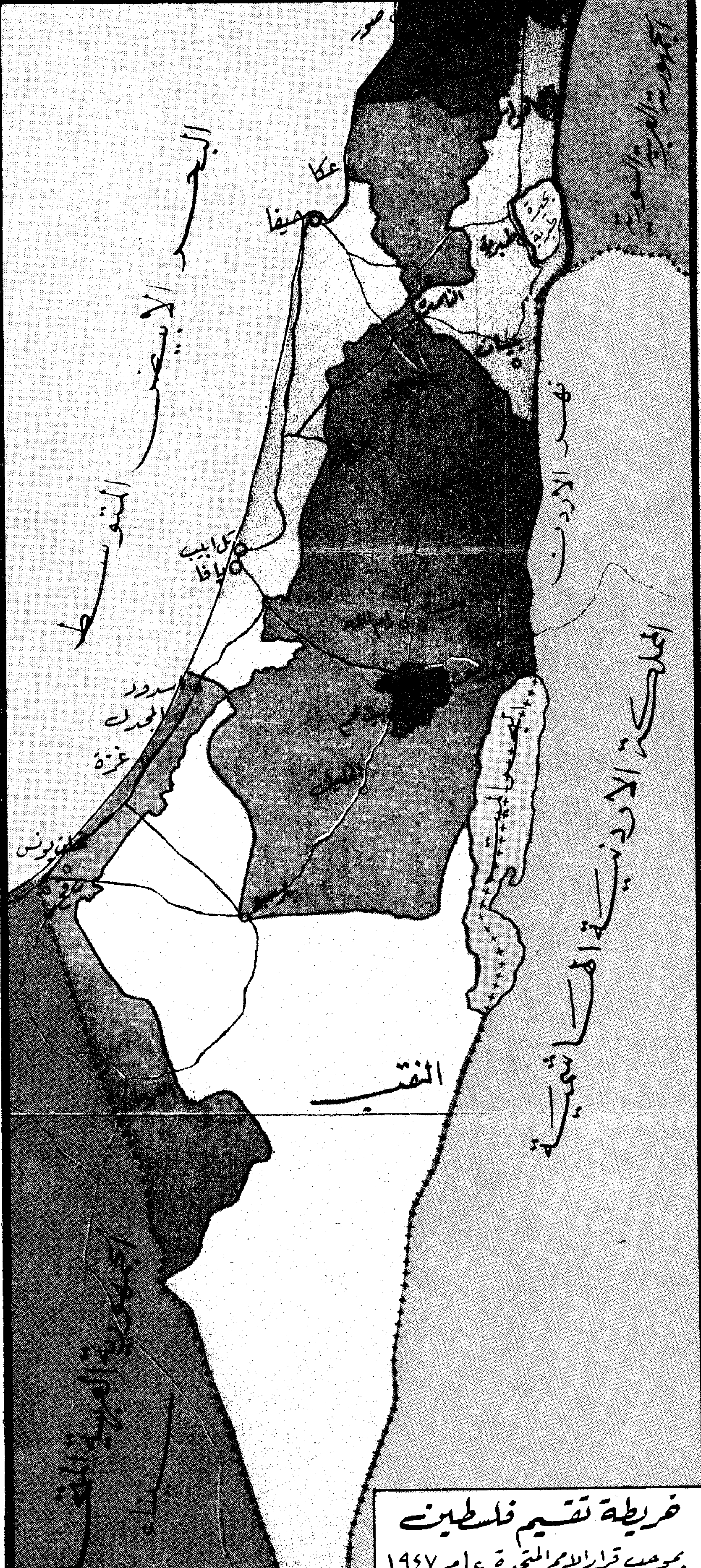
للطباعة والنشر

بيروت – ص. ب ٥٦٢٠ – هاتف ٢٩٣٠٤٣

٧٣٣ / ٥٤٠٠ / ٦٦



خريطة تبين المطامع اليهودية في الاستيلاء على البلاد
واتجاهات المطامع اليهودية السياسية والاقتصادية في
والبحر الأحمر وشرق افريقية
البلاد العربية التي يطمع اليهود في الا
اتجاه مطامع اليهود الاقتصادية
فلسطين المحتلة
حدود
تركيا
بحيرة وان
طهران
همدان
كاشان
انطاكية
حلب
حماة
اللاذقية
طرابلس
بيروت
دمشق
حيفا
الابيض المتوس
البحر
يافا
القدس
بورسعيد
الجوف
حائل
دومة الجندل
الرياض
العربية السعودية
تبوك
القصير
ينبع
البصرة



خريطة تقسيم فلسطين

بموجب قرار الامم المتحدة عام ١٩٤٧